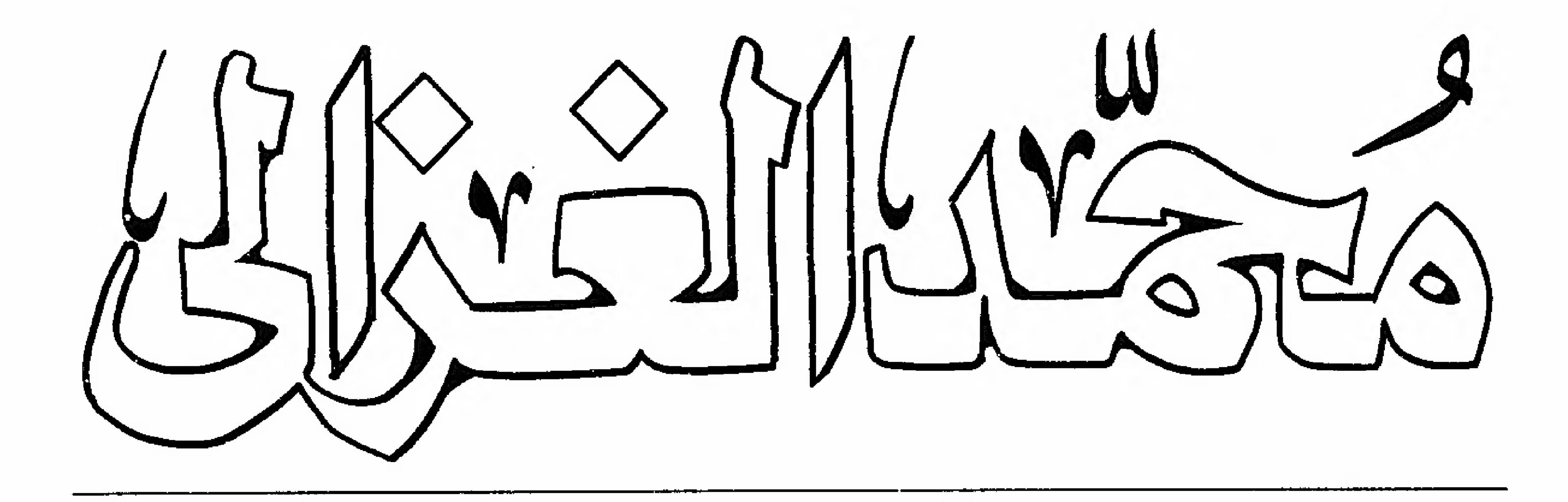


من مقالات

الشيخ الغزالى

« الجزء الثالث »

38

جمع/ عبدالحميد حسانين حسن

طبعة جديدة ومحققة



العـنـوان: من مقالات الشيخ (محمد الغزالى) الجزء الثالث.
المؤلـف: الشيخ/ محمد الغزالـى .
جـمـع: عبدالحميد حسانين حسن .
إشـراف عـام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشـر: الطبعة الرابعة يناير 2005م .
رقـم الإيـداع: 2004/3472
الترقيم الدولى: ISBN 977-14-2624-9

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى ـ المهندسين ـ الجيزة
ت: 3466434(02)–3472864 (02) فاكس:3462576 (02) ص.ب:21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) ـ 8330289 (02) ـ فـاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى – الفجالة – القاهرة – ص . ب : 96 الفجالة – القاهرة.
ت : 5909827 (02) – 5908895 (02) ـ فـاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5230569 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عسارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



المقدمـــة

يعد فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى من أبرز علماء الأمة الإسلامية ومفكريها بالقرن العشرين الذين أثروا الحياة الدينية والفكرية بآرائهم المتجددة فى سبيل تنوير وتبصير المجتمع المسلم بأمور دينه .

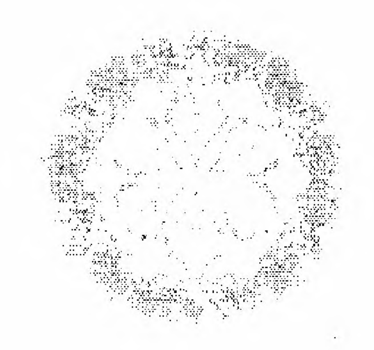
وقد كان لآرائه وأفكاره الدينية المتوازنة بين إصلاح الإنسان وإعمار الدنيا وإعمار الآخرة أثره البالغ فى إحياء وبعث الروح الدينية الصحيحة فى نفوس العديد من المسلمين ليس فقط بمصر أو العالم العربى وإنما على نطاق العالم الإسلامى بأسره .

وقد كان أهم ما يتميز به فضيلة الشيخ المجدد/ محمد الغزالى جرأته فى الحق حتى أصبح رائدًا لمنهج يعتمد على الفهم الصحيح للنصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح والمصلحة العامة للمسلمين ومتطلبات العصر .

ولهذا ، فقد اتفق من اتفق معه واختلف البعض حول آرائه وفتاواه العصرية ولكن من المؤكد أن الجميع قد انجذب لسحر بيانه ووضوح حجته .

ومن خلال ذلك الزخم الهائل من تراث فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى قام الأستاذ/ عبد الحميد حسانين حسن بجهد طيب فى جمع المقالات غير الدورية التى قام الشيخ بنشرها فى كبرى المجلات والدوريات بأنحاء العالم الإسلامى عسى أن ينتفع المسلمون بآرائه وأفكاره .

وقد عنيت **دار نهضة مصر** بنشر هذه المقالات فى أجزائها الثلاثة ؛ رغبة فى الحفاظ على تراث الشيخ الجليل .



من العلم إلى الإيمان

- **العقل المستقيم لابد أن يصل إلى الله. وتفكيره الجيد لن يبعده عن الله أبداً مهما طال المدى!**
- **لقد بدأت الدراسات الدينية فى الغرب بعيدة عن الدين، بل كافرة به؛ لأن الدين الذى ورثته يجافى المنطق وينأى عن العقل، ولا غرو إذا بدا العلم ملحداً.**

وأخذ العلماء طريقهم فى بحث المادة وخصائصها وقواها ، ينقبون فى فجاج الأرض وآفاق السماء فبوغتوا بما يقودهم قودًا إلى الله ، ويدلهم على عظمته ومجده .

إن الفكر الصائب يستحيل أن يباعد عن الله! إنه يسوق إليه سوقًا لطيفًا! لماذا؟ ﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[1] .

إذا كان هدف ما على بعد ميل ، فإنك بالغه حتمًا إذا سرت متجهًا إليه ، المهم أن تسير فى اتجاه صحيح! إن العوج والشرود لايقرران حقيقة ، ولا يوصلان إلى غاية .

وقد اختلفت مع بعض أصدقائى فى جملة قضايا جادة ، ولم أغضب منهم مع خطورة الموضوع ، فقال لى أحد الناس : لماذا لم تقاطع أولئك الأصدقاء الشاردين؟ فقلت إنهم أخطأوا مخلصين ، ولهم فكر حسن ، وسوف يقودهم فكرهم السليم إلى الحقيقة يومًا ما .

العقل الجيد مادام يلتزم منهجه فسيعرف ربه إن قريبًا وإن بعيدًا ﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[1] .

وقد قرأت لنفر من أساطين العلم المادى كلمات صادقة فى هذا المجال أنقلها هنا مع تصرف يسير يضبط معناها .

يقول الفلكى الإنجليزى «سير جيمس جينز» :

«أما الآن فالآراء متفقة إلى حد كبير ـ فى الجانب الطبيعى من العلم ـ اتفاقًا يقارب الإجماع ، على أن نهر المعرفة أخذ يتجه نحو حقيقة غير مادية ، وغير آلية!! وبدأ الكون يلوح أشبه بفكرة عظيمة منه بآلة عظيمة!! ونحن واجدون فى الكون دلائل تنبئ عن وجود قوة مدبرة مسيطرة ، بينها وبين عقولنا الفردية شىء مشترك»!!

---

(١) هود : ٥٦ .

هذا آخر ما يمكن أن يقوله عن الله الحى القيوم المحيط المهيمن ، باحث فى الكون لايعرف الإِسلام .

كانت بيئة هذا العالم الفلكى تتوارث أن الكون ركمت مادته جزافًا ، بل إنها نشأت كذلك . . فإذا التأمل الطويل يكشف عن قوانين بالغة الدقة ، يشرف عليها عقل فردى واسع الذكاء . .!

ولو عرف هذا الرجل الإِسلام لقال كلامًا آخر يستند إلى وحى أعلى وتصور أحكم وأنَّى له أن يعرفه؟

وهذا باحث مشغول عن اليوم الآخر لايفكر فى حياة بعد الموت ، إنه «آرثر كومبتون» الحائز على جائزة نوبل! «فيزياء الذَّرة» ، وتخصصه لا علاقة له بالروح ، فإن العلم يرى أن المادة وحدها موضوعه ، وأن ما وراءها لايسمى علمًا ، يقول ذلك الباحث :

«إننى فى معملى لا أعنى بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت . . ولكننى أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلنى أحسُّ إزاءها بأنه يجب على أن أركع احترامًا لها . .» .

إن الرجل تروعه حكم شتى تتراءى له وهو يعمل ، متحدثة كلها عن بديع السموات والأرض ، الذى خلق كل شىء بقَدَر ، وهدى أجزاء الذرة إلى الانتظام فى فلكها دون اعوجاج أو استرخاء . .

إنه يرى لزامًا عليه أن يركع أمام ذلكم المليك المقتدر! ولطافة الصنعة تبعث على الدهشة والإِعظام .

والقرآن الكريم يلفتنا إلى ذلك عندما يحدثنا عن اخضرار الأرض السوداء تحت مواقع المطر :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[1] .

اللطافة والخبرة صفات الخالق العظيم ، وإنها لصفات غريبة الآثار عندما تنشئ الحياة وتحيى الموات وتفتق الثرى الهامد عن حبوب وفواكه وخيرات لا حصر لها . . ألا يستحق صاحب هذه الصفات أن نركع له . .؟

واللطف فى ذلك الإيجاد يعادله اللطف فى تصريف الأقدار بين الناس ، وقد استولى هذا الشعور على فؤاد يوسف الصديق عندما وازن بين ماضيه وهو صبىٌّ مختطف رقيق ، وبين حاضره وهو ملك مهيب عزيز ، وكيف رتب القدر الأحداث التى

---

(١) الحج : ٦٣ .

تمخضت عن تلك النتائج؟ فما ملك نفسه أن يقول : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] .

الله هو الحقيقة كلها

إن عملنا ـ نحن البشر ـ قليل فى الكون ، أما العمل الأعظم فهو لله الكبير .

ماذا صنع الفلاح فى مادة القطن الذى جناه؟ أو فى جسم التفاحة التى قطفها؟

إن ما لنا فى هذا الحصاد تافه ، أما ما لله فهو الحقيقة كلها . .

ونحن قد نحسن أو نسىء فى استخدام المفاتيح التى يسرت لنا ، أما الخزائن وما فيها ، بل المفاتيح نفسها فليست من صنعنا .

ولست أنا الذى أردد هذه المعانى ، إنه «إنشتين» أكبر عالم كونى فى الأعصار الحديثة ، فلنسمع إليه وهو يقول : «إن الشعور الدينى الذى يتملك الباحث فى الكون هو أقوى حافز على متابعة البحث العلمى ، ودينى هو إعجابى ـ فى تواضع ـ بتلك الروح السامية التى لا حدَّ لها ، تلك التى تتراءى فى التفاصيل القليلة الضعيفة العاجزة ، هو إيمانى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للأفهام . . (ذلك هو فهمى لمعنى الألوهية)» .

وهذا العالم الكونى صادق الحس فيما يعبِّر عنه ، وإن جاءت عبارته دون ضوابط النقل التى حفظناها .

وحسبه فى أفقه البعيد عن الوحى أن يتذوق هذه المعانى ويجليها .

إنها المعانى الناضجة من قوله سبحانه :

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . ﴾[2] وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[3] .

وهى المعانى التى لخصها الفلاسفة فى طبيعة العلاقة بين الممكنات كلها وبين واجب الوجود ، فإن العوالم كلها ليس لها من ذاتها وجود ، وإنما يفاض عليها كيانها الذى تظهر فيه من موجد أعلى ، فلا وجود فى الحقيقة إلا منه .

---

(١) يوسف : ١٠٠ . (٢) الزمر : ٦٢ ـ ٦٣ . (٣) الأنعام : ٩٥ .

وقد يبالغ بعضهم ، أو تغلبه نشوة إيمان رفيع فيقول : لا وجود فى الحقيقة إلا له . . . وليس المراد إنكار العالم المحسوس ، وإنما المراد إنكار أى دور إيجابىٍّ له فى قصة الحياة ، فهو منفعل لا فاعل . .

والحقائق الدينية والعلمية والفلسفية تتساوق كلها إلى هذا القرار . .

ومن الخير على أية حال أن نضبط عباراتنا حتى لاتوقع فى لبس ، ومن الخير كذلك أن نحسن ظنوننا حتى لانتهم أولى الألباب .

ويمتاز الإسلام بأنه بنى الإيمان الوثيق على ملاحظة آيات الله فى الكون وتتبع العلامات التى بثها الله هنا وهناك لتدل عليه وتسوق إليه .

وفى تعريف الناس بربهم من خلال هذا المنهج قد ترى تساؤلات مثيرة ، وتقريرات معجبة!

وكم أشعر بالرقة والإعظام وأنا أسمع المولى الجليل يحدث عباده عن نفسه :

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا . . .** ﴾[1] .

إنه استعمل ضمير الغيبة حتى إذا فتح الأجفان المغلقة لتعرفه استعمل ضمير الحضور :

﴿ **. . ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ﴾[2] .

ويتكرر الأسلوب نفسه بعد قليل :

﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ﴾[3] .

وملاحظة قيام الله على خلقه وتدبيره لأمرهم وهيمنته على أحوالهم هى الطريق إلى ولايته واجتبائه ، ولعل ذلك هو الذى جمع بين الآيتين المتعاقبتين فى قوله سبحانه :

﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[4] .

---

(١) الفرقان : ٤٥ .

(٢) الفرقان : ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) الأعراف : ٥٧ .

(٤) يونس : ٦١ ـ ٦٢ .

نعم وما يكون وليًا لله إلا الحاضر بقلبه ومعه تبارك اسمه ، المشاهد لآثار أسمائه وصفاته فى ملكوته!

وعندما ترجع إلى شهادات العلماء الكونيين الأجانب التى ذكرناها بين يدى هذا البحث تشعر بأن هؤلاء العلماء لم يسكروا بخمر إلهية كما يعبر الصوفيون عندنا ، بل كانوا فى درجة عالية من الصحو العقلى أمكنتهم من رؤية المكوِّن وهم يبحثون فى الكون!

على أن العلم النظرى لايكفى ، ذلك أن الكون مسخر للإنسان ولن يكون طوع بنانه إلاَّ إذا اكتشف قواه وسننه ، وطوَّعه لخدمته ، أو ـ بالتعبير الأدق ـ لخدمة رسالته التى من أجلها خلق . . .!!

مفهوم المادة الواسع

إنه لاتنافى بتة بين استعمار الإنسان فى الأرض وارتفاقه لخيرها ، وبين أنه خلق لعبادة الله . . فليست العبادة انعزالاً فى صومعة ، وترك الحياة بعد ذلك تسير كيفما اتفق لها . .

العبادة أن تعرف ربَّك من خلال دراستك لكونه الكبير ، ثم تجعل نفسك والكون المسخر لك فى خدمة دين ربك وتثبيت تعاليمه فيما تحت يدك . .!

لاتنافى أبدًا بين قوله تعالى : ﴿ **أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . .** ﴾[1] وقوله ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2] .

ومن هنا جاءت السنن تعلم أن الكدح فى الأرض جهاد وأنه يجب المضىُّ فى الزراعة ولو قامت السَّاعة . .!

ويوجد الآن تدين وضيع الرتبة محقور الثمرة ، لأنه مبتوت الصلة بالكون ، بادى العجز فى عرصات الأرض ، وهذا الصنف من المتدينين مسخر فى الأرض ، وليس شىء من الأرض مسخر له . .

وعبَّاد المادة يستطيعون دعم الإلحاد بالأقمار المصنوعة ، أما هو فأعجز من أن يدعم إيمانه المزعوم بشىء طائل ، إلا العصا التى تساق بها الدواب ، لأنه لايعلو كثيرًا عن هذا المنطق!

وندع الحديث فى هذا الموضوع لأنه ذو شجون وشجونه تنقض الظهر! بيد أنه لابد من لفت النظر إلى أن الهواء النقى لاتفيد منه إلا رئة سليمة ، وأن الشعاع المضىء لاتفيد منه إلا عين بصيرة ، وأن السيادة فى الكون وظيفة لايطيقها المعلولون والمشلولون . .

---

(١) هود : ٦١ .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

وجمهور كبير من المنتمين إلى الدين يحملون جراثيم أمراض مادية وأدبية لا حصر لها ، تجعل انتماءهم إلى الدين قليل الجدوى . .

وقد قسم علماؤنا النعم إلى حسية ومعنوية ، وجعلوا الأخيرة أشرف ، فالعلم خير من المال والخلق خير من الانحلال وهكذا . .

والحق أن الانتفاع من الماديات لايستطيعه إلا من له حظ من المعنويات ، وأنه إذا كان لابد من فقد شيء فخسارة بعض الملذات الحسية واجب فى سبيل استكمال المعنويات والحفاظ عليها .

وقد آثر الرجال الصالحون التضحية برغائب كثيرة كى يسلم لهم دينهم وشرفهم .

وقد أنعم الله على العرب حديثًا بالنفط ، وأنعم عليهم قديمًا بالوحى ، فكانت المنَّة عليهم برسالة السماء أرجح فى موازينهم وأضوأ فى تاريخهم .

أما النفط الذى فجَّر المال أنهارًا تحت أقدامهم فما تتم نعمه إلا إذا أحسنوا استغلاله ، ودعموا به القيم وسدُّوا به الثغر!!!

العمل قد يسبقه العلم به

والناس فى هذه الحياة لاتصح إنسانيتهم ولايحققون الحكمة من إيجادهم إلاَّ إذا جعلوا نشاطهم مقسومًا بين معاشهم ومعادهم ، وعملوا لله كما يعملون لأنفسهم أو أكثر .

والعمل لله يسبقه العلم به ، والعلم به لايتم تحصيله بترديد أسمائه ألوف المرات كما يوصى البعض ، أو كما يفعلون!

العلم بالله يجىء من تتبع آياته فى الأنفس والآفاق ، ومن الصَّلاة له فى المراصد ، والمعامل الحافلة بالتجارب والملاحظات . .

ويسرنى أن بعض المتصوفين قد شرع يدرك هذه الحقائق! ترى هل وصل بعد قيام القطار؟ يقول الشيخ بهى الخولى رحمه الله : «معرفة الله تبدأ من شهود العقل لمعنى (الخالقية) التى تسند وجود الكائنات إلى الحق وحده ـ تبارك اسمه ـ فلايكون فى الكون إلاَّ ما هو سلب مطلق ، ليس له من أمر نفسه أو غيره شىء ، وخالق له الإيجاب المطلق فى كل شىء . .! ثم تعلو مرتبة المعرفة رويدًا رويدًا بأن يلحظ الفكَر فى الكائنات معنى النفع أو معنى أنها نعمة من المنعم جل شأنه . وفى هذه المرتبة من حسن الصلة بالله يذهب الفكر إلى شعاب من النظر تجلو الكثير من الصفات العليا ، والأسماء الحسنى ، ويعظم حظ المرء من الحكمة والمعرفة والعبر ويزدحم ضميره

بوجدانات الجلال والجمال ثم يقول رحمه الله : «ولعلنا ندرك الفرق بين مفهوم النعم الحسية والنعم المعنوية حين نقلب النظر بين هذين النوعين فى قوله تعالى :

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[1] وقوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[2] .

ولسنا نجيز المقارنة بين النظم البلاغى لكلا النصين ، فكلام الله فى درجة سواء من الإعجاز .

ولا ندَّعى أن هناك فرقًا بين النوعين فى معنى الإنعام ، فكلاهما فضل الله ومظهر امتنانه . . وحسب النعمة شرفًا أن يكون المنعم بها هو الله . . إنما نريد الفرق بين الأثر الذى يحدثه كل منهما فى حياة الإنسان وضميره» .

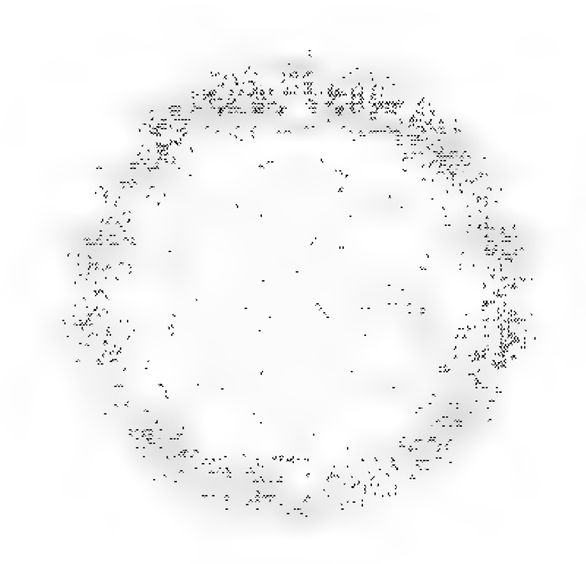
ولاريب أن النبوات أنمى أثرًا وأبرك عقبى من الآلاء الأخرى .

وإلى هذا الملحظ جاء الأمر الإلهى :

﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا . . ﴾[3] .

ومع ذلك كله فلانزال نؤكد أن المقارنة هى بين دنيا مقطوعة عن ربها الذى أسداها وبين عبادة تصل المؤمن بربه وتبصره برسالته فى هذى الحياة .

لكن الدنيا التى تكون عونًا على الدين ، وسياجًا يحميه ليست قسيمًا يقابل التقوى والإحسان ، بل إن تحصيلها والذود عنها من صميم التقوى والإحسان .



(١) النحل : ٥ .   (٢) آل عمران : ١٦٤ .   (٣) طه : ١٣١ ـ ١٣٢ .

عندما يكون الإلحاد أذكى..!!

قرأت للدكتور طه حسين ، واستمعت له ، ودار بينى وبينه حوار قصير مرة أو مرتين فصدَّ عنى وصددتُ عنه!

أسلوب الرجل منساب رائق! وأداؤه جيد معجب ، وهو بين أقرانه قد يدانيهم أو يساويهم ويستحيل أن يتقدم عليهم . . . بل عندما أوازن بينه وبين العقاد من الناحية العلمية أجد العقاد أعمق فكرًا وأغزر مادة وأقوم قيلاً ، وأكاد أقول :

إن الموازنة المجردة تخدش قدر العقاد . . .

وأسلوب زكى مبارك أرشق عبارة وأنصع بيانًا من أسلوب الدكتور طه حسين ، ولولا أن الرجل قتله الإدمان لكان له شأن أفضل . . .

ودون غمط لمكانة الدكتور الأدبية نقول : إنه واحد من الأدباء المشهورين فى القرن الماضى ، له وعليه . .! وحسبه هذا . . .

بيد أننى لاحظت أن هناك إصرارًا على جعل الرجل عميد الأدب العربى ، وإمام الفكر الجديد ، وأنه زعيم النهضة الأدبية الحديثة . . .!!

ولم أبذل جهدًا مذكورًا لأدرك السبب ، إن السبب لايعود إلى الوزن الفنى أو التقدير الشخصى ، السبب يعود إلى دعم المبادئ التى حملها الرجل ، وكُلِّف بخدمتها طوال عمره ، إنه مات بيد أن ما قاله يجب أن يبقى ، وأن يدرس ، وأن يكون معيار التقدم!!

تدبر هذه العبارة للدكتور «العميد» :

«إن الدين الإسلامى يجب أن يُعلَّم فقط كجزء من التاريخ القومى! لا كدين إلهى نزل يُبيِّنُ الشرائع للبشر ، فالقوانين الدينية لم تعد تصلح فى الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام ، ولذلك لايجوز أن يبقى الإسلام فى صميم الحياة السياسية! أو يتخذ كمنطلق لتجديد الأمة(!) فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين» .

الإسلام وحده يجب أن يبعد

ويمكن الرجوع لمثل كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» لتجد أشباهًا لهذه العبارات السامَّة .

ويشاء القدر أن تقع عينى على هذه العبارة «وقد قررت «إسرائيل» وقف الطيران فى شركة العال يوم السبت احترامًا لتعاليم اليهودية»!!

إن الإسلام وحده الذى يجب إبعاده عن الحياة العامة! أما الأديان الأخرى فلتقم باسمها دول ، ولترسم على هداها سياسات . .!!

وظاهر أن الدكتور طه حسين كان ترجمانًا أمينًا لأهداف لم تعد خافية على أحد عندما طالب بإقصاء الإسلام وأخلاقه وأحكامه ، وعدم قبوله أساسًا تنطلق الأمة منه وتحيا وفق شرائعه وشعائره!!

قائل هذا الكلام يجب أن يكون عميد الأدب العربى فى حياته وبعد مماته ، وأن تشتغل الصحافة والمسارح بحديث طويل عن عبقريته ، ليكون علمًا فى رأسه نار كما يقول العرب قديمًا . . .

أما العقاد وإسلامياته الكثيرة فيجب دفنه ودفنها معه : ومع أن الرجل حارب الشيوعية والنازية وسائر النظم المستبدة ، وساند «الديمقراطية» مساندة مخلصة جبارة ، فإن العالم «الحر» ينبغى أن يهيل على ذكراه التراب ، ليكون عبرة لكل من يتحدث فى الإسلام ، ولو بالقلم! فكيف إذا كان حديثًا بالفكر والشعور ، والدعوة والسلوك ، والمخاصمة والكفاح؟ هذا هو الخصم الجدير بالفناء والازدراء .

ضرورة هتك الأستار

والقوى التى تعمل دائبة على تخليد الدكتور طه ، وتجديد فكره ، وإعلاء شأنه معروفة لدينا ، ونريد أن نكشف عنها ، إذ لا معنى لبقائها فى جحورها تلدغ ثم تستخفى ، وتنال منا باسم حرية العلم ، وهى لاتعرف من الحرية إلا لونًا وحيدًا : كيف تضرب الإسلام وتطفئ جذوته وتميت صحوته!! ذلك ، إلى أن الريح تعصف اليوم ضدنا أكثر مما كانت تعصف يوم ألَّف الدكتور طه ضد ديننا وتراثنا ، لقد أقامت اليهودية على أنقاضنا دولة تريد اجتياح حاضرنا ومستقبلنا ، وهى تربى النساء والأطفال لتحقيق هذه الغاية ، وتعتبر المدرسة ثكنة عسكرية ، والثكنة معبدًا دينيًا ، والتوراة دينًا ودولة . .

أما الصليبية العالمية فإنى أكتفى بنقل عبارات للشيخ «عبد الله سحنون» سجلها فى إحدى زياراته لأوروبا . . .

قال : «أذكر للاعتبار أنى كنت فى إسبانيا ذات مرة ، وصادف وجودى فى غرناطة يوم الإثنين ، وهو يوم تعطل فيه الصحف الإسبانية ، ولاتصدر فيه إلا جريدة واحدة تسمى

صحيفة الإثنين ، فأخذت هذه الجريدة لأنظر فيها أنباء اليوم . . فإذا داخلها ملحق صغير للأطفال يكاد يستغرقه كلّه مقال رئيسى بعنوان «محمد النبى المزيف» كتب بلغة سهلة مبسطة ، ولكنها مليئة بالهزء والسخرية!!!

وقد بنى المقال على فكرة أن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل اقتباسًا مشوهًا ، لأن صاحبه ـ على حد تعبير الكاتب ـ كان أميًا لايعرف قراءة ولا كتابة ، وإنما تلقف ما ضمنه كتابه من أفواه اليهود الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب ، ومن بعض الرهبان الذين لقيهم فى أثناء رحلته إلى الشام!!!

وهكذا يعمل النصارى على تنشئة أبنائهم منذ الصغر على احترام عقيدتهم ـ وحدها ـ ويرابط الكاثوليك فى حصن غرناطة ، مستأنفين إلى اليوم مطاردة الإسلام حتى فى نشرات الأطفال بعد أن أجلوا أتباعه من هذا الحصن قبل بضعة قرون» . . .

هذا ما سجله الشيخ الأديب فى كتابه اللطيف «جولات فى الفكر الإسلامى» ومن حق القارئ أن يتساءل : إذا كانوا يربون أولادهم على هذا الغرار فكيف نربى نحن أولادنا؟! وما هى المناهج التى اختارها عميد الأدب العربى عندما كان وزيرًا للتربية والتعليم ، أو اختارها أمثاله لتخريج أجيال تعرف دينها ونبيها وتاريخها وتراثها؟؟

ويعلم أولو النهى وذوو الإنصاف أن الإسلام مخترع الحريات الدينية منذ العصور الوسطى ، وصانع المجتمعات البعيدة عن التعصب الأعمى . . وأنه قدَّم للعالم حضارة فريدة ، تجاور فيها أهل الكتاب مع علماء الإسلام ، فكانت الحضارة الإسلامية نتاج جهود مشتركة وتعاون صالح بين الكثرة المسلمة والقلة اليهودية أو النصرانية . .

الطائفية زرع الاستعمار

حتى جاء الاستعمار الحديث فشرع يشحن أفئدة الطوائف الدينية فى العالم الإسلامى بالحقد والغش على إخوانهم الطيبين ، ويختلق حكايات مفتراة عن ظلم الأكثرية للأقليات الدينية ، ويغرى نفرًا من الغلاة بمطالب مجنونة لا حصيلة لها إلا زرع الفتن . ويقول الشيخ عبدالله سحنون فى هذا المجال : . . . أحب أن أوضح هذه النقطة التى أصاب العالم الإسلامى منها خطر كبير ، ذلك أن هذه الأقليات وإن كانت تتمتع بجميع الحقوق ، ويتوافر لها ما ليس لأقلية أخرى فى بلد غير إسلامى ، إلا أنها لاتقنع إلا بالهيمنة على أجهزة الحكم والقوانين الدستورية ، واستطاعت بذلك إحكام سيطرتها على الدول التى تنتمى إليها . . .

إن بعض هذه الدول كان فى دستورها أن دين الدولة هو الإسلام ، فحذف هذا البند من الدستور إرضاء لأقلية متحكمة ، وهذا أمر لا نظير له فى العالم ، أن تنقاد الأكثرية لحكم الأقلية . . .» .

قال : « . . . ولا نذكر هنا الأقليات الإسلامية الكبيرة فى الهند والصين والاتحاد السوفييتى ، وإنما نذكر الأقلية الكاثوليكية فى المملكة المتحدة البريطانية ، وهى أقلية تبلغ أربعة ملايين ـ تزيد إنجلترا قليلاً عن خمسين مليونًا من البروتستانت ـ ونسأل : هل دار بخلد هذه الأقلية أن تتحكم فى الكثرة المخالفة لها فى المذهب؟ هل فكرت فى معارضة الملكة عندما تؤدى القسم التقليدى على حماية الكنيسة الإنجيلية ، والإخلاص لها عندما ترتقى العرش ؟

ويطرد هذا التساؤل عند الكلام على الأقليات الدينية فى ألمانيا وهولندا وسويسرا وغيرها . . .» .

ولا نريد أن نقتبس أكثر من ذلك ، وإنما نريد المضى فيما بدأنا به ، وإشعار الذاهلين بخطورة الثقافات المؤذية بل القاتلة التى روَّجها يومًا ما أدباء ضعاف الخلق مرضى الإيمان . . فلما قضوا وتراجع مدُّهم أتى من يحاول استحياء فكرهم وتلميع أسمائهم حتى يقع الأغرار فى شركهم ، ويستقر الأمر للاستعمار الصهيونى والصليبى على سواء . . .!! على حساب الإسلام الذاهب . .!!!

قصور معيب!!!

ويحزننى أن أقول : إن الدكتور طه انتصر فى معارك كثيرة لأن خصومه لم يكونوا على شىء! فمن نيف وأربعين سنة أمر الدكتور ـ وكان عميدًا لكلية الآداب بالقاهرة ـ بقبول طالبات فى الكلية لأول مرة فى تاريخ التعليم الجامعى . . .

وانفجرت مراجل الغضب عند الأزهريين ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فقد كان إلحاق النساء بالتعليم العالى شيئًا إدًا . .

والواقع أن جماهير من المتدينين كانت تستنكر تعليم المرأة فى أى مرحلة ، وتعد تجهيلها من الإيمان(!!)

ولو أنها غضبت لأن التعليم مختلط ، وينبغى تخصيص كليات للبنات لكانت على حق!!! . .

وفُتحت بعد ذلك بعشرين سنة كليات للفتيات فى الأزهر ، لقد استيقظ بعد ما فاته القطار . . . إن التدين القاصر ينيل أعداءه مكاسب كبيرة دون جهد يبذلونه . .

والغريب أن هذا القصور المعيب لا يزال سمة غالبة على المتكلمين باسم الإِسلام فى أماكن شتى! وفى قضايا سياسية واجتماعية بعيدة الآثار . .!!!

ألا فلنعلم أن الموقف السلبى لايهزم العمل الخاطئ! إنما يهزمه بديل منصف نفَّاع للناس ، حام لحقوقهم ومصالحهم .

قد تكون «للديمقراطيات» الغربية هنات تنال منها ، لكن هذه الأنظمة لاتهزمها قصيدة هجاء ، أو خطبة رنانة! إنما يهزمها نظام ينفى الاستبداد ، ويُعز الشعوب ، ويصون الفطرة ، ويحترم البرهان ، ويطارد الأوهام . . .!!!

ولم تكن الجبهة الإِسلامية قادرة على تقديم هذا البديل ، فنجح سماسرة الاستشراق والتنصير فى اجتياح مواقع كثيرة . . . على أن الدكتور توقف عندما واجهه عاملون جدد فى حقل التراث ، كان يبشر بعظمة اليونان وعراقة تاريخهم وحضارتهم ، حتى كتب العقاد يثبت عكس ذلك ، وكان يريد تغيير الكتابة العربية ، ونشر مقالاً أدخل فيه حروف العلة فى بنية الكلمة للدلالة على الحركات ، ولكن الدعوة سرعان ما انهارت لأن حماة أشداء ـ من غير البيئة الدينية ـ بصقوا على الفتنة فانطفأت . . .

ولست بصدد التأريخ لما كان ، وإنما بصدد التوجس مما هو كائن ، فإن العراك لايزال محتدمًا بين الإِسلام ورسالته من ناحية ، وبين الاستعمار العالمى وأحقاده التاريخية من ناحية أخرى ، والمستقبل مُقلق إذا بقيت شئون المدافعين على ما هى عليه الآن .

مقابلة... ومقارنة!!!

تسألنى كيف؟

والجواب : إن الهاجمين متفاهمون على الغاية المنشودة ، متعاونون فى الطريق الطويل ، يقيم بعضهم بعضًا إذا كبا ، ويغطيه إذا تعرى ، ومع أن للكثير منهم أخطاء مُذلّة فقلما تجد من يتتبعها وقد وزعوا الأدوار بينهم ، ومشوا إلى هدفهم متساندين . . .

أما نحن فما بيننا متقطع!! وإذا تصالح ندامى الحان ، وتشاكس إخوان المسجد ، فستنكسر المئذنة ويستولى السكارى على المحراب . . .

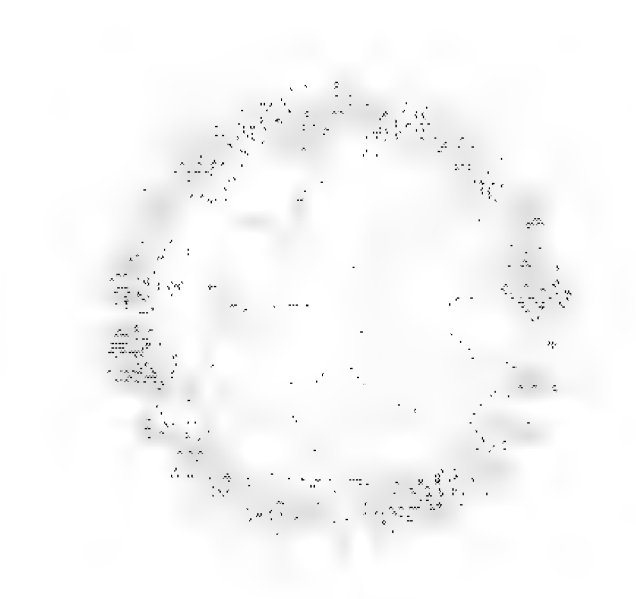
اطلعت أمس على مجلة أحبُّها فقرأت فيها لمزًا للأديب الحر المصلح عبد الرحمن الكواكبى وتفسيقًا لرجلين من بناة النهضة الإِسلامية الحديثة . . وأنا أحد تلامذة «المنار» والمستفيدين من تفسيره ، ورأيى فى مدرسة «المنار» وشيخها محمد رشيد ، وأستاذه الشيخ محمد عبده حسن!!

وأنا أعرف أن المتنبى غفر الله له كان يحب المال إلى حد البخل! ويحب الإمارة إلى حد الجنون . ومع ذلك أطرب لشعره ، وأستجيده وأستزيده ، وإذا لم يكن أمير الشعراء العرب فهو من قممهم!

إننى لا أجعل عيبًا ما يغطى مواهب العبقرى! ثم لحساب من أهدم تاريخنا الأدبى والدينى؟ ولمصلحة من أشتم اليوم علماء لهم - فى خدمة الإسلام وكبت أعدائه - كفاح مقدور . . .؟

ومن يبقى من رجالنا إذا أخذت تاريخ الشيخين أبى بكر وعمر من أفواه غلاة الشيعة ، وتاريخ على بن أبى طالب من أفواه الخوارج ، وتاريخ أبى حنيفة من أفواه الإخباريين ، وتاريخ ابن تيمية من ابن بطوطة وابن فلان ، وتاريخ محمد بن عبد الوهاب من أفواه الأتراك . . . إلخ؟!!

وددت لو أعنت على محاكاة أبى حامد الغزالى مؤلف «إلجام العوام عن علم الكلام» فألفت كتابًا عنوانه «إلجام الرعاع والأغمار عن دقائق الفقه ومشكل الآثار» لأمنع الصغار عن مناوشة الكبار ، وأشغلهم بما يصلحون له من أعمال تناسب مستوياتهم ، وتنفع أمهم بهم ، ولعلى أشرح سبب ذلك فى مقال آخر إن شاء الله .



من طوى هذه الصفحة ونشر غيرها؟

المؤسسات التى تشتغل بالتنصير لاتخفى أغراضها ، ولاتلتزم النزاهة فى وسائلها! ويسكت عنها فى أغلب الأحوال إذا كان عملها بين المسلمين مهما أسفت فى سلوكها! وربما تعرضت للنقد إذا كان نطاق نشاطها بين قوم آخرين .

وقد قرأت فى صحيفة الجمهورية ـ المصرية ـ غضبة للرأى العام فى بريطانيا على هيئة «وورلد فيجن» التى تقوم بالتنصير فى أقطار إفريقية الوسطى والجنوبية وأمريكا اللاتينية .

وتحت عنوان «معونات اقتصادية للضغط الدينى» قالت الجريدة :

«إن من بين الاتهامات الموجهة للهيئة المذكورة لجوءها المتكرر إلى التهديد بقطع المعونات الغذائية لإرغام الفقراء ـ الذين يتلقونها ـ على حضور الأنشطة الدينية ، وتعاونها مع قوى الأمن القمعية فى هذا المجال . . . وفشلها فى الدفاع عن حقوق الإنسان بين اللاجئين الذين تقوم برعايتهم» .

وأرى أن هذه التهم يتضاءل كل ما فيها من شر إذا وزنت بما وقع أو يقع للمسلمين الذين يتعرضون للحملات التنصيرية ويذوبون فى صمت تحت وهج حقد لايفتر!! .

أحوال المسلمين فى الفلبين :

نشرت مجلة «رابطة العالم الإسلامى» مقالاً من كتاب لمؤرخ غربى منصف يصف أحوال المسلمين فى الفلبين ، والمقال تحت عنوان «عذراء ماليزيا» والمترجم المعلق هو الدكتور مصطفى مؤمن .

وأنقل هذه العبارات من المقال الكبير : «إن لجنة تنمية (مينداناو) وضعت خطة لتطوير الصناعات هناك ، غايتها إقصاء المسلمين وإحلال العمال الصليبيين محلهم ، بحجة أن المسلمين لم يتلقوا تدريبات! ومن ثم كانت نسبة العمال المسلمين واحدًا فى الألف .

وجزيرة (ميندناو) يسودها المسلمون ، وهم كثرتها الكبرى بيد أن التنظيم الإدارى للبلاد كان همه تشتيت الجماعات الإسلامية ، وتفتيت كتلتها وإلحاق الفئات الإسلامية المهشومة بمناطق يسودها النصارى ، وذلك لإفناء وطمس الشخصية الإسلامية .

ثم يتحدث المؤلف عن الثروات المعدنية فى البلاد فيقول : لعل وجود الذهب فى (ميندناو) والفحم فى (زامبوانجا) وهى مناطق إسلامية ما يفسر الرغبة فى إخراج المسلمين وإحلال المهاجرين من النصارى محلهم . . .

ويقول المؤلف :

إن جماعة «إيجلاس» أو الفئران هى أخطر الجماعات الكاثوليكية وأشدها تعصبًا ضد المسلمين ، ولها تنظيم سرى هدفه الأول الاستيلاء على الأرض الإسلامية ، وإبعاد أهلها عنها .

ويتدرب أفراد هذا التنظيم فى إسرائيل!!

تسعيرة للتنكيل :

وحفزًا للهمم فى إلحاق الأذى بالمسلمين والتنكيل بهم وضعت تسعيرة بالمكافآت التى تصرف لمن يصيب مسلمًا بإحدى هذه العاهات :

١ - أذن المسلم ثمنها ١٠٠ بيزوس .

٢ - أنف المسلم ثمنه ١٠٠ بيزوس .

٣ - إصبع المسلم ثمنها ٥٠ بيزوسًا .

٤ - كف المسلم أو ذراعه ثمنها ٢٥٠ بيزوسًا .

٥ - عين المسلم ثمنها ألف بيزوس . أى : ما يوازى خمسة وثلاثين جنيهًا إسترلينيًا .

أرخص المسلمين!!!

وتشن هذه العصابة حرب إبادة على المسلمين لإخلاء الأرض منهم ، وتوريثها للصليبيين . . وذلك تحت سمع الحكومة وبصرها ، ورضاها وتأييدها .

يقول الدكتور مصطفى مؤمن :

إن الرئيس «ماركوس» يؤمن بالمثل القائل : «فم يسبِّح ويد تذبح»!! فهو طالما أعلن للمسلمين : أنه مدين بحياته لجندى مسلم ، أنقذه من الموت ، إبان القتال مع اليابانيين . . .

وبرغم هذا فأصابع الاتهام كلها تشير إليه ، بل لاتشير إلا إليه فى جميع المجازر والجرائم وحمامات الدم التى تسبح فيها الضحايا من المؤمنين الموحدين!!

والرئيس «ماركوس» أنموذج عادى لأسلافه من الكاثوليك الإسبان الذين غزوا جزيرة سولو وسائر الجزر الإسلامية المجاورة ، ونشروا فيها النصرانية بالسيف ، وأطلقوا عليها اسم «الفيليبين» نسبة إلى ملكهم فيليب ، أحد الذين أطاحوا بالوجود الإسلامى فى الأندلس . .

وقد بدأ غزو هذه البلاد فى القرن السادس عشر ، وإبرازًا للغاية المنشودة منه ، فقد رُصَّت جثث المقاومين الشجعان على نحو هيئة صليب ، وذلك سنة ١٥٧٦م ، ويقول المؤلف :

إنه أول صليب صنع بأجساد المسلمين ، ونرجو أن يكون آخرها . .!!! ترى هل تحقق هذا الرجاء؟؟

حملة صليبية . .

على أية حال لقد أخذت الحملة الصليبية مسارها المرسوم فى هذه الجزر النائية عنا(!) ففى هذه السنة أصدر الحاكم الإسبانى العام «فرانسيسكو دى ساندى» أمرًا لقائد الحملة المغيرة على أرض الإسلام ، هذا نصه :

«إننى آمرك بسدِّ أفواه الدعاة إلى دين محمد ، إذ هو دين شرور وآثام! وليس هناك من بديل عن النصرانية عقيدة ودينًا ، ولما كان الدعاة القادمون من «بورنيو» مثلهم - يعنى مثل إخوانهم فى جزر سولو وميندناناو وغيرها - فواجبك مصارحتهم بأن غرضنا هو تعميم النصرانية! ولدى اعتناقهم لها فسنتركهم يعملون فى أرضهم دون أن يصيبهم أذى من جانب سادتهم النصارى الإسبان ، وترصَّد بقوة لمن يدعو لدين محمد ، وألق القبض عليه ، ثم سقه إلىَّ مكبَّلاً مخفورًا . . .» .

وظلت هذه الحرب الصليبية ثلاثة قرون ، اعتمد المدافعون على أنفسهم فى كسر تيار الفتنة ، وصد العدوان الهاجم من وراء البحار ، على حين كان الإسبان يتقدمون نحو هدفهم بثبات ويضعون خططهم بتؤدة ، وأوروبا كلها مسرورة بالثغرة التى أنشؤوها فى جنب الأمة الإسلامية ويرتقبون تعميقها والنفاذ إلى ما بعدها . .

وفى مطالع القرن العشرين هبط عدد السكان المسلمين إلى الثلث فى الجزر التى غلبت عليها التسمية الجديدة «الفيليبين» .

عذراء ماليزيا . . .

ووقع تغيير جديد فى تاريخ الجزر المحروبة ففى ١٣ آب (أغسطس) ١٨٩٨م نزل الأمريكيون بعذراء ماليزيا ، فقد اشتروا هذه البلاد من مستعمريها القدامى بمائتى مليون دولار ، أخذها الإسبان «خلو رجل» كما يقول المترجم .

وأعلن الشعب المسلم الثورة ضد الغزاة الجدد ، واستعر القتال ثلاث سنين انهزم المسلمون بعدها!! وماذا يستطيعون؟

وفى آذار (مارس) عام ١٩٠١م تألفت لجنة من الكونجرس الأمريكى لوضع تشريعات أخرى للفيليبين .

الحرب البكتيرية..

قال المؤلف :

لقد حاولت صرف المسلمين عن دينهم دون جدوى ، ولما يئست من تنصيرهم اتجهت إلى عمل آخر فقد رأى الأمريكيون أن خير علاج للمسلمين هو اجتثاث جذورهم بشن الحرب «البكتيرية» عليهم وعلى ماشيتهم ، فاجتاحت أوبئة الكوليرا والجدرى والطاعون البانوبى جزيرة ميندناو ثم جزيرة سولو سنة ١٩٠٣م .

وبلغ ضحايا حرب الأوبئة حسب تقدير لجنة «تافت» مائتى ألف أو يزيدون ، ونفقت مئات الألوف من الدواب بأوبئة الجمرة وطاعون الماشية . . .

وهكذا خسر المسلمون أنفسهم وأموالهم بالخسيس المزرى من الغدر ، كما تعرضت للهلاك آلاف مؤلفة من الدواب العجماء التى لاتعرف قبيلاً ولا دبيرًا . . .!!

حملات الإفناء...

ثم استقلت الفيليبين عقب الحرب العالمية الثانية ، بعدما وضعت خطة للقضاء الأخير على المسلمين فى ظل حكم متعصب قذر! . .

إن الغارة التى شُنَّت على أرض الإسلام كانت من السعة بحيث شملت أغلب قارة آسيا ولنعترف بأنها نجحت فى إنزال رايات الإسلام عن بقاع كثيرة ، بدءاً من شرقى الأورال إلى أودية تركستان الخصبة إلى فيافى سيبيريا ، إلى أعماق الهند ، وسنغافورة ، وتايلاند ، والملايو وأندونيسيا . . .

ومن مئات السنين ونيران المقاومة تشتعل ، ومع تلاحق الهزائم فإن الجماعات المجاهدة لم يلحقها يأس ، ولم تلق السلاح . .!!

وقد لبس الأعداء أقنعة شتى ، وجربوا خططًا ماكرة ، واستعانوا بالتقدم العلمى ، واستفادوا من الخطأ والصواب ، ومع ذلك فالقتال ناشب ، والنتائج إن استقرت فى ناحية فلم تستقر فى أخرى .

أين نحن من هذه الحقائق؟!

وهنا أسائل نفسى : أين نحن من هذه الحقائق المذهلة؟ لقد درسنا ونحن طلاب تاريخ العالم القديم ، وتاريخ العصور الوسطى ، ونُبْذَة كبيرة من التاريخ الحديث ، فلم يذكر لنا شىء من هذه الحقائق! أكان آباؤنا وأجدادنا يعرفونها؟!!

ما أظن ، وما أظن طرفًا من هذه الأحداث الهائلة دُرِّس فى الأزهر أو الزيتونة أو القرويين أو الحرمين الشريفين ، أو الأمويِّ فى دمشق ، أو الإمام الأعظم فى بغداد . . .!

إذا كان هذا الجهل من غفلة فهو جريمة يستحق مقترفوها العقاب ، وإذا كان الأمر هو تجاهل العارف ، فالمتجاهلون هنا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان . .!!

إن الإسلام يقيم بين أتباعه أخوة تناصر وتساند ، ويفرض على الجسد كله السهر إذا أصيب جزء منه ، ويعتدّ موالاة المعتدين على حرماته نفاقًا وارتدادًا ، فأين الأجهزة الثقافية والسياسية فى الأمة الإسلامية؟ وأجنحتها فى الشرق الأقصى تحطَّم ، وقلبها يهدد وهى لائذة بالصمت!

فوضى... وجاهلية !

لقد وقع تغير كبير داخل الأمة الإسلامية ووراء حدودها .

كان عصر الإحياء ابتداء من القرن السادس عشر الميلادى يرقى بالأوروبيين رويدًا رويدًا من الظلمات إلى النور . . من الخرافات إلى الحقائق .

أما المسلمون فإن الفوضى الهائلة كانت تنحدر بهم إلى الحضيض ، فوضى سياسية جعلت مناصب الحكم بعيدة عن كل موازين الشرف والكفاية .

وأمسى العمل السياسى سوقًا لاصطياد المغانم والأسلاب ، واختفى منه تقريبًا الوفاء بحقوق الله والناس ، والسهر على مصالح الأمة الدينية والمدنية!!

كانت جاهلية من طراز آخر تعصف بالمسلمين شرقًا وغربًا ، وتوهى صلتهم برسالتهم الخالدة ودعوتهم الكبرى ، وتجريهم وراء شهواتهم سكارى وما هم بسكارى . . .

اهتمامات... بعض المسلمين..

وفساد الإدارة السياسية يعطى حق الحياة لنوع معيَّن من العلم الدينى ؛ إن الحديث عن الحلال والحرام والمعروف والمنكر مرفوض!

هناك حديث آخر يمكن التوسع فيه والحماس له وشغل الغوغاء بقضاياه ، مثل الصلاة بالنعل أفضل أم مع الحفاء؟ الحج مع التمتع أفضل أم مع الإفراد أو القران؟ مس

إحدى السوأتين ينقض الوضوء أم لاينقضه؟ التراويح ثمانى ركعات أم عشرون؟ القنوت فى الفجر بدعة أم سنة . . . إلخ .

ومع الاستبحار فى هذه القضايا هناك قضايا أخرى يجب الانتباه فيها إلى رأى زائغ «الحاكم لاتقيده الشورى» الحاكم المغتصب للسلطة لايقاوم» «الانحراف عن الحاكم فتنة . . اعتزال الفتن إيمان» «تطليق الدنيا أساس التقوى » . .

ثم تشدُّ خيمة الغيبيات السماعية لتنسحب على مساحات كبيرة من عالم الشهادة ، فإذا التدين أحاجى وسحر وطلسمات عاصفة ، وقصور شائن فى ميدان الفكر والاجتهاد وشئون الدنيا . .

وبهذا التخلف الإدارى والعمرانى ، وبهذا العجز العقائدى والأخلاقى ، استقبل المسلمون الاستعمار الحديث ، فكانوا يصابون بهزيمة تلو أخرى ، وتسقط بلادهم بلدًا بعد بلد ، وبعضهم لايعرف شيئًا عن الآخر ولا عما يلاقيه . . .

العرب.. والمسئولية الضخمة..

والعرب خاصة يحملون مسئولية ضخمة لايحملها شعب آخر ، فإن أصول الإسلام والتراث الإسلامى من الكتاب والسنة اكتمل بلغتهم ، ونهر المعرفة الدينية والأدبية تفجر من منابعهم ، وامتد مع التاريخ بلسانهم .

فما مبلغ قيامهم بالدعوة الإسلامية؟ وما مدى جهدهم المعنوى فى نقلها من قارة إلى أخرى؟

صحيح أن الإسلام سوَّى بين الأجناس كلها فى الحقوق والواجبات العامة ، وهذه التسوية هى التى مكنت الفرس والترك وغيرهم أن يحكموا العرب ، ويأخذوا منهم الخلافة . .!

ولكن ذلك لايغير من حقيقة أن العرب هم دماغ الإسلام وقلبه ، وأن نزول الوحى بلغتهم يجعلهم ـ حكامًا كانوا أو محكومين ـ قادة الفكر والفقه والأدب والتربية . . .

وقد حكم الترك ، وسقطت الخلافة الأخيرة وهى فى ربوعهم ، وكان فساد بعضهم الإدارى وعوجه السياسى وراء المأساة الفادحة . لكن الحكم الفردى المستبد لم يكن اختراعًا تركيًا . بل كان امتدادًا لشبيه له فى دمشق وبغداد!

والأمر يحتاج إلى تصحيح جرىء نرضى به ربنا ، ونلتزم به فى أهدافنا ، ونعود به إلى قواعدنا الأولى فى الدعوة والجهاد . .

الغزو الثقافى...!!!

إن الثقافة الجيدة الغنية هى صورة الأمة ، وأمارة عظمتها ، والسلطة مهما قويت لا تُعدّ شيئًا طائلاً مالم تكن جزءًا من حضارة الأمة ومعرفتها وتفوقها .

وقد رأينا الدول الاستعمارية تسحب جيوشها وتترك أقطارًا احتلتها ، غير أنها وكلت إلى ثقافتها الغلابة أن تحتفظ لها بكل شيء ، فإذا الغزو الثقافي أنكى من الغزو العسكري ، وإذا احتلال العقول أقسى من احتلال الأراضي . .

إنه لايستهين بأثر الثقافة إلا أحمق ، ومذ أفلح الجهال في بلادنا ، وعبثت أصابعهم بقيادته ، واضمحل العلم وانزوى أهله شرعنا ننهزم في كل ميدان . .

وماذا يفعل الإسلامي في مواجهة خصومه إذا كان في ميدان العلاقات الإنسانية يرخص الشورى وحقوق الإنسان وأشواق الفطرة وضمانات العدالة وحرمة المال العام ، ويعطي في ذلك توجيهات ناقصة أو غامضة أو هيابة لأن سطوة الحكم الفردي تعقل لسانه؟

الثقافة الإسلامية في محنة ....!!!

إن الثقافة الإسلامية في محنة محزنة! وقد ورثنا خليطًا هائلاً من المعارف الدينية والمدنية تحتاج إلى نظر فاحص واختيار لبيب . . .

وتعجبني كلمة الأستاذ «عمر عبيد حسنة» : إنه يجب إعادة ترتيب العقل الإسلامي من جديد . .

أساس هذا الترتيب فيما أرى تنسيق شعب الإيمان في سلم يكشف أدناها وأعلاها وبإحصاء شئون الدنيا التي لايقوم الإيمان إلا بها ، وتوزيع قوى الجماعة عليها ، والتعريف بالقطعيات والظنيات في آفاق التشريع ومواطن التقليد والاجتهاد ، والمحاكمة المستمرة لأعمال السلطات الإسلامية وتبيين الخطأ والصواب في مسيرتها ، والمراجعة الواعية لأرباحنا وخسائرنا طوال القرون الماضية!

وينضم إلى ذلك كله درس مستمر لأحوال العالم من حولنا ، ومبلغ تأثرنا به وتأثيرنا فيه .

فإننا لم نحتكر الحياة على ظهر هذا الكوكب ، ويستحيل أن نؤدي رسالتنا فيه ونحن جهال به!!

ولا أزال أؤكد الكلمة الحكيمة : دين الله أشرف من أن يؤخذ من أفواه الحمقى . . .

لابد من محو هذه الفوضى الفكرية ، وإعادة الرشد إلى حياتنا الثقافية ، وتمكين أولي الألباب من عرض الإسلام دون تحريف ولا مغالاة ، دون قصور ولا فوضى . . .

وعودًا إلى صدر هذا الحديث ـ على ما به من كآبة ـ أريد أن أعرف : إلى متى يبقى إحساسنا ضعيفًا بآلام إخواننا في العقيدة ، وشركائنا في المبدأ والمصير؟!



فقه الدعوة الإسلامية
ومشكلة الدعاة

الداعية الشيخ محمد الغزالى (٦٧ عامًا) أحد رواد الدعوة الإسلامية وفقهائها . . وأحد معالم الحركة الإسلامية الحديثة ورموزها ؛ تشغل كتبه وكتاباته - فى مجموعها - جانبًا هامًا من مكتبة الدعوة الإسلامية الحديثة ، سجلاً لتاريخ الدعوة الفكرى - إلى حد بعيد - . . ولم تكن تعوزه المعاناة الدائمة والغيرة الصادقة وأناة العالم وتبصره واطلاعه الواسع ، وهو يعالج مشكلات العمل الإسلامى من الداخل والخارج ويرشده ، ويقدم المناصحة لدعاة الإسلام والعاملين له . . يقول فى بعض مؤلفاته :

(. . . إن الدعوة الإسلامية تحصد الشوك من أناس قليلى الفقه ، كثيرى النشاط ، ينطلقون بعقولهم الكليلة فيسيئون ولايحسنون) . . .

من هنا تأتى أهمية الحوار الذى أجريناه مع الشيخ محمد الغزالى ، والذى يمكن من خلاله رسم الملامح الرئيسة لفقه الدعوة الإسلامية ومشكلات الدعاة . .

فقه السنن الكونية

من قضايا الفكر والعمل الإسلامى الهامة ، التى تطرح نفسها بإلحاح - مؤخرًا ؛ قضية فقدان التوازن الاجتماعى عند كثير من العاملين فى حقل الدعوة ، وهو يتعامل مع المجتمع الذى قد ينطوى على أخطاء وانحرافات - وذلك بأن يتخذ مواقف متباينة ، لاتقوم على فقه صحيح لسنن الله الكونية فى نضج الحقيقة واستوائها فى المجتمع ، ولاتعتمد على أساليب مدروسة للدعوة الإسلامية . . وتتخذ هذه المواقف : إما صورة الرفض الكامل للمجتمع وتأثيمه والخروج عليه لتغييره - رغبة فى تحقيق نتائج عاجلة - أو صورة الانسحاب من المجتمع والهروب منه واعتزاله ، بسبب إحباطات عدم الحصول على هذه النتائج العاجلة . . .

من خلال تجربتكم بالعمل فى مجال الدعوة الإسلامية الحديثة ودراساتكم الواسعة لفقه السيرة النبوية . . كيف ترون معالجة هذه القضية؟

هذه القضية فى مجال الفكر والعمل الإسلامى بالذات - لها سوابق فى التاريخ ، فقديمًا . . وجدوا أخطاء من الحكم أو من الحكام ، فكان موقفهم متباينًا بسبب نوع

الثقافة الذى سيطر عليهم . . فوجدنا مثلاً الخوارج يفزعون إلى سيوفهم ، ويطمئنون إلى عقائدهم ويرون أن حبهم للتضحية ووعد الله لهم بالنصر يتيح لهم أن يخرجوا وأن يقاتلوا وأن يحدثوا فتوقًا فى الدولة لا آخر لها . . .

والنوع الثانى كان يتمثل فى عدد من المتصوفين - الذين اعتزلوا المجتمع وأخطاءه ، والحكم ومآربه وشهواته ، ورأوا أن فى العزلة سعادة وأنه خير لهم أن يتركوا المجتمع بما فيه - وفى العزلة سلامة ، وينظرون إلى الأحاديث التى وردت فى القربة والعزلة ويتأولونها على موقفهم هذا . . الحقيقة التى أراها أن كلا الفريقين مخطئ ، فلا الذين خرجوا معتمدين على وقوع الخطأ وضرورة مقاومته كانوا على الصواب الذى يقرره الإسلام ، ولا الذين اعتزلوا الخاطئين وانحرافاتهم كانوا مصيبين أيضًا .

الإسلام يريد أن يقاوم الخطأ ، ولكنه يضع خططًا بعيدة المدى ، ويجعل الإنسان على اختلاف الزمان والمكان ، وعلى مراحل ممتدة من الزمن يبلغ غايته على مكث ، ولله سنن كونية فى نضج الحقيقة واستوائها فى المجتمع ، مهما كانت عقائدنا ومهما كانت حرارة الإيمان فى قلوبنا ، ومهما كانت ضراعتنا له أن ينصرنا . .

لهذا أرى أن الذين يقومون بالعمل الإسلامى الآن ، يجب عليهم أن يتعلموا من أخطاء الفريقين فى الماضى ، وأن يكونوا أصحاب إيمان وأصحاب غيرة على حرمات الله وأصحاب رغبة فى التغيير إلى ما هو أفضل ؛ ولكن متابعة هذا التغيير حتى يصل إلى مداه لايتم وفق مشيئتنا ، ولكن وفق سنن الله الكونية ، وقد خضع النبى ﷺ لهذه السنن ، وعندما استعجله أصحابه وقالوا له : ادع الله لنا - لأن الآلام التى برحت بهم جعلتهم يجأرون بالشكوى - كانت الإجابة النبوية : «**والله لينصرن الله دينه ولكنكم تستعجلون**» . . كانت الإجابة النبوية ؛ أن الرجل قديمًا كان يؤتى به فيُشق نصفين ما يفتنه هذا عن دينه ، فلابد للإيمان من ضحايا ، ولابد لحركاته التى تغير العالم وتكتب فيه صفحة جديدة من وقود ، يقوم المؤمنون بإمداد سنن الله الكونية بمتطلباتها فى هذا المجال ، وليس لهم أن يستغربوا ، ولا أن يتعجلوا ، وأعتقد أن الاستعجال هنا أو الاستغراب جهل بسنن الله الكونية ، فلم يكن أحد أعظم خُلُقًا ولا أكثر دماثة من النبى ﷺ فى عرضه لحقائق الإسلام ، وفى تلطفه لبلوغ غاياته ، ومع ذلك فإن الذين ربطوا أوضاعهم ومصالحهم بما مضى أو بما استقر من أوضاع ، كانوا حريصين على كره الإسلام ومخاصمة نبيه ، ويقول الله سبحانه وتعالى فى هذا :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[1]

ويقول فى هؤلاء : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[2] .

والمشيئة هنا ليست أكثر من توضيح لسنن الله الكونية .

فى الحقيقة ، يفسر بعضهم هذه الظاهرة بأنها نتيجة عدم فقه السنن الكونية ، والوقوع فى إحباطات نتيجة لعدم الحصول على نتائج . . فحينما لايحصل الإنسان على النتيجة التى يحلم بها أو يراها ، يقع فى إحباط يجعله ينعزل عن المجتمع وينسحب منه أو يخرج عليه أو يذوب فيه ، فالمشكلة تكمن فى عدم إعطاء السنن الكونية علامتها فى العقل الإسلامى ، حتى إن بعضهم يرى أن المسلمين لايفتقدون الإخلاص والإيمان فى هذه المرحلة ـ وقد قدموا الكثير من الوقود للعمل الإسلامى ـ لكنهم يفتقدون الإدراك وفقه السنن التى تحكم الحياة والأحياء . .

فما رأيكم حول هذا التفسير؟

منطق العبودية

لايمكن فعلاً أن يكون إخلاص الإنسان مهما كان عميقًا وحبه لله مهما كان مكينًا ، لايمكن أن يكون هذا وذاك سببًا فى إلغاء السنن التى أدار الله عليها شئون العالم ، فهى سنن مكينة ـ وقد أخضع الله أنبياءه لها ، فلم لايخضع لها الأتباع؟! . .

ثم إن منطق العبودية ـ ولست هنا صوفيًا إنما مقرر حقيقة دينية ـ أن أنظر إلى أقدار الله تعالى على أن هذه الأقدار أرشد من تفكيرى ، ومن خططى . . وهى الجو الوحيد الذى يمكن أن تنضج فيه الحقائق الاجتماعية التى يحتاج الناس إلى أن يعيشوا بها ، ليس ما أفكر فيه أو ما أضع خطته هو الذى يحقق المراد ـ لا ـ نحن عبيد الله . ونلمح هذه العبودية وقصورها وعدم معرفتها للمستقبل وعجزها عن إدراك المصلحة العاجلة فى غزوة بدر . .

فإن جمهور الصحابة كان يريد الثمرة العاجلة : ﴿ . .وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ . . ﴾[3] .

(1) الفرقان : ٣١ . (2) الأنعام : ١١٢ . (3) الأنفال : ٧ .

وكذلك كان جمهورهم كارهًا للمعركة ابتداءً ، حتى إن القرآن يذكر هذا بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾[1] .

هم يساقون إلى الموت فى إحساسهم ، ولكنهم لايدرون أن القدر يسوقهم إلى أعز نصر ستدركه الدعوة الإسلامية فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام . . هذا يجعلنا نضع خطوطًا فاصلة بين تصورنا نحن وإدراكنا للحقائق ، وبين ما يخطه القدر الأعلى لنا ، ولعل ذلك يجعلنا نشعر بأننا عبيد ، وبأن مراد الله تعالى ينبغى أن نستسلم له أكثر ، وأن نستريح إلى نتائجه مهما كانت مرة . .

لماذا يكون غيرنا قديرًا على ربط نتائج عمله بزمن طويل . .

فى أول مؤتمر صهيونى (١٨٩٨م) قال هرتزل : إن إسرائيل ستقوم بعد خمسين سنة . وأراد اليهود أن يحققوا وعد الرجل أو نبوءته ، فأقاموها سنة ١٩٤٨م . . وفى الحقيقة لم يكن هرتزل يفكر فى أنه سيعيش حتى يدرك هذه النتيجة ، ولكن ربما رأى أن ما يعجز هو عنه سيحققه أبناؤه ، وما عجز أبناؤه عن تحقيقه سيحققه أحفاده ، المهم أن جنسًا تتعاون أجياله المتعاقبة على إدراك نتيجة . ماذا علينا نحن المسلمين ـ ونحن نرث أخطاء لها عدة قرون ـ أن نضع خطة بعيدة الأمد لكى نتخلص من هذه الأخطاء ، ولكى يشعر أبناؤنا بأنهم يحملون عبئًا مع الذين وضعوا الخطة ، فإذا كان بعض الناس قضى نحبه ، فإن بعضهم الآخر ينتظر ، والذى ينتظر ربما يموت قبل أن يرى النتيجة ، ولكنه يخلف من بعده من الأولاد أو من الأنصار من يجعلهم يؤدون حق الله عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾[2] .

ولهذا لا أزال أناشد أهل الحق ألا تكون العاطفة الحارة هى التى تسيرهم ، بل ينبغى أن ينضم إلى القلب الواثق عقل ثاقب ونظر دقيق حتى يمكن أن نخدم ديننا ، خصوصًا بعد أن اتسعت مسافة الخُلف بيننا وبين أعدائنا . . إننا من الناحية المعاشية والفكرية والعلمية والفلسفية متخلفون جداً ، الآخرون غزوا الفضاء ووضعوا أرجلهم على بعض الكواكب ويدرسون كواكب أخرى ، ولانزال نحن نعتمد فى الرغيف الذى نأكله على ما يصنعه الآخرون فى الحقول لا ما نصنعه نحن . .

---

(١) الأنفال : ٥ .
(٢) يونس : ٤٦ .

المشكلة فى الواقع ـ تكمن فى أن بعضهم قد يفهم قضية أقدار الله الغلاَّبة ـ والتى يجب أن يطمئن لها المسلم ـ وإرادة الله النافذة فى نهاية المطاف ـ قد يفهم هذا على أنه لون من الجبرية تقعد به عن ساحة التكليف . . . وإتقان المقدمات ، وانتظار النتائج ، ودراسة أسباب التقصير واستدراكها ، حتى لايلدغ المؤمن من جحر مرتين ـ أوما إلى ذلك ـ وحتى لايكون هناك اختلاط بين إيمان الناس بالقدر وبين إتقانهم للعمل وقيامهم به . .

الفارق بعيد بين جبرية ترمى العزيمة الإنسانية بالوهن وتجعل الإنسان يتكاسل ويمشى متثاقل الخطى ، وبين تقدير لسنن الله الكونية . . إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه كلمات كثيرة تعتبر سننًا كونية . . فمثلاً يقول :

﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1] .

ويقول : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا** ﴾[2] . . ويقول فى بنى إسرائيل ـ قديمًا :

﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[3] .

معنى الصبر واليقين أن الأمر يحتاج إلى زمن ـ واستعجال الزمن خطأ ، ومن قوانين الله الكونية أن أعمل وأنا موقن بنصر الله ، لكن ليس من قوانينه أن تنفذ الأمور حسب تقديرى أنا . . فالزمن عندى له ثوانيه وساعاته وأيامه . . حساب طويل ، لكن الزمن عند الله تعالى له حساب آخر :

﴿ **. . وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾[4] وعندما ذهب المسلمون فى غزوة الحديبية كانوا واثقين من أنهم داخلون فى الحرم ومؤدون العمرة ، لكن لفتهم أبو بكر عندما طلبت نفوسهم : (أقال لكم فى هذه السنة؟ . .) . .

إننى أؤكد على هذه المعانى ، لأنى وجدت معارك كثيرة حدثت بين المؤمنين وبين الكافرين أو بين أعداء الله ، كان المؤمنون فيها أصحاب قلوب تنبض باليقين وأصحاب نفوس متوجهة إلى ربها عن إخلاص ولكنها ما أحسنت الخطة ولا درست الميدان ولا قدرت العواقب ، فكأن فى ما أصابنا من هزائم ما يمكن أن ينطبق فيه قوله تعالى :

---

(١) يوسف : ٩٠ .
(٢) القصص : ٨٣ .
(٣) السجدة : ٢٤ .
(٤) الحج : ٤٧ .

﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ . . ﴾[1]

فهزائم كثيرة أصابت الأمة الإسلامية وأصابت المجاهدين فى هذه الأمة ، لأنهم لم يحسنوا التخطيط للمعركة ، والعقل لابد منه ، إنه أثمن هدية أعطاها الله خلقه ، وقد أحصيت كلمة «أولى الألباب» فى القرآن الكريم فوجدتها تكررت فى ستة عشر موضعًا ، ومعنى هذا أن الذين يخدمون الإسلام يجب أن تكون لهم عقول كبيرة . .

التدرج فى التطبيق

فى الحقيقة ؛ يمكن أن يكون فرعًا عن هذا الكلام أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخذ الناس بالتدرج فى التشريع ، وأنه قضى فترة من الزمن فى مكة لم يكسر صنمًا ولم يمارس المسلمون أى عملية مواجهة مادية ، وإنما كانت القضية قضية بيان لحقائق العقيدة الأصلية ، وكانوا يحتملون ما يقع عليهم ويصبرون . . وعندما دخل مكة فاتحًا لم يُبق على الأصنام لحظة واحدة ـ فكان أول عمل بدأ به هو كسر الأصنام ـ فنريد أن نلقى شيئًا من الأضواء للعاملين فى الحقل الإسلامى حول هذه القضية . .

من الممكن فعلاً تقسيم فترة الرسالة بين العهدين ـ العهد المكى والعهد المدنى ـ ومن الممكن أن يقال : إن العهد المدنى كان عهد تشريع ، وإن العهد المكى كان عهد بيان للعقائد وأخذ للنفوس بها وتكوين لمجتمع ؛ أساس الترابط فيه الإيمان بالله وصدق الاتجاه إليه . . ولاشك أن التدرج كان سنَّة فى بعض الشرائع الفقهية الفرعية فى الإسلام ، فمثلاً الربا كان أول ما نزل فيه قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾[2] فهناك تلويح بأن الربا مرفوض ، لكن الحسم فى تنظيف المجتمع من الربا ومحو آثاره كلها كان فى العصر المدنى لا فى العصر المكى . . وآخر الآيات فى هذا نزولاً قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . . ﴾[3] وقوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ . . ﴾[4] وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا . . ﴾[5] فكان التشريع حاسمًا هنا ، وكذلك فى تشريعات الخمر وما

---

(١) آل عمران : ١٦٥ . (٢) الروم : ٣٩ . (٣) البقرة : ٢٧٥ .
(٤) البقرة : ٢٧٦ . (٥) البقرة : ٢٧٨ .

إليها ، لكن لانستطيع أن نقول : إن الذين يعملون للإسلام الآن يتدرجون فى شرح الحقائق الإسلامية العلمية ؛ لأن هذه الحقائق قد اكتملت ، ومنذ نزل قوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . .** ﴾[1] أصبحنا مكلفين بعرض الإسلام كله آية آية وسنة سنة . .

لكن بناء الدولة بعد نشر الدعوة ، هذا لابد فيه من التدرج ، لأن البناء الذى انهدم على عدة قرون لايمكن أن يتم إعادة صرحه من خلال أسابيع أو فى خلال أعوام قليلة ، ولذلك كان كبار المصلحين يقولون : الزمن جزء من العلاج ـ بمعنى أنى لابد أن أقول الحدود تقام وما أقبل مماراة فى حد ـ لكن عند التطبيق فلا بأس أن أشرع فورًا بحد الافتراء . . أو حد قطع يد السارق ، لأن ذلك سهل ويمكن إرجاء بعض الحدود إلى أن تواتينى فرص التنفيذ . . فعلميًا أنا مكلَّف ببيان الإسلام كله ، وعمليًا لابد أن أتدرج فى التطبيق العملى ، وهذا ما تفرضه أحوالنا التى لابد منها ، فالدواء الذى لابد أن يتجرعه المريض ليصحو أعطيه له جرعة جرعة .

القرآن.. والسلطان

هناك قضية تتصل بما بدأنا الحديث عنه . . وهى أن بعضهم يرى أن المسلمين أغنياء جدًا فى الفقه التشريعى ، وفقراء جدًا فى الفقه السياسى بمعناه الإدارى والدستورى ، وما إلى ذلك . . . وهذا قد يدعو إلى شىء من التخبط فى الرؤية السياسية ؛ لأنها لم تزل عبارة عن مبادئ عامة لم تترجم ـ تاريخيًا ـ إلى فقه وبرامج تشكل خصوبة فى التصور عند الفرد المسلم ، يمكن أن يتعامل مع الحياة من خلاله . . . فهل كان هذا ثمرة لانفصال السلطان عن القرآن فى التاريخ الإسلامى؟ علمًا بأن الكثير من الآيات التى وردت تحض على النظر والاعتبار ، والدعوة إلى الشورى هى أقرب فى طبيعتها إلى الفقه الاجتماعى والسياسى منها إلى الفقه التشريعى ؛ وعلمًا بأن النمو لايزال مستمرًا فى الفقه التشريعى ، بينما نعانى من ضمور فى الفقه السياسى . . . كيف يمكن أن يتخلص المسلمون من بعض هذه المعاناة؟ . . .

لابد من الاعتراف بأن فقه العبادات ، وجوانب من فقه المعاملات اتسع عندنا اتساعًا أكثر من اللازم ، وأن الاستبحار التشريعى فى أمور الطهارة والصلاة والحج والزكاة وما إلى ذلك كان أكثر مما يطيقه الفرد المسلم أو المجتمع المسلم ، وقليل من هذا كان يكفى الناس ، كما أنه عدة أسماء لحقيقة واحدة ليس بلازم أن يعرفها الجميع ،

---

(١) المائدة : ٣ .

لكن لاشك أن فى الأمة الإسلامية تخلفًا فى سياسة الحكم وسياسة المال ، فأما فى سياسة المال فمعروف أن فتنة أمتنا المال كما جاء فى الحديث : «**فتنة أمتى المال**» . . والفتنة تجىء من مصادر الكسب ومن طرق الإنفاق ، فلا مصادر الكسب وضعنا لها مصافى تحجب الحرام وتتيح مرور الحلال ، ولا طرق الإنفاق وضعنا عليها رقابات قانونية تمنع التبذير الجنونى وتمنع السفه فى إراقة المال فى غير موضعه ، وربما سبقتنا الآن أمم كثيرة فى هذا ، حيث وضعت للمال سياسات دقيقة فى إنفاقه وفى كسبه ، تظهر فى الموازنات العامة التى تضعها الدول ، فالدول تفرض على الحكومات ألا يؤخذ من الشعب قرش واحد إلا بقانون أو إلا بتشريع واضح يرى معه أن الدولة محتاجة ، ولاينفق شىء إلا بالدقة نفسها التى تتبع فى الكسب ، وإعلان الحرب كذلك لايترك لنزوات فرد يخاصم أو يسالم كيف يشاء ، وإنما الأمة التى تدفع من دمها ثمن الحروب وتضحيات القتال هى التى تبت فى مثل هذه الأمور . .

ولابد فى الحقيقة من أن تكون هناك أجهزة متخصصة فى أمور فنية وإدارية لمعرفة موقع الأمة الإسلامية من الأمم الأخرى وما يعود عليها بالكسب وما يعود عليها بالخسارة ، وأن تكون هناك قوانين تحكم العلاقات وترسم المعاهدات التى تكون بيننا وبين الآخرين .

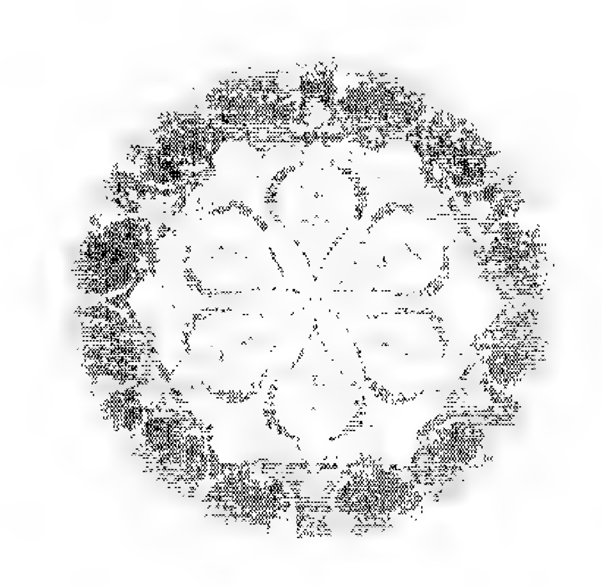
ومع أن الفقه الإسلامى يمثل على الأقل ٥٠٪ من المكتبة الإسلامية ، ومع أن هذا الفقه استبحر عندنا بحيث إنه لاتوجد حضارة عالمية استبحر فيها الفقه كما استبحر فى حضارتنا ، مع هذا فإننا فى هذه الناحية مصابون بضمور كما قلتم - فى بعض المعاملات عندنا - على سبيل المثال نحو (٢٥) كبيرة من الكبائر لم توضع لها عقوبات ، نحن لم نضع عقوبة للتعامل بالربا أو للغصب أو للفرار من الزحف أو لأكل مال اليتيم ، أو للغش ، أو لما يقع من مخالفات كثيرة . . . فهل الحدود التى وضعها الله تغنى عن تشريعات لابد منها فى الميدان الاجتماعى؟ وهل تترك التعزيرات هكذا دون ضوابط ، ودون رصدها بقوانين محكمة؟ الشىء الثانى : وجدنا أن الفقه الإسلامى - حتى فى ميدان الأسرة - قد احتبس فى حدود المذاهب الأربعة حتى جاء ابن تيمية واستطاع أن يصنع عملاً هائلاً عندما رفض طلاق البدعة ، ودخل بهذا مدخلاً معجبًا وكريمًا فى المحافظة على الأسرة الإسلامية ، وإن كان بعضهم يرفض كلامه فى هذا الموضوع ، لكن انفتاح باب الاجتهاد أمام الرجل جعله يضع ضوابط للأسرة الإسلامية ، هذا شىء حسن . . قوانين العمل والعمال لاتزال صفرًا عندنا ونستوردها الآن من الخارج فى إصابات العمل وفى حقوق العامل ، وهذا لايجوز . . القوانين الإدارية إلى الآن لاتزال أيضًا مجلوبة . .

فى الحقيقة ، كأنما المطلوب تحديد الأسباب . . أسباب الضمور فى هذا الجانب والنمو فى الجانب الآخر - هل هو الانسحاب من المجتمع؟ هل هو انفصال السلطان عن القرآن؟ مع أن الإنسان يلمح بأن الآية التى استشهد بها الفقهاء على حجية القياس - وهى قوله تعالى : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ فى سورة الحشر ، بعد أن تكلم عن الحال التى كان عليها بنو النضير - وكيف أخذهم الله بسبب واقع اجتماعى معين - وأن كل من يصيبه هذا الواقع سينتهى إلى النهاية نفسها ، هى أقرب للفقه الاجتماعى منها إلى الفقه التشريعى ، أنا ألمح بأن هذا لون من الفقه للسنن الاجتماعية - عمليًا - صرف إلى الفقه التشريعى وبقيت القضية الاجتماعية أو الفقه الاجتماعى أو السنن المتعلقة بقيام الأمم وسقوط الأمم وقضايا المال بقيت قضايا ضامرة . .

الأمـــة..

نظرًا لأهمية القضايا التى يعالجها الحوار مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى حول «فقه الدعوة الإسلامية - ومشكلة الدعاة» ؛ فسوف نتابع النشر بإذن الله ، ويتناول :

- الانفصال بين القيادة الفكرية والسياسية . .
- مصطلح «المستبد العادل» وتبرير الاستبداد السياسى . .
- البيعة وجماعة المسلمين . .
- إغلاق باب الاجتهاد هو اجتهاد . .
- سقوط الفتاوى الرسمية . .
- الموقع الفاعل للعاملين للإسلام . .



لقاءات المجتمع مع الشيخ محمد الغزالى

الشيخ محمد الغزالى مفكر إسلامى معروف اضطلع بواجب الجهاد الفكرى والعلمى فى وقت مبكر جداً من حياته. فى وقت كانت الأمة - ولاتزال - تحتاج إلى:

● تجديد فكرها وروحها ونظمها الاجتماعية والسياسية والتعليمية . . داخليًا .

● من يرد عنها الغزو الفكرى والثقافى والاجتماعى الخارجى الذى يريد أن يفتنها عن دينها ويجردها من سبب وجودها وهو الاهتداء بالإسلام وهداية الناس به .

يقول الشيخ فى مطلع آخر كتاب أصدره وهو «قذائف الحق» :

من خمسين سنة . عندما عقلت ما يجرى حولى أدركت أن نصف الإسلام ميت أو مجمد وأن نصفه الآخر هو المأذون له بالحياة أو الحركة إلى حين .

وأحسست أن هناك صراعًا يدور فى خفاء أحيانًا ، وعلانية حينًا بين فريقين من الناس .

● فريق يستبقى النصف الموجود من الإسلام . ويدفع عنه العوادى ويحاول استرجاع النصف المفقود . ويلفت الأنظار إلى غيابه .

● وفريق يضاعف الحجب على النصف الغائب ويريد ليقتله قتلاً وهو فى الوقت نفسه يسعى لتمويت النصف الآخر وإخماد أنفاسه وإهالة التراب عليه .

وكلما طال بى العمر كنت ألحظ أن المعركة بين الفريقين تتسع دائرتها وتشترك فيها إذاعات وأقلام . وجماعات وحكومات . ومناقشات ومؤامرات .

وكانت الحرب سجالاً . وربما فقد المؤمنون بعض ما لديهم وربحوا بعض ما أحرزه خصومهم وتنضم إلى معسكر الباطل قوى جديدة . ويزداد الصراع حدة وشدة كلما لاح أن الساعة الحاسمة تقترب .

ونحن نصدر هذا الكتاب فى ظروف شديدة التعقيد .

أعداء الإسلام يريدون الانتهاء منه ويريدون استغلال المصائب التى نزلت بأمته كى يبنوا أنفسهم على أنقاضها .

يريدون ـ بإيجاز ـ القضاء على أمة ودين .

وقد قررنا نحن أن نبقى . وأن تبقى معنا رسالتنا الخالدة . أو قررنا أن تبقى هذه الرسالة . ولو اقتضى الأمر أن نذهب فى سبيلها لِتَرِثَها الأجيال اللاحقة .

من أجل ذلك نرفض أن نعيش وفق ما يريد غيرنا أو وفق ما تقترحه علينا عقائد ونظم دخيلة .

هذه هى - بإيجاز - قصة الشيخ المكافح .

أخذ مكانه فى قافلة المجاهدين فى وقت مبكر ، واستمر فى جهاده وعقد النية على هذا الجهاد «ولو اقتضى الأمر أن نذهب فى سبيلها - رسالة الإسلام - لترثها الأجيال اللاحقة» .

● فى الجهاد العلمى الفكرى المكتوب ألف الشيخ محمد الغزالى أكثر من ثلاثين كتابًا . اتحدت غايتها وتنوعت مجالاتها .

ألف فى العقيدة ، والسيرة ، والخلق . . والاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ، وفى الصراع بين المسيحية والإسلام .

رد على المستشرقين ، ووضع للدعاة قواعد العمل وخريطة السير ، وعرف بالإسلام ، وألف «نظرات فى القرآن» .

كشف أحقاد وأطماع الاستعمار الغربى ، وتعقب الزحف الأحمر «الزحف الشيوعى» فى معاقله وأساليبه وأهدافه ، وكشفه كذلك .

وألف فى أدب الدين والحياة والسلوك «انظر : تأملات فى الدين والحياة - جدد حياتك - الجانب العاطفى من الإسلام» .

● فى الجهاد الفكرى المنطوق ؛ درس الشيخ معاقله وأساليبه وأهدافه ؛ وكشف كذلك ، أفواجًا متتابعة من الدعاة ، وألقى ألوف المحاضرات والخطب ؛ واشترك فى مئات الندوات .

لقد زار الكويت - فى رمضان - بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لإثراء هذا الموسم الإسلامى العظيم بنضارة الفكر ، ورى الدعوة .

وكان لنا معه لقاء :

● فضيلة الشيخ : فى العالم الإسلامى اليوم انتعاشة جديدة تتجه بالناس نحو إسلامهم . فما هو نصحكم لهذا؟ أهى ظاهرة عابرة أم اتجاه طبيعى؟ ثم ما الضمانات التى تدعم هذه الانتعاشة بالاستقامة الفكرية والسياسية؟

● أجاب الشيخ :

الأمة الإسلامية تعرضت - ولاتزال - لضغوط عنيفة ولعدوان ضار مستمر .

الضغط الثقيل إما أن يقضى على الأمم - فى حالة فقدانها لخصائص الصمود والبقاء والنمو ، وإما أن يوقظ خصائصها ويحشد طاقاتها - فى حالة احتفاظها بعناصر المقاومة والبقاء .

والعدوان الضارى المستمر يهيج غرائز الحياة فى الأمة ويرفع درجة استعدادها للرد والردع .

ونستطيع أن نعلل ظاهرة الانتعاش الإسلامى الجديدة فى العالم الإسلامى بالموقفين معًا :

- الاختيار الفكرى للقبلة الإسلامية .
- الاستجابة الفطرية الغريزية للتحدى .

ومن الوعى البناء أن نحذر الخطر الخارجى ونقاومه . لكن الإسراف فى تفسير كل مصيبة تنزل بديارنا بأنها صنعت فى الخارج . لايقود إلى رؤية سليمة ولا إلى موقف صحيح .

إن الأمة حين تتماسك داخليّاً وتحصن جسدها من الأوباء ، وتحسن الإنتاج والإبداع فيه ، وتشغل نفسها بالعظيم من الأمور ـ لاتستطيع القوى الخارجية أن تنال منها .

الخلل الفكرى والاجتماعى والاقتصادى والعلمى فى البناء الذاتى للأمة هو الذى أغرى الخصوم بالتقدم داخل صفوفنا واقتحام حصوننا .

والضمانات التى تصون مبدأ هذا الانتعاش الإسلامى من الانحراف والشطط والسلبية يمكن تلخيصها فيمايلى :

١ ـ إشباع شعوبنا بفيوض متلاحقة من العلم الصحيح والمعرفة السليمة ، فى الدين والدنيا . لقد نقل إلينا التاريخ الثقافى مجموعة من الخرافات المفسدة للفكر والسلوك . ثم جاءت خرافات محدثة ـ اختفت فى أثواب العلم ـ فزادت الفساد والتخريب .

٢ ـ قيادة فكرية رشيدة ترعى الصحوة الإسلامية كما يرعى البستانى الخبير أشجار الفواكه والورود فى حديقته بالرى والتفقد والتشذيب .

٣ ـ تنظيم حملات طويلة المدى لمكافحة الغلو المتمثل فى طائفتين من الناس :
   - طائفة المغالين فى تجريد الدين من فعاليته وشموله .
   - وطائفة المغالين فى التشدد وإصدار الأحكام القاسية على الناس .

٤ ـ تخطيط مرحلى للعمل الإسلامى : كل مرحلة من العمل الإسلامى تكون بمثابة تمهيد لمرحلة تالية ، فمن مفسدات الأعمال : الخلل فى ترتيب الواجبات وعدم القدرة على توزيع الإمكانات المادية والزمن والقوى البشرية توزيعًا يضع كل شىء فى موضعه .

هذه ـ فى تقديرى ـ هى الضمانات التى تجرى النشاط الإسلامى فى مجرى آمن .

ـ كيف تفسرون حرب لبنان فلقد كثرت التفاسير السياسية والطبقية لهذه الحرب . لكن ما الجذور العميقة وراء هذا الصراع ؟

● قال الشيخ محمد الغزالى :

الحرب صليبية . هذه حقيقة لايستطيع منصف أن ينكرها ، وهذا التفسير لايسقط الأسباب الأخرى من الحساب .

عالميًا . . مطلوب دولة مسيحية فى لبنان ، فالسياسة الاستعمارية العالمية قررت أن يكون وجه لبنان مسيحيًا ، مع أن غالب سكانه من المسلمين .

والفرق العسكرية المارونية المقاتلة فى لبنان لاتخفى شيئًا من نيتها وهدفها .

بيير الجميل نفسه يقول إن للكتائب وظيفة رسولية ؛ أى مهمة دينية سماوية .

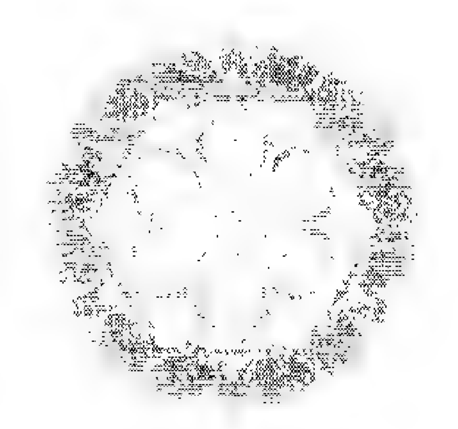
والكيان الذى يراد فرضه ـ أقوى وأهم ـ على لبنان يكره العروبة والإسلام معًا ، وهو يؤثر الحديث بالفرنسية على العربية ويبدى مقته الشديد للإسلام ونبيه وتاريخه وحضارته .

وطبيعى أن يضيق المسلمون بهذا الوضع ، وأن يتململوا تحت ضغطه ، وشدة الضغط تولد الانفجار .

وخلاصة ما يريده الاستعمار إبقاء لبنان غير مقسم على أن تكون الهيمنة فيه للمسيحية والذل فيه للإسلام .

والعجب أن الحكومات العربية المجاورة تميل إلى هذا ، وهى تستر الوجه الصليبى البارز فى لبنان بأقنعة غريبة ؛ فهى تسمى المسيحيين باليمين والانعزاليين والفاشيت والإمبرياليين . حتى تستر الوجه الصليبى المعروف وتستر مخالبه الباطشة بقفازات من حرير .

والسؤال الذى نوجهه لأغنياء العرب والمسلمين بعد أحداث لبنان الرهيبة : ماذا سيفعلون بإزاء تأمين الكيان الصهيونى جغرافيًا والإجهاز على المقاومة الفلسطينية التى تريد العودة لوطنها ، وماذا سيفعلون بإزاء أكثرية مسلمة تريد أن تظهر تعاليم دينها؟! وأخيرًا ماذا سيفعلون أمام قلة نصرانية ولاؤها ليس للعروبة وإنما ولاؤها وراء البحر الأبيض المتوسط؟!



الجولة الثانية من الحوار
مع الشيخ محمد الغزالى

فى عدد سابق قدمتْ المجتمع الجولة الأولى من الحوار الذى أجرته مع الداعية الإِسلامى فضيلة الشيخ محمد الغزالى .

وفى هذا العدد نقدم الجولة الثانية .

● فضيلة الشيخ :

كيف تتصورون مستقبل مصر - فكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا؟

كيف تتصورون ذلك كله فى ظروف التحدى السافر بين الإِسلام والصهيونية . وظروف الهجمة الاستعمارية الجديدة على مصر؟

● أجاب الشيخ :

لمصر دور تاريخى تقليدى فى حماية الإسلام ثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا .

وأرى أننا لم نتنكر تمامًا لهذا الدور الطبيعى فإن الشعب المصرى متدين ويحب الإسلام حبًا جمًا ويحب اللغة العربية وآدابها . وقد حدث أيام جمال عبد الناصر أن وجهت للإسلام إهانات بالغة وأصابته جراحات عميقة . وأذكر أن المرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأخير قال : لما سقطت الأستانة بتدبير القوى الشريرة العملية للاستعمار - وهى قوى كانت منتشرة فى الأستانة - انتقلت تلك القوى إلى القاهرة بوصفها - أى القاهرة - المركز الإسلامى الثانى فى العالم .

ولا أنكر أن الحرب التى تعرض لها الإسلام أيام جمال عبد الناصر وقبله - والتى لاتزال تشعلها عناصر ظاهرة ومستورة - قد أثرت فى أمتنا . بيد أن من الكذب القول : بأنها هزمت الإسلام فى ضمائرنا وأفئدتنا وصفوفنا الشعبية فتربة مصر لاتزال - بحمد الله - تنبت الفتية المؤمنين . والمجتمع المصرى دائم الحنين فى العودة إلى الإسلام وإقامة شريعته .

المعركة فى بدايتها

ورأيى أن المعركة لاتزال فى بدايتها ، فإن الكائدين للإسلام لم يقذفوا بقواهم كلها فى المعركة .

والجبهة الإسلامية لاتزال مبعثرة ومشغولة بما لا يفيد .

ومع الأيام المقبلة لم يبق إلا واحد من احتمالين .

● إما أن نعتصم بالإسلام .

● أو ننسلخ عنه .

لكنى كبير الثقة فى أن أمتنا لن تنسى دينها ولن تخون رسالتها .

وأود أن أتوقف بعض ثوانٍ لأقول :

إن المسلمين فى مصر يبلغون ما بين ٩٢ إلى ٩٣ بالمائة من السكان .

وأن الأقلية المسيحية من أسعد الأقليات فى العالم فى الجوار الإسلامى السمح الطيب .

ولست أخاف من مؤامرات استعمارية لتحريك أفراد من الأقلية المسيحية ضد المسلمين ، فإن العقلاء يرفضون ـ بمنطق المصلحة ـ الاستجابة لإغراء الخيانة الذى يعرضه الصليبيون واليهود والشيوعيون وغيرهم .

ومعنى هذا أن الدور الإسلامى لمصر سوف يبقى ولن يعترض بشىء ذى بال .

أمام مصر الآن مسئوليات ثقال :

● أمامها ـ من الناحية الإقليمية ـ أن تحرر ترابها الوطنى . وهو جهد له مغارمه التى يجب أن تحسب .

● وأمامها ـ وأمام غيرها من الشعوب الإسلامية ـ أن تعيد الفلسطينيين إلى وطنهم .

ولابد من لفت النظر إلى خطأ لايزال يرتكب وهو :

أن قضية فلسطين عربية أولاً وآخرًا .

هذا مفهوم خاطئ يجب أن يصحح حتى يعرف الصديق والعدو أن فلسطين قضية إسلامية أولاً وآخرًا .

والعرب المنسلخون عن الإسلام أقل وأذل من أن يحرروا فلسطين .

إنما يحرر فلسطين الإسلام القائم فى مصر والشام ـ حيث مواقع المواجهة ـ بالاشتراك مع كافة المسلمين كعمق شعبى وجبهة إسناد استراتيجى ضرورى .

وأى القطرين يصحو بالإسلام ويحيا له فإن من أيسر الأمور عليه ـ أن يرد الحق لأهله ، فكيف إذا قامت نهضة إسلامية حقيقية فى القطرين معًا؟!

وحين نقول الإسلام لانعنى الشعار المنفصل عن الواقع ولانعنى الانتساب المجرد .

وإنما نعنى الالتزام الصادق بالإسلام فى كافة شئون الحياة . . الفردية والجماعية .

إننى لا أزال عند رأيى أن ضرب الإسلام فى مصر مخطط عقائدى سياسى رهيب رسمته أصابع الصهيونية .

وإذا لم يكن الذين ضربوا الإسلام عملاء موظفين فى المخابرات الاستعمارية الصهيونية ، فقد قاموا بدور العملاء وأدوه أداء كاملاً ، وجنت مصر والشام أمر الثمرات من أعمالهم الخائنة .

إن مستقبل مصر فى المجالات التى ذكرت يحتاج ـ لكى يكون التحول إلى مستوى أفضل ـ إلى :

١ ـ قيادة فكرية تنسخ المناهج المناهضة للإسلام فى التعليم والتثقيف والإعلام ، وتقود الأمة إلى أفق إسلامى جديد فى التربية والتوجيه .

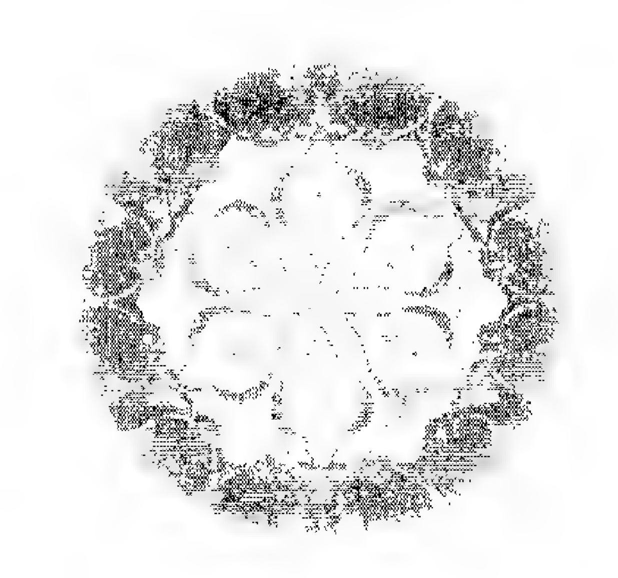
٢ ـ حرية وطيدة القواعد والأعراف موفورة الضمانات . .

٣ ـ توازن اقتصادى يعتمد ـ أصلا ـ على ركيزتين .

(أ) الإنتاج الذاتى .

(ب) التوزيع العادل .

٤ ـ سياسة اجتماعية وأخلاقية تعين الناس ـ بشتى الوسائل ـ على الاستقامة والسمو . لا أن تغريهم بالانحراف والسقوط .



حوار مع الداعية الإسلامى
الشيخ/ محمـــد الغـــزالـــى
رئيس المجلس العلمى للجامعة الإسلامية بالجزائر

ينشط أعداء الإسلام فى الحاضر - على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم - للنيل من المسلمين ، والإيقاع بهم لصرفهم عن الغاية الكبرى والسامية فى الاستمساك بقيم وأصول وأحكام الدين الحنيف . . فالصهاينة واليهود والمنصرون والملاحدة والطوائف الضالة يجتمعون - رغم ما بينهم من افتراق - على شىء واحد هو الحقد على الإسلام والمسلمين فى كل أطراف الأرض .

ومن هنا تأتى أهمية أن يزيد المسلمون من يقظتهم وحذرهم فى مواجهة مكائد الأعداء تحصينًا لمجتمعات المسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم وجمعًا لشملهم ، وإنهاء لفرقتهم المعيبة التى دُسَّت عليهم أسبابها بفعل أعداء الله وأعداء الدين .

إن واقع المسلمين المعاصر بما حوى من متناقضات فى مجالات عديدة ينذر بخطر شديد ، ذلك أن أعداءهم - برغم ما يعيشون من حقد وزيف وضلال - أصبحوا يسبقونهم فى ميادين عديدة . . ونظرة واحدة على تاريخ السلف الصالح كافية لتأكيد أن دعاة الحق فى الماضى إنما كان لهم النصر على أعدائهم ، وكانت لهم السيادة والعزة بقيامهم بواجبهم نحو الدعوة إلى الله تعالى والاستمساك بقيم الدين وتعاليمه السامية .

والدعوة إلى الله تعالى واجب المسلمين جميعًا ، كل حسب قدرته واستطاعته وعلمه . . غير أن هناك من الأسئلة الكثير الذى يتبادر إلى الذهن حول مسيرة الدعوة الإسلامية فى الحاضر ، وثقافة الداعية ، ومحاولات أدعياء المذاهب الإلحادية لاستقطاب شباب المسلمين . . وغيرهما من الموضوعات التى طرحناها على فضيلة الشيخ محمد الغزالى رئيس المجلس العلمى للجامعة الإسلامية بالجزائر . . وكان هذا الحوار :

● ما مدى اضطلاع الأمة الإسلامية بدورها تجاه الدعوة إلى الله عزَّ وجل فى الوقت الحاضر ؟

لاشك فى أن الأمة الإسلامية أمة دعوة إلى الله عز وجل ، وهى بهذا تميزت عن سائر الأمم . . قال سبحانه وتعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[1] غير أن المؤسف حقًا أن قطاعًا عريضًا من الأمة الإسلامية لايدرك هذه الحقيقة ، ومن ثم يجهل تبعًا لذلك حقيقة أن أمتنا مكلفة بقيادة البشرية إلى الخير والفضيلة ، وتوجيهها إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده من خلال الالتزام الصادق بتعاليم الإسلام وأحكامه ، التى تحوى أسباب سعادة الناس فى الحياة الدنيا وفى كل منحى من مناحيها .

والحقيقة أن المرحلة التى تمر بها الدعوة الإسلامية فى الحاضر مرحلة صعبة للغاية ، ذلك أن الوصول إلى النجاح فى مجال العمل الدعوى ، إنما يتطلب وجود عناصر عديدة ، وتوافر عوامل مساعدة كثيرة . . وأغلب تلك العوامل مفقود ، وهذا ما يجعلنى أردد دائمًا وعن اقتناع كامل أن الإسلام باقٍ بجوهره ، وأن بقاءه من خوارق العادات ، ولولا نقاء جوهر الرسالة الإسلامية ، ولولا وجود سر خفى فيها لما بقيت فى ظل هذا الحاضر الأليم الذى تميزه شدة أعداء الدين ، وتخاذل أتباعه وقصور وسائلهم الدعوية ، مما ألحق بهم هزائم شتى فى مواطن لا حصر لها .

إن أفضل ما يمكن للأمة القيام به فى الحاضر هو إحياء الولاء لله والانتماء للأمة فى نفوس المسلمين ، وإيقاظهم من غفوتهم التى طالت ، إعلاءً لراية الإسلام وجمعًا للكلمة الإسلامية وتوحيدًا للصف ، فهذا كله من شأنه أن ينهض بمسيرة الدعوة الإسلامية .

شخصية الداعية المسلم:

- هل اختلفت صورة الداعية فى الحاضر عن سلفه فيما مضى من قرون ؟

أرى أن واجب الدعاة المعاصرين أن يقبلوا على تفهم حقيقة الدين الإسلامى الذى يحملون أمانة الدعوة إليه بين البشر من مختلف الألوان والأجناس والألسنة . . وعليهم أن يجتهدوا فى تكوين اتصالهم الفكرى والعاطفى بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإدراكهم إدراكًا صحيحًا .

ولايكون داعية ناجحًا من لايبذل قصارى جهده فى أن يكون طالب علم طوال أيام عمره ، فالغوص فى الثقافة الإسلامية سواء القديمة أو الحديثة أمر لا غنى عنه لأى

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

داعية . . والثقافة الإسلامية القديمة أعنى بها نتاج علمائنا من السلف الذين طوّفوا بين مختلف المعارف الدينية وغير الدينية وتركوا لنا تراثًا هو مفخرة الثقافات كلها .

أما الثقافة الإسلامية الحديثة فاجتهادات علماء الإسلام المعاصرين ممن استفادوا بشكل طيب من مختلف التجارب التى خاضها المسلمون فى الماضى . ومن تاريخ العلوم الدينية والعلوم الإنسانية . . وهذا كله من الضرورات بالنسبة لدعاة هذا العصر حتى يواجهوا بعلوم تحدياته وقضاياه التى تجدّ به .

تربية الأجيال الجديدة على الإسلام :

● أكدتم أهمية تربية أجيال المسلمين على الولاء والانتماء للإسلام . . فكيف ترون الطريق الأمثل لبلوغ هذا ؟

المؤسف حقًا أن المسلمين فى حاضرهم تشغلهم قضايا مصطنعة ودخيلة دستها عليهم أيدى أعدائهم عن العناية بقضاياهم المهمة التى تحتاج منهم للرعاية والجهد لضمان مستقبل مشرق لأمتهم . . ومن ذلك رعاية متطلبات التربية الإسلامية الصحيحة للأجيال الجديدة ، بغية إيجاد وتكوين أجيال صادقة فى علاقتها بربها سبحانه وتعالى وبدينه الحنيف ، وموطدة لعلاقتها بمجتمعاتها عن طريق الولاء الكامل والانتماء الواعى للمسلمين كأمة تدين لله الواحد سبحانه وتعالى ، وتربطها لغة واحدة ، وتاريخ واحد ، وهدف واحد ، ومصير واحد .

ولعل أهم خطوات العلاج المنشود تتمثل فى توجه المسلمين للتعرف الكامل والدقيق على حقيقة وحجم ما أصابهم من نكبات وآلام ومصائب ، حتى يتسنى لهم أن يختاروا من الأساليب والوسائل والمناهج ما يصلح لتنشئة الشباب والأجيال الجديدة على قيم الإسلام وتعاليمه السمحة .

إن ضعف الولاء للإسلام جعل بعض أبناء المسلمين يخرجون على أهليهم زاعمين أن العودة إلى أحكام الإسلام نوع من الرجعية أو الانهزامية النفسية إلى غير ذلك من العبث الفكرى الناتج عن التشويش المتعمد ضد تعاليم الدين ، وهذا ما يوضح حجم الكارثة ، ويؤكد ضرورة العناية بتربية النشء داخل المجتمعات الإسلامية ، وحبذا لو أعدت مناهج تعليمية ، وخطط ، وبرامج يمكن بها تعهد الناشئة ورعايتهم فى مختلف سنى أعمارهم ، والقدوة الصالحة ضرورة لتخليص الشباب من تخبطهم وحيرتهم .

القضاء على التيارات الإلحادية :

● ينشط أدعياء المذاهب الأرضية والنظريات الوضعية لاستقطاب المسلمين ، وصرفهم عن الاستمساك بتعاليم دينهم . . فكيف ترى واجب دعاة الإسلام فى مواجهة هؤلاء الأدعياء ؟

من المؤلم أن بعض دعاة الإسلام لايدرى شيئًا فى كثير من القضايا المعاصرة ، ولذا فهو يتوقف عن الأخذ بالجديد الذى يصل إليه علماؤنا المخلصون من خلال جهودهم ودراساتهم وبحوثهم ، ومن ثم يقف هذا البعض عند معارفه القديمة التى يرددها دون أن يستخلص منها النافع للأمة فى هذا الوقت الذى تواجه فيه بمناهج اقتصادية واجتماعية وسياسية انتفعت بكل ما وصل إليه البشر من معارف حديثة .

ولاينبغى ـ والحال على هذه الصورة من تكالب الأعداء على الدين ـ أن يفوت دعاة الإسلام ضرورة دراسة الفرق والتيارات المعادية بجوار دراسة الإسلام فى معارفه القديمة والحديثة دراسة واعية وجادة يقفون من خلالها على الأسباب التى جعلت تلك الفرق والتيارات تكسب مساحات من الأرض ، وتستحوذ على آلاف العقول ، ومن ثم يمكن التصدى لها .

ومع دراسة كل تلك الفرق دراسة موضوعية فإنه بإمكاننا أن نعرف كل ما يراد بنا ، وما يُبيت لنا ، ومن ثم يسهل على المسلمين دفع المخاطر عن أمتهم .

لاتراجع للوراء :

● يبدى البعض تخوُّفًا على مسيرة الصحوة الإسلامية المعاصرة فى مواجهة مكائد الأعداء وتربصاتهم . . فهل ترى أن هذا التخوف له مكان فى الواقع الإسلامى ؟

لست مع المتخوفين على مسيرة الصحوة الإسلامية ، ذلك أنه تخوف لا مكان له مطلقًا . . والصحوة ـ والحمد لله ـ لاتزال قوية ومنطلقة فى الطريق الصحيح . . . وأرى أنها تستفيد من مكر أعداء الإسلام ، ومن مؤامراتهم الوضيعة ، وأستطيع أن أؤكد أنها لاتتراجع للوراء ، وإنما تتمسك بقواعدها ومواقعها .

ولاجدال فى أن هذه الصحوة الإسلامية استرعت انتباه الكثيرين ممن عانوا فى ظل النظم الوضعية والمذاهب المادية . . وإن كانت الصحوة تواجه بأعداء ألداء فأنا على اليقين من أنها ممتدة ومنطلقة إلى آفاق جديدة ومساحات أوسع .

إن واجب المسلمين جميعًا أن يدرسوا حقيقة أن الصحوة الإسلامية باقية ولن تخمد إلى قيام الساعة ، وذلك أن الله تعالى قد ضمن لها البقاء والخلود كما ضمن الخلود والبقاء لكتابه العزيز قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[1] .

عودة الأمة لأصالتها:

● كيف يمكن الاستفادة من الصحوة الإسلامية فى إعادة الأمة إلى سالف مجدها فى القوة والسيادة؟

أعتقد اعتقادًا قويًا أن الأمة الإسلامية إذا كانت ستصاب بالوهن والضعف فى وقت من الأوقات فإنها ، سوف تتخلص من الداء وتبرأ من المرض عما قريب ، غير أن الأمر يحتاج من الإسلاميين الذين يعملون لرفعة هذه الأمة ، ورفع لوائها عاليًا خفَّاقًا أن يكونوا فاهمين لحقيقة الدين الحنيف ومدركين لغاياته السامية النبيلة .

وعلى المسلمين أن يدركوا أن تخلفهم الحاضر من عند أنفسهم ، وأن العيب فيهم ، فليس للإسلام الحنيف دخل فى تخلفهم أو ضعفهم قال تعالى :﴿ **أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[2] .

والخروج بالأمة الإسلامية من حاضرها المؤلم يتطلب بالضرورة مراجعة خططها ، والبحث عن أسباب الوقوع فى الأخطاء حتى تتلافاها مستقبلاً . . وليعلم المسلمون أنه يسير أن تكون لهم الخلافة فى الأرض دون أن يملكوا أسباب الاستخلاف ؛ ذلك لأن الإمامة والقيادة والسيادة فى الإسلام إنما تكون لعباد الله المخلصين الذين نجحوا فى الإذعان لتعاليم الإسلام والاستمساك بأحكامه وقيمه ومبادئه .

(١) الحجر : ٩ .

(٢) آل عمران : ١٦٥ .

مراجعة لا رجوع

لا أزال ألح على مراجعة تفكيرنا الدينى ، وأساليب حكمنا على الأشياء والأشخاص!!

لقد سقطت الخلافة العثمانية من ستين سنة ، وانفرط عقد الأمة الكبيرة على الصعيد العالمى ، وكانت خسائر «الرجل المريض» قد تلاحقت قبل وفاته ، ثم تقاسم الأقوياء تركته ، وأمست الأمة الإسلامية بلا أبوة روحية ولا ثقافية ولا سياسية ، فهل وقفت الأمة اليتيمة وقفة تأمل واعتبار فيما أصابها؟

وهل تساءل العقلاء عن أسرار نكبتها ؟

كم كتابًا أُلِّف فى أسباب تخلفها الحضارى ؟

كم كتابًا أُلِّف فى تشريح العوج السياسى ، والقصور العلمى ، والانهيار اللغوى ، الذى عرا هذه الأمة ؟

كم كتابًا أُلِّف فى طبيعة التركيب الجنسى ، والخلافات العرقية التى كانت تكون الدولة الغاربة ؟

كم كتابًا أُلِّف فى تطوُّر العلاقات الدولية مع جمود الفقه عندنا ، أو فى تطوُّر النهضات الإنسانية مع عكوفنا على الصور والأشكال الجوفاء؟

بم شغلنا؟ وبماذا نشغل الآن ؟

إن مراجعة تفكيرنا الدينى ضرورة ماسة ، ولا أعنى بتاتًا رجوعًا عن أصل قائم أو فرع ثابت ، فهذا والعياذ بالله ارتداد مقبوح!

هناك فرق بين الرجوع والمراجعة !

إننى أعنى بالمراجعة : الحساب العقلى الشديد على مواقفنا من أنفسنا وديننا ، وماذا فعلنا ، وماذا تركنا ، وماذا قدمنا ، وماذا أخرنا؟

وكل محاولة للنهوض ـ دون هذه المراجعة الواجبة ـ قد تكون تكرارًا للمأساة . . .

وهذه المراجعة سهلة ما دمنا ننطلق من قواعد معصومة أساسها الكتاب والسنة .

على أنه لابد من إبعاد العقول الملتاثة عن علم الكتاب والسنة ولابد من تنقية منابعنا الثقافية حتى تروج أقوال الأئمة والعباقرة ، وأهل الذكر ، وتستخفى أقوال المعلولين وأذناب السلطات وأشباه العوام .

أؤكد أننا لانبدأ من فراغ ، فالعلماء الراسخون كثيرون فى تاريخنا الطويل ، وإن كان فساد الحكم قد طوى أسماءهم ، وأهان تراثهم ، وقدَّم عليهم من لا يساوى قلامة أظافرهم . . .!

والآن ـ بعد ما دفعنا ثمن هذه الخيانات ـ يجب أن نراجع ثقافتنا وسياستنا . . .

إن الحق يدعم صاحبه وينفعه ، والذى يعيش وفق جملة من الحقائق العقلية والخلقية والاجتماعية غير الذى يعيش فى عالم من الترهات والأباطيل . .

والاستيحاش من الحق أو الاستكبار عليه لايتركه القدر دون عقاب عاجل أو آجل . . فإن حافظ السموات والأرض لايترك أصحاب الهوى يفسدونهما كيف شاءوا ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ** ﴾(١) .

والمهم عندما نتيه عن الحق ألاَّ يطول شرودنا عنه ، وأن نعرف بدقة ما الخطأ الذى ارتكبناه ، وما الصواب الذى نتشبث به ؟

وفى تراب الهزيمة التى حلَّت بنا ماديًا وأدبيًا وقف مسئول مخبول يقول : إن الصلاة والصيام هما علَّة ضعف الإنتاج . .!

وقلت ، وقال أهل الرشد كلهم : إن الطريقة التى وليت بها الحكم أيها المستبد الأعمى هى سر تخلفنا العام . .

وقال أحد الزهاد : إن حب الدنيا وكثرة المال هما . . . وقبل أن يتم حديثه ، قلت : الأمريكيون أكثر من العرب مالاً وأعز نفرًا . . . وهم خير من العرب حالاً . .

وقال آخر كلامًا لا أثبته . .!

إن علاج أمة ظلت قرابة ألف عام رفيعة القدر ثم هوت من حالق دائخة الفكر ، مضطربة الخطو ، لايمكن أن يتم بكلمات مرتجلة وأحكام نزقة . .!!

أولى الخطوات الشجاعة أن نعترف بأغلاطنا ، وهى كثيرة ومفزعة ، ومتغلغلة فى ماضينا . . ثم نبدأ حركة التصحيح بتؤدة وعزم ومضاء . .

ويحزننى أن أقول : إن جيشًا من الدهماء يملأ آفاق العمل الدينى ، لايحسن درس القضايا ، ولا إصدار الأحكام!

---

(١) المؤمنون : ٧١ .

والجنون مراتب ، هناك جنون مطبق يسقط عن صاحبه التكليف ، وهناك جنون جزئى يجمع بين المتناقضات دون حرج! وإلى هذا النوع من الجنون يشير القرآن الكريم عندما يقول لنفر من أهل الكتاب : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾[1] .

نعم ، أين العقل فى هذا التصرف؟

فى هذا الميدان رأيت نوعين من الناس ، نوعًا لايستطيع الرؤية لعجز فى حاسته ، ونوعًا يرى ولكنه مشدود بالهوى إلى شىء آخر مسيطر عليه ، كلا النوعين لا يصلح لعمل إسلامى محترم ، لأن الإسلام لايصلح له إلاَّ أولو الألباب .

والواقع أن سلامة التفكير واستقامة الخطو هما لباب الدين ، وأين تجد الدين مع الغباء المستحكم والعوج الغالب؟ الدين عندئذ مراسم مجلوبة على فراغ ، ولا قيمة للتاج على رأس مجنون .

هناك آيتان تتحدان موضوعًا وإن تغايرتا أداءً . . قوله تعالى :

﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)** ﴾[2] .

وقوله تعالى :

﴿ **مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[3] .

العمل الحسن المتقن الجيد هو الطريق إلى الله ، وبقدر جهد صاحبه فى إبرازه على خير وجه ، وابتغاء وجه الله به ، تكون مكانته ، هذا معنى الآية الأولى . . .

أما الآية الثانية فقد أشار صدرها إلى حقيقة فلسفية مقررة هى قيام الكائنات بربها ، واعتمادها فى وجودها وبقائها على إيجاده وإمداده .

فمن تتبع هذا المعنى فى الأنفس والآفاق ولزم سيره فى هذا الخط القويم عرف الله ، وتجاوب مع وصاياه ، واستقر على هداه . . .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : ﴿ **ما مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** ﴾ (أى تحت قهره وسلطانه ، وهو الحاكم العادل الذى لايجور فى حكمه ، فإنه على صراط مستقيم ،

---

(١) البقرة : ٤٤ . (٢) العنكبوت : ٦٩ . (٣) هود : ٥٦ .

روى الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن أيفع بن عبد الكلاعى أنه قال: ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ قال: يأخذ بنواصى عباده، فيلقن المؤمن حتى يكون له أشفق من الوالد لولده، يقول: ما غرك بربك الكريم؟

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاء به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التى لاتنفع ولا تضر ولا توالى ولاتعادى، وإنما يستحق إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له، الذى بيده الملك وله التصرف، وما من شىء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه . .» .

وينظر صاحب المنار إلى الآية من جهة أخرى فيقول: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أى على طريق الحق والعدل، لايسلط أهل الباطل من أعدائه على أهل الحق من رسله ومتبعيهم من أوليائه! ولايضيع حقًا ولا يفوته ظالم» .

وما يقوله الشيخ رشيد يقع بعد الاختبار المحتوم بين الحق والباطل، هو اختبار قد يتعرض فيه الحق للهوان، وقد يملك الباطل فيه السلطان، ولكن إلى حين!! ثم تكون العاقبة للمتقين . .!!

إن كلا المفسرين الكبيرين وضح طرفًا من الآية، والذى أريد إبرازه أشمل وأخصر . . .

إن الذى يتحرى الحق ويلتزم منهجه، ويحرص عليه ويتجنب الانحراف والزيغ لابد أن يصل إلى الله، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾[1]، قال مجاهد: «طريق الحق . . على الله» أى يدل عليه ويبلغ إليه حتمًا، ويؤيد ذلك ابن كثير فيقول: أخبر سبحانه وتعالى أن ثمَّ طرقًا تُسلك إليه فليس يصل منها إلا طريق الحق، وهى الطريق التى شرعها ورضيها، وماعداها مسدودة والأعمال فيها مردودة، ولهذا قال: ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أى حائد مائل . .!! والحائد عن الصراط المستقيم لايصل إلى الله أبدًا .

وعندما تبجح إبليس، وظن أنه قادر على إغواء البشر، أخبر رب العزة أن الطريق إليه لايتطلب عبقرية خارقة، ولايكلف مشقة بالغة، إنه طريق سهل قريب ممهد ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[2] .

---

(١) النحل: ٩ .

(٢) الحجر: ٤١ - ٤٢ .

والمقارنة بين خلال (صفات) المحقين والمبطلين تكشف عن طبائعهم ، وتحدد وظائفهم الاجتماعية ، فالبعداء عن الله لايعرفون الحق ولايقولون به؟ مواهبهم البشرية مطموسة وقدراتهم مشلولة ، ومن هنا فإن مجتمعاتهم طافحة بالشرور ، مشدودة إلى الوراء ، لاتقدر أن تقدم لنفسها ولا لغيرها خيرًا ، وتدبر قوله تعالى يصف أولياءه وأعداءه : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[1] .

إن الأمة المسلمة حقًا بريئة من الصفات الأولى ، معروفة بالصفات الأزكى والأرقى ، فهى مشهورة بالعدل آمرةٌ به ، وهى فى الأسرة الدولية قوامة بالقسط فى كل مجال ، وهذا القيام ناضح من إقساطها فى حياتها الداخلية وبناء شعوبها على المعروف والحق . .

أمر المسلمين لايقوم على دعاية كذوب ومزاعم جوفاء ، وما تقوم أمة على هذا الهزل الذى نرى أنه يداوى الجهل بالعلم ، والخطأ بالصواب ، وأنه بالتربية النفسية والعقلية يعرف المرء ربه وباستقامة اللب والقلب يلتقى المرء مع مولاه!!

وأن التدين مع العوج الفكرى والنفسى نوع من الخبال تتجاور فيه المتناقضات ، وقد تضيع فيه الحقيقة ويبقى الشكل الذى لا وزن له . . .

وهذه الحقائق تشمل الأفراد والجماعات ، بل لعل آثارها أكثر فى تاريخ الأمم منها فى تاريخ الآحاد من الناس . . .

إن الارتقاء العقلى والخلقى لمجتمع ما قد يغطى القصور لدى بعض الناس ، ولكن الارتقاء الجزئى لايغطى قصور الجماعات ولايوارى سوآتها . . .

التقيت بالأستاذ الإمام حسن البنا قبل يوم من استشهاده ، وعانقته وأفزعنى أنى عانقت عظامًا معلقة عليها ملابس! كانت الهموم قد اخترمت جسد الرجل فلم تبق منه إلاَّ شبحًا يحمل وجهه المغضن العريض .

وشرع يحدثنى كما يحدث أى تلميذ له .

---

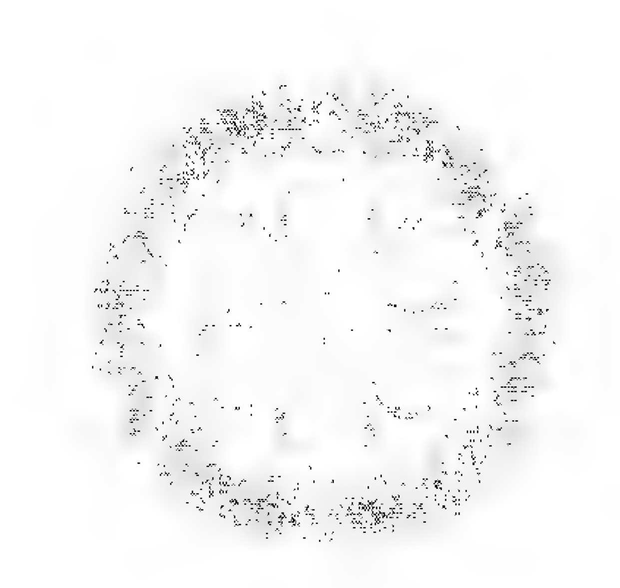
(١) النحل : ٧٦ .

قال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لعدت بالجماعة إلى أيام «المأثورات» ، واستبنت ما يعنى ، لقد واجهت قلة من المؤمنين طوفانًا من المتاعب والمآسى مما مع الليالى السود! أين النَّاس؟ أين المسلمون ؟

أعداد كبيرة تبحث عن الطعام ، وأخرى تبحث عن اللهو ، وثالثة تلهث وراء آمالها فى هذه الدنيا!!!

وهؤلاء المصلون الخارجون من المساجد! أما يهتمون بدينهم الموشك على الغرق؟ إنهم كثيرون لكن لا وعى ولا حراك!! إن القصور الفقهى والأدبى حوَّلهم إلى غثاء لا خير فيه . . إن السواد الأعظم يحتاج كل الاحتياج إلى إحياء تربوى طويل ، والمعركة قبل ذلك قليلة الغثاء! نعم سيضرب الدعاة جند أشبه بالآلات ، وسيقف الجمهور يتفرج ويتسلى كأن الأمر لايعنيه . .

ألا نعيد النظر فى تفكيرنا ووسائلنا؟!



مشكلات الشباب فى العالم الإسلامى

شبابنا . . هم ذخيرة أمتنا ، وقوارب النجاة لها ، وهم عدة الحاضر وأمل المستقبل ، ومشكلات الشباب يجب أن تُدْرس ، وأن تناقش ، وأن تجد الحل المناسب والسريع . . فلابد من وجهة إسلامية للشباب ، ولابد من تربية إيمانية عن طريق العزة والهداية ، حتى يتحملوا واجبهم ، ويؤدوا دورهم فى تسيير ركب الحضارة الحديثة ، ويرفعوا الغبن عن أمتهم ، ويذودوا عن حمى ديارهم وأوطانهم وإسلامهم ، فهم عدتها وعتادها ، خاصة ونحن نملك طاقة هائلة من قوى الشباب يجب أن نحسن استغلالها ورعايتها ، والرسول ﷺ ، يعبر عن حبه للشباب فيقول : «نصرنى الشباب» . . فما مشكلات الشباب فى العالم الإسلامى؟ وكيف تحل؟ . . هذا ما يجيب عنه ثلاثة من المفكرين المسلمين . . تولوا مناصب هامة فى مجال الدعوة إلى الله . . فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، والأستاذ الدكتور محمد البهى (رحمه الله) ، والأستاذ الدكتور أحمد العسال .

العناية بالشباب.. عناية بالحياة نفسها..

فترة الشباب هى أخصب فترات العمر وأعلاها وأحفلها بضروب الإنتاج المادى والأدبى ، ولذلك كان لها عند الله حساب خاص كما جاء فى الحديث الشريف أن الإنسان سوف يُسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه . . . والواقع ، كما يقول الشيخ محمد الغزالى ، أن مرحلة الشباب فى أعمار الناس هى مرحلة التحصيل العلمى والجهاد الاقتصادى ، وهى المرحلة التى تعتمد عليها الأمم فى تكوين الجيوش ، وخوض الميادين ، مدنية كانت أو عسكرية ومن الخطأ أن نظن أن فترة الشباب ، فترة قوة مادية ونشاط للغرائز الجسمانية وحسب ، فهذا غير صحيح ، بل الواقع أن المشاعر الروحانية الجياشة ، والعواطف الإنسانية النامية ، والأشواق المشبوبة نحو الكمال وإرضاء الله ورسوله ﷺ . . هذه كلها تبدو فى عصر الشباب متألقة قوية ، ولذلك فإن العناية بالشباب عناية بالحياة نفسها ، وأعظم المؤثرات فيها .

١ـ الانفصال بين العلم والتربية..

وأول مشكلة تواجه الشباب كما يراها فضيلة الشيخ محمد الغزالى . . ذلك الانفصال بين العلم والتربية ، فالتربية الدينية تكاد تكون معدومة فى الجامعات

العليا ، ونادرة فى المدارس الثانوية والمتوسطة ، مع أن هذه الأدوار من التعليم تحتاج إلى مقادير كبيرة من القوة الروحية ، والتوجيهات الأخلاقية ، وإلى إيلاف الشباب أركان الإسلام العبادية والاعتقادية ، وخلط هذه الأركان بحياتهم أثناء الدراسة أو فى أثناء الإجازات الدراسية .

ويرجع السبب فى ذلك الانفصال بين العلم والتربية إلى ضغط الحضارة المادية والغزو الثقافى ، فالتيارات الشيوعية والفلسفات المادية الغربية تتضافر كلها على تشتيت قوى الشباب المسلم فى مجالات اللهو واللعب ، أو فى مجالات الفكر العائم والثقافات الرخيصة . ونجاح الغزو الثقافى فى إيجاد أجيال تتخلخل فيها هذه القيم الدينية والروابط الأخلاقية ، أمر خطير النتائج ، ولعله من وراء الهزائم الكثيرة التى أصابت المسلمين فى شتى الميادين .

ويتفق الدكتور أحمد العسال مع الرأى السابق ويضيف :

الانفصام الفكرى بين القول والفعل . . بين ما يجب أن يحدث ، وما هو حادث بالفعل ، مما يسبب فقد الانتماء ، وفقد الهوية عند الشباب ، وتكون نتيجة ذلك . . القلق والازدواجية ، والتصرفات الطائشة ، وعدم المبالاة . . وسبب ذلك كله كما يقول : يعود أساسًا إلى الأسرة العربية عامة ، والمصرية خاصة . . حيث إن التقاليد الغربية وأنماط الحياة الغربية أخذت طريقها إلى أسرنا ، فأصبح الاهتمام الأكبر الأساسى فى معظم الأحيان منصباً على الجوانب المادية ، لا الروحية . . فالأسرة اليوم تسعى لأن يكون أفرادها جميعًا فى مراكز علمية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية متميزة ، بغض النظر عن الاهتمام بنوعية التربية ودرجة الأخلاقيات والتربية السليمة القائمة على قيم الإسلام .

٢ـ عدم وجود قيادة واعية ..

الدكتور محمد البهى يرى أن فى مقدمة مشكلات الشباب . . عدم وجود قيادات إسلامية تتخير للشباب المادة التى يقرؤها ، وتوقفه على جوهر الإسلام فى منهج الحياة التى يجب على المسلم أن يتبعها . . فالشباب لديه فراغ كبير فى القيادة الإسلامية ، ومن أجل هذا الفراغ ، كل يختار ما يريد من كتب يقرؤها ، وبالأخص إذا وجد هذا الكتاب قليل التكلفة ، وكثير من هذه الكتب يجر الشباب إلى مشاكل هامشية ، ويقربهم من الموت أكثر مما يرشدهم إلى طريق الحياة ، ويقربهم إلى السلبية والبعد عن

واقع الأمر فى هذه الحياة التى يعيشها أكثر مما يحملهم على الإيجابية . . وفقدان الشباب القيادات الإسلامية الواعية يحمل هذا الشباب على أن يستهلك طاقته الإيمانية وطاقته فى الدراسة والاطلاع ، فى مسائل هامشية لا خير فيها لإنسان مسلم ، لا فى إيمانه ولا فى الدفاع عن عقيدته .

ويعلق الشيخ الغزالى على نقطة القيادة الإسلامية الواعية فيقول :

لقد لاحظنا فى الأنظمة الأجنبية أن هناك وزارات للشباب والرياضة تهتم بالتجمعات الطلابية وقوافل الشباب من الجنسين ، ونحن انبعاثًا من ديننا وغيرةً على أمتنا ، نحب أن تكون للشباب قيادته الدينية الواعية ، وأن تكون للجنسين معًا ريادات روحية وثقافية لها غيرتها وحرمتها ، وبذلك نلقى تيارات الشر بتيارات خيرة أقوى وأنشط .

٣.تفريغ العمل الاجتماعى من مضمونه..

مشكلة أخرى يناقشها الدكتور أحمد العسال ، وهى تفريغ العمل الاجتماعى من مضمونه ، ووجود مجموعة من الانتهازيين والهلاميين استطاعت أن تجمع ثروة كبيرة فى مدة قصيرة . . وهذا دفع الشباب إلى الرغبة فى الوصول بسرعة إلى ما يهدف إليه ، وإلى جمع الثروة ، وهذا يقلل من التفكير الجدى فى المشاكل فى كثير من الأحيان ، والالتجاء إلى التحايل والدس والتملق .

والحل كما يراه هو أن نسعى جاهدين لتنقية هذه «الخرائب» من نفوس الشباب ، وإعادة ثقته بالله سبحانه وتعالى ربّاً ، وبالإسلام دينًا ومنهاجًا لحياة الفرد والجماعة وأن نعمق فيهم الاعتصام بالإسلام ، وأن نورِّث فيهم الثقة بالنفس والعزة والكرامة وحب الجهاد فى سبيل الله وفى سبيل أن تكون كلمة الله هى العليا . . واليد العليا خير من اليد السفلى ، كذلك يجب الاهتمام بالقدوة الصالحة التى تؤثر فيه وتوجهه ، ولابد من العناية بالوسط الاجتماعى الذى يتحرك فيه ، وتنقيته من كل ما يغضب الله عز وجل ، حتى يكتمل البناء الذى يقيمه البيت والمسجد والشارع فى نفوس الشباب ، ويربى فيهم حب الطاعة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام . . ولابد من توضيح أن هناك صراعًا حضاريّاً فى العالم اليوم والمسلمون طرف فيه . . وعلى الشباب المسلم أن يأخذ دوره فى رد هذا الهجوم ضد حضارة الإسلام .

٤.مشكلة الغريزة الجنسية...

المشكلة الرابعة هى مشكلة «الغريزة الجنسية» . . يقول الشيخ الغزالى :

أحب أن أواجه الغريزة الجنسية مواجهة صريحة . . فإن النفاق فى علاجها ، أو الفرار من مطالبها نوع من العبث . . وأرى أن يعود المسلمون إلى تقاليد الإسلام الأولى أيام سلفهم الصالح ، وأن ييسروا الزواج تيسيرًا شاملاً ، وأن يزيلوا كل العوائق التى تعترض إتمامه بحيث يكثر الزواج بين سنى العشرين والخامسة والعشرين ، وإذا تأخر سنة أو سنتين بعد ذلك فلضرورات قاهرة ، والدين الذى يجعل تعليم القرآن مهرًا للزوجة ، لايُسأل عن التعقيدات التى أحدثها المسلمون فى هذه الناحية من حياتهم الاجتماعية . .

واعتقادى - ولا زال الكلام لفضيلة الشيخ الغزالى - أن التوجيهات النظرية هنا لاتسد الفراغ القائم ، بل لابد من «إشراف جماعى» من أهل العلم والتجربة على المجتمع الإسلامى الآن ، حتى يمكن أن تنكسر التقاليد التى تعسِّر الحلال وتيسر الحرام ، والقدوة هنا لها دخل كبير فى التغيير المطلوب .

مع الإشارة إلى أن المجتمع الإسلامى ليس مجتمعًا إباحيًا ، يجعل الشوارع معارض للفتنة ، ويجعل التبرج تقليدًا سائدًا يستفز الغرائز الهاجعة . . فديننا يقوم على صيانة الأعراض وسدّ منافذ الفتنة ، وإعانة الجنسين معًا على العفاف والسكينة . .

الأدب فى المجتمع الإسلامى..

والمجتمع الإسلامى يحيا بالأدب بين أفراده ، ومما يلفت النظر فى بناء المجتمع الإسلامى ، الحفاظ الشديد على الاحترام المتبادل بين الصغار والكبار ، وبين الشباب والشيوخ ، حتى إن النبى ﷺ نفى شرف الانتساب إلى هذا المجتمع عمن يفقدون الأدب ، فقال :

«ليس منّا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعَالِمِنَا حقه» . . ويضيف الشيخ الغزالى قائلاً :

ولو أن أمتنا وهى تهتم بقضايا الشباب ، كونت لجانًا أو مجامع من أهل الخبرة والسبق والتقوى لكى يمنحوا الشباب خبرتهم وتجربتهم ، ويحسنوا قيادتهم وسط العقبات الكثيرة القائمة . . . لكان من ذلك خير كثير ، شريطة أن يقوم الشباب من ناحية باحترام الخبرة المبذولة ، وتقدير أصحابها الذين يقدمون نصحهم ويحبون أولادهم وتلامذتهم . . .

٥ـ العداء الواضح للإسلام..

والمشكلة الخامسة التى تؤثر على الشباب كما يراها الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق ، هى مشكلة إبعاد المسلمين عن إسلامهم ، إما بتشويه

الإسلام ومبادئه وعرضه على الشباب مشوهًا ، وإما بدفع قادة أنظمة الحكم إلى التنكر للإسلام ومحاربته . . ومما لاشك فيه أنه بعد الحرب العالمية الثانية برزت قوتان متميزتان فى النفوذ وفى العنف ، وفى الضغط على المسلمين . . هى قوة الإلحاد العلمى (الماركسية الشيوعية) ، وقوة الصليبية الدولية (الأوروبية والأمريكية) . . وآن الأوان لأن يفهم المسلمون أن معظم الوظائف الأساسية فى نظم المجتمعات الإسلامية ، لا تُملأ بالوطنيين أصحاب الغيرة على مقومات الوطن . . وإنما يتولى أمر هذه الوظائف الكبرى من ترضى عنه هذه القوة أو تلك .

وهؤلاء بعد توليهم يباشرون ما تشير به هذه القوة أو تلك ، ومن المؤسف أن تيارات الجامعات سواء فى رياستها ، أو فى عمداء الكليات فيها ، أو فى رؤساء الأقسام أصبح الكثير منها يأتمر بأمر القوة التى يتبعها نظام الدولة المحلى . . والمثل على ذلك واضح ، فاقتراب الجامعات من النظام الشيوعى أو الليبرالى يعتبر أداة سهلة لتبعية رسالة الشباب إلى هذا الاتجاه أو ذاك . مما يفسر حالة فقد الهوية والازدواجية التى يعانى منها الشباب اليوم فى مجتمعنا المعاصر ، ولنا أن نؤكد عدم وجود مجال للوفاق بين هاتين القوتين أكثر من إضعاف القوة الإسلامية والاستيلاء على ما بين أيدينا من نعم لاتعد ولاتحصى :

٦ـ مفهوم يحتاج إلى تصحيح...

وهناك مفهوم يحتاج إلى تصحيح فى أذهان بعض شباب الجماعات الإسلامية فى الجامعات . . يقول الدكتور البهى :

هناك من الشباب من يظن أو يعتقد أن دراسة الإسلام وقراءة القرآن وتلاوته فى مناسبات عديدة كفيل بالنجاح . . وهذا حق . . هو نجاح فى الإيمان وفى البعد عن الانحرافات . . ولكن هناك شيئًا آخر وهو التقدم فى المستويات العلمية . . فالريادة لشباب الجماعات الإسلامية فى الجامعات لاتتم إلا بأمرين : التزام الإيمان وعدم الانحراف فى السلوك والمعاملات . . ثم بالتقدم فى المستوى العلمى فى كليته . . والحصول على الريادة فى الجامعات عن طريق الوظائف المتعددة للدراسة فى الأقسام والكليات ، لايقل أهمية إطلاقًا عن التعبد لله ، والمواظبة على القرآن الكريم حفظًا ودراسة وتطبيقًا . . والرسول ﷺ يقول :

«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير» . . فإنه يقصد قوة الإنسان المسلم عن طريق المعرفة التى سيصل إلى الله عن طريقها ، كما سيصل إلى ريادة الآخرين . .

٧ـ التعليم.. ومظاهر الانهزام النفسى عند الشباب

هناك أيضًا مشكلة التعليم الذى لايقوم على منهج إسلامى صحيح يعمق فى المسلم أسس الإيمان ، ويعمل على تربية المسلم تربية عقائدية تشعره بالعزة والقوة لانتمائه إلى هذا الدين العظيم . . يقول الدكتور أحمد العسال :

ولابد من الحديث أيضًا عن الانهزام النفسى لدى الشباب المسلم الذى حدث بتأثير نكبة فلسطين وهزيمة حزيران (يونيو ١٩٦٧م) والتفكك الحادث اليوم فى محيط الأسرة العربية الكبيرة ، وكل ذلك له تأثير على درجة ثقة الشاب بنفسه ودينه وبوطنه . .

وفى دراسة قام بها الدكتور عمر شاهين أستاذ الطب النفسى بجامعة القاهرة على عينة تمثل (أربعة آلاف) طالب وطالبة فى الجامعة تبين أن أكثر من ٧٠٪ من هذه العينة تعانى من اضطراب نفسى . . اكتئاب أو قلق أو فصام ذهنى أو اضطراب مراهقة أو هستريا . . كما أوضحت الدراسة أن نسبة ٦٠٪ منهم يدخنون السجائر ، و١٠٪ يتعاطون الحبوب المنشطة التى تساعدهم على السهر ، وبعض المواد المخدرة أحيانًا . .

هذه بعض مشكلات الشباب المسلم فى العالم الإسلامى . . وغيرها كثير ، وخلاصة القول : إن كل هذه المشكلات ، إنما تنبع أساسًا من بُعد المجتمع المعاصر عن هَدْى الإسلام ، وعن منهج القرآن ، فالعودة إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ . . هى الحل الأمثل والوحيد للخروج من دنيا الضياع التى تعيشها أمتنا الإسلامية اليوم وخاصة شبابها . .

مطالبنا هى:

وقد أصدر المؤتمر الرابع لمشكلات الشباب ، الذى عقد بالأزهر الشريف فى نيسان (أبريل) ١٩٨١م عدة توصيات عبرت عن مطالب الشباب كان منها :

١ ـ وضع مناهج لتوضيح قيم الإسلام ، تدرس فى مراحل التعليم على الصعيد الإسلامى .

٢ ـ توسيع نشاط المساجد بحيث تكون قبلة صلاة ، ومدرسة تثقيف دينى ، ومركزًا للخدمات الاجتماعية .

٣ ـ تزويد الشباب بما يؤهلهم لبذل طاقاتهم فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

٤ ـ الاستفادة من خبرة الشباب المهاجر فى نشر الدعوة فى الخارج وفى مجال التنمية فى العالم الإسلامى .

٥ ـ توفير الأمن الإسكانى للشباب باعتبار أن ذلك عامل من عوامل الاستقرار .

٦ ـ ضرورة الاهتمام بدراسة فقه المعاملات فى الإسلام والنظريات الاقتصادية ، وإدماج ذلك كله فى مناهج تعليمية بحسب مراحل التعليم المختلفة .

٧ ـ ضرورة إقامة اتحاد شباب إسلامى . . وترفع هذه التوصية إلى الجهات المختلفة لكى تتولى تكوين هذا الاتحاد .

٨ ـ الاهتمام بأبناء المسلمين فى البلاد غير الإسلامية لتيسير تنشئتهم إسلاميًا بإرسال الكتب والنشرات .

٩ ـ يبارك الشباب الاتجاه للتوسع فى إقامة مصارف إسلامية تقوم على أساس الشرع بعيدًا عن الأوضاع الربوية .

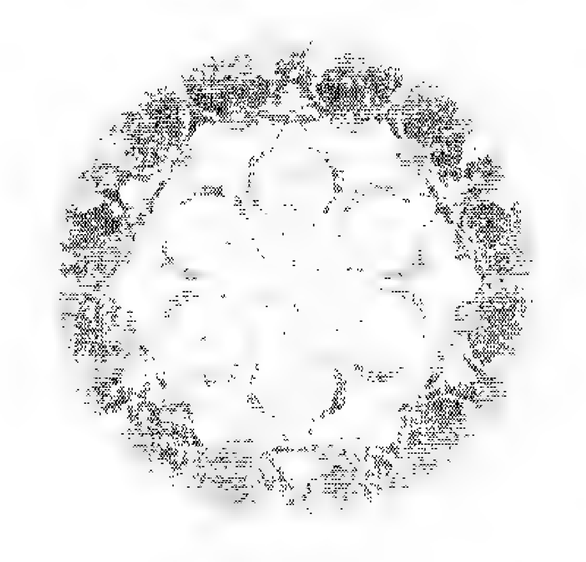
١٠ـ ضرورة العناية باختيار القيادات التى تتصل بالشباب حتى يكونوا قدوة يحتذى بهم .

١١ـ ضرورة ترشيد أجهزة الإعلام لكى تكون سبيلاً إلى غرس القيم الإسلامية والتعاليم الدينية ، ولكى يتجنب الشباب ما يؤدى إلى إثارة الغرائز وإلى التمزق النفسى وسوء الفهم للأوضاع الإسلامية .

١٢ـ ضرورة الاهتمام بدور الفتاة المسلمة فى تنمية المجتمع الإسلامى .

ثم :

١٣ـ ضرورة الاهتمام من علماء الشرع بدراسة مشكلات الشباب وإعطاء رأى إسلامى فى تلك المشكلات بأسلوب يتلاءم مع روح العصر . . .



كيف نقتبس من هذه الحضارة ؟

استفادة اليابان من حضارة الغرب . . .

كان رجال التعليم والتربية فى اليابان أيقاظًا عندما اتصلت بلادهم بأوروبا فى القرن الماضى ، أو قل : كان حراس التقاليد الموروثة صاحين عندما قررت اليابان الاستفادة من التفوق الصناعى الغربى ، فقد أعدُّوا لكل جديد يُقتبس مكانه فوق أرضهم ، ومساحته المادية والأدبية التى لايعدوها ، وهيمنوا ببصر حاد على الآثار المتوقعة حتى لاتفلت من أيديهم ، أو تتحرك بعيدًا عن خططهم المرسومة !!

ومع التزام هذا الخط الصارم بقيت الشخصية اليابانية محفوظة السمات ثابتة الملامح ، فانتقلت الصناعات الغربية إلى اليابان ، ولم يتحول اليابانيون إلى أوروبيين فى عقائدهم أو لغتهم أو آدابهم وأخلاقهم . .

إنهم فعلوا ولم ينفعلوا . . وقادوا ولم ينقادوا . . .!!

وكانت هناك أديان بينها فجوات ، البوذية من ناحية والشنتوية من ناحية أخرى ، والأتباع المخلصون تتقسَّمُهم وجهات نظر شتى ، ومذاهب كثيرة ـ إن صح التعبير ـ بيد أن لونًا من المعايشة السلمية فرض نفسه على الجميع ؛ فإذا اليابانيون كلهم دون حساسيات دينية يتعاونون على إنهاض بلدهم ورفع لوائه ، وتم لهم ما أرادوا . .

أساس النجاح الحقيقى...

إن للنجاح الحقيقى أساسًا لايتغير! هو النفس الإنسانية ، فإذا استقر هذا المهاد لم يبق شىء ذو بال ، وقد كان محمد ﷺ أعرف إنسان بهذه الحقيقة ، فاتجهت جهوده كلها قبل أى شىء إلى داخل الإنسان ، تصوغه وتضبطه وتطمئن إلى قراره ومساره ، وهو يعرف أن هذا الإنسان سوف يفرض نفسه على بيئته يومًا عندما تنزاح العوائق من أمامه ولم يحاول قط الاصطدام بالأسوار الخارجية قبل استكمال هذا الداخل المهم! ومن ثم ترك الأصنام منصوبة حول الكعبة عشرين سنة ، لم يهشم واحدًا منها فى معركة طائشة ، بل الثابت فى سيرته أنه طاف فى عمرة القضاء فى السنة السابعة حول الكعبة والأصنام جاثمة حولها ، فى الأوضاع التى كانت عليها من بدء الدعوة!

أكان ذلك بُقيًا عليها ، أو توقيرًا لها؟ كلا!

لقد كان يعلم أن لها أجلاً لا ريب فيه ، وأنها عن قريب أو بعيد ستتحول جذاذًا . .!

ومن الذى يقوم بهذا التحويل الحاسم؟ الرجال الذين استناروا من الداخل . وتربَّوْا على التوحيد الحق ، لقد عرفوا أن الذباب أقوى من هذه الأصنام ، وأنها لاتثبت فى معركة معه! ألم يتلوا قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾[1] .

فليتربصوا بهذه الأصنام يومًا لاريب فيه دون استعجال ، وليهتموا بداخلهم يتعهدونه فهو الوجود الآتى مع الغد . ويتساءل ناس : ما هذا التعهد الشاغل لهم؟

ونقول : هو تعهد الوعى ليكون صحيحًا ، والباطن ليكون نظيفًا ، والخلق ليكون عظيمًا ، والإخاء ليكون وثيقًا ، والهدف ليكون واضحًا . .! فالأمم لاتُبنى بالصور وإنما تبنى بالحقائق .

إن المنافقين أحسن الناس إتقانًا للمراسم ، وقلوبهم هواء . . أما المؤمنون فإنَّ نُضْجَ نفوسهم ، وزكاة سرائرهم ، هما سر عظمتهم ، وسر مآل الأمور إليهم . .

ولايعرف فى تاريخ الهداة رجل مثل محمد ﷺ أحسن صوغ النفوس وإيقاظ ملكاتها وإدارتها بأعظم ما فيها من طاقة ، وجعلها تدفع ولاتندفع ، وتؤثر ولاتتأثر!

فهل نحن الدعاة اليوم المنتمين إليه نفهم هذا النهج ، ونلتزم منطقه؟؟ إن الموجهين اليابانيين كانوا أذكى منا وأقدر فى مواجهة المشاكل وهزيمة الصعاب!

التوجه إلى داخل الإنسان ...

نظرت بحسرة إلى «الخلق الفردى» فى الإفادة من التقدم الصناعى العالمى ، ما هذا؟ هذا شاب يقود سيارة فارهة ، تنهب الأرض نهبًا ، ينزل منها بأناقة وكبرياء ، ويرمق الشارع بنظرة استعلاء ، يشترى بعض السلع ثم يمتطى سيارته ويعود من حيث جاء . .

إنه مازاد من الناحية الإنسانية شيئًا عن الأيام التى كان سلفه يمشى فيها حافيًا أو منتعلاً . . وما تَشْرُف به أمته ولا أسرته!

وهذا عامل قادم من وادى النيل ماذا يحمل ليعود به إلى وطنه؟ «فيديو»! إن المسكين جمد عرق جبينه وإرهاق أعصابه فى هذا الجهاز المسلِّى ، وسيحمله منتصب القامة والهامة لأنه أصبح به أرفع مستوى ، وما درى المسكين أنه بما يحمل نقص وما زاد!!!

(١) الحج : ٧٣ .

العرب فى الحضارة الحديثة شعوب مستهلكة ، تتنافس الدول الصناعية على إلهائها بالأدوات البراقة والمخترعات المريحة .

والدعاة لايدرون كيف يستنقذون أمتهم المحروبة من هذه الأوضاع القاتلة . . لأنهم لايتجهون إلى داخل الإنسان المسلم يحركون ما توقف من أجهزته ، وينيرون ما أظلم من مصابيحه . . . إنهم يتحركون نحو الظاهر القريب أو تحته بقليل . .

تبوأ الأمم مراكز الصدارة وقيادة العالم

إن قدرة أمة ما على الصدارة فى الأرض ، أو توريث أمة ما قيادة العالم كما يعبر القرآن الكريم ، لايجيء بين عشية وضحاها ، ولايتم بخصائص سهلة ، لا ، إن له صلاحيات معينة أومأ إليها الوحى فى قوله سبحانه :

﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾(١) .

لا تظنَّنَّ المدى قريبًا بين ما قصَّه القرآن عن ذل بنى إسرائيل قديمًا ، وبين تمكينهم فى الأرض بعد ذلك!

عندما توعَّد فرعون قوم موسى ، وجاء على لسانه!

﴿ **سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(٢) .

ومرت السنون ، وتغيرت الأوضاع : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾(٣) .

إن ذلك كله لم يتم فى أيام قلائل ، إنه استغرق عشرات السنين ، حتى أمكن وفق سنن الله الاجتماعية أن يرزق العبيد أخلاق السيادة الحقيقية . .!

التغيير الذى أحدثه الإسلام...

والواقع أن العرب أيام البعثة تعهدتهم بالصقل والتهذيب يدٌ صَناع ، ومضت بهم فى طريق المجد نبوة ملهمة ، نبوة حوَّلت الماء والطين إلى أزهار ورياحين!

نعم إن الإسلام حوَّل العرب إلى ربَّانيين ، وجعلهم نماذج تحتذى فى ميادين العبادات والمعاملات ، فكانت قيادتهم خيرًا وبركة وكانت فتوحاتهم الفكرية والروحية أندى وأجدى من فتوحهم العسكرية الخارقة . .

---

(١) الأنبياء : ١٠٥ . (٢) الأعراف : ١٢٧ ، ١٢٨ . (٣) الأعراف : ١٣٧ .

وعندما سقطت القيادات القديمة من الفرس والروم لم يَبْكِها أحد ، ولم يتخلف عن سقوطها فراغ يحاول الآخرون مَلأه! بل الذى حدث أن الشعوب تنفست الصعداء ، ورأت أن ما جدَّ فى ربوعها أولى بالتقدير والاحترام ، أو أولى بالرعاية والحماية . .

عرب اليوم ...

لكن عرب اليوم على غرار آخر ، ودعك من التخلف الصناعى والحضارى ، ولننظر إلى قضايا اجتماعية وأخلاقية هى من صميم حياتنا الداخلية!

ما تقاليد الزواج عندنا ؟

هناك أعراف متبعة أن قبيلة دون قبيلة! وأن أسرة أعرق من أسرة! وأن مكانة امرئ ما تتبع نسبه! وقد ساند هذا السلوك الجائر تفكير فقهى يؤكد أن المرأة من بنى هاشم لايرقى إلى مستواها الرجل من عرق آخر!

أليست هذه هى التفرقة العنصرية التى جاء الإسلام لمحوها ؟

هل نستطيع تصدير هذا التفكير إلى العالم ؟

وهل نكون صادقين مع الله عندما نزعم أن ذلك دينه؟

وهل يقبله أهل الأرض منا ؟

وفى أقطار كثيرة رأيت الشباب يئنُّ من غلاء المهور ، وأحسست أن العوائق هائلة دون الحلال ، وأن المغريات كثيرة نحو الحرام ، فهل هذا العجز فى علاج أهم الغرائز البشرية يعدُّ نصرًا إسلاميًا ، وهل رسالة أمتنا الاجتماعية تصعيب الطيبات وتيسير الخبائث ، وهل يهش العالم لتقاليدنا تلك ؟؟

ولا أمضى فى سرد أمثلة لتعثُّر قضايانا الاجتماعية ، وإنما أمدُّ البصر لقضايانا الخلقية التى لن نستورد لبحثها خبراء أجانب!

أخلاق الأثرة والأنانية ...

شكا لى شاب ناشئ موهوب ، وعورة الطريق أمامه ، فقلت له يائسًا : امض بمواهبك إلى الأمام دون انتظار عون من أحد! بل توقَّع الكيد والصدّ لأن البيئات التى نعيش فيها لا ترحِّب بالموهوبين ، ولاتؤتى كل ذى فضل فضله إلا كارهة ، أو مغلوبة!

أغلب الناس يعيش داخل قوقعة من نفسه ومآربه ، وقلما يلتفت إلى الآخرين ليسدى عونًا ، أو يقدم يدًا .

والطريقة التى يدرسون بها الدين لاتعين على زكاة النفس وسنائها ، فالأجرب عندما يرتدى ثوبًا غاليًا جميلاً قد يستر علَّته حينًا ، بيد أن ذلك لايشفى سقامه . . هكذا نرى الذين يؤدون مراسم العبادات ، ولا يهذبون أنفسهم!

الفارق بين الإنسان والحيوان أن الحيوان يتحرك بدوافع حاجاته الخاصة ولايحس إلا ذاته! أما الإنسان فالمفروض أنه يحيا فى مجتمع له ضوابطه وآدابه ، وعلى المرء أن يحس بنفسه وبغيره معًا ، والصورة الدنيا للسلوك البشرى تظهر فى أفعال المجرمين الذين لايهتمون إلا بما يشتهون ، أما صور الرقى المنشود فتتضح كلما اختفت الأنانية ، ونما الإحساس بغيرنا ، والتقدير لحقوقه . . .

شعار «في سبيل الله» ...

وقد أقام الإسلام شعار «فى سبيل الله» ليخلع الإنسان من أثرته ، ويدفعه إلى ربه! فالإنفاق يجب أن يكون فى سبيل الله ، والجهاد ينبغى أن يكون فى سبيل الله ، والسعى فى هذه الدنيا ينبغى أن يكون فى سبيل الله ، بل المحيا والممات جميعًا فى سبيل الله . .

وهذا الشعار يعنى فى النشاط العام أمرين : ابتغاء وجه الله ، وتحقيق المصلحة العامة ، وفقهاؤنا يرون أن حق الجماعة داخل فى كل ما هو لله ، إذ الإسلام يمزج بين الدين والدولة ، والعبادات والمعاملات . . .

والذى حدث فى هذا العصر أن المقاييس الأخلاقية فى الغرب غالت فى حق المجتمع ، وقهرت به النوازع الشخصية ، وجعلت «المواطن» يرعى وطنه ، ومصلحة قومه ورفعة أمته . . . إلى آخره ، وضبطت بذلك أنانيته الخاصة . .

أما المنتمون إلى الدين فإن شعار «فى سبيل الله» نسى ، أو تنوسى ، فى مجال التربية! وترك سرطان الأنانية يمتد ويتوغل ، فماذا كانت النتيجة؟ فرقة مستغربة بين مجاهدى أفغانستان ، وبين محررى فلسطين! وسيطرت مآرب الذاتية على أغلب الأنشطة العامة! فإذا الشخص الذى يعمل لوطنه فى أوروبا أيقظ ضميرًا من مثيله الذى ينتمى إلى الدين ولايفكر فى سبيل الله ، وإنما يفكر فى تنمية ثروته أو دعم مكانته!

المبدأ الأساسى فى التربية الإسلامية

إن المبدأ الإسلامى الأول فى التربية هو ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ لايتحقق بالدعوى ولا بالصياح ، وإنما يتحقق بتطبيق عميق حاسم فى شئون الحياة ، وبين جميع الطوائف . .

إن «**ديجول**» ولى نعمة فرنسا الحديثة دُفن دون احتفال فى قريته ، وامرأته تعيش بين جدران ملجأ يرعى شيخوختها . . على حين نرى مَنْ خانوا أمتهم أو غشُّوها يدفنون وسط أحفال مائجة ، وتوضع فى أفواه أسرهم ملاعق الذهب! فهل هذه مثاليات الإسلام كما نراها؟

وهل تنتصر الدعوة الإسلامية بهذا التفاوت الصارخ ؟

إن الطيبة أو التقوى أو القدرة على ميزة الخبيث من الطيب وإيثار الحسن على القبيح ، كانت المشاعر التى برز بها سلفنا الأولون ، بل آباؤنا الأقربون . . .

ولقد عرفْتُ فلاحى قريتنا وأنا صغير ينامون مبكرين بعد صلاة العشاء ، ويستيقظون مع الفجر ، فيذهبون صوب حقولهم ، وقد تذهب إليهم زوجاتهم أو أولادهم بالغداء ، فما يعودون من مزارعهم إلا مع الغروب . . . وكانت أراضيهم تدر السمن والعسل ، وبركات الله تنهمر عليهم بالغدو والآصال .

والآن بعد السهر والسمر على شتى البرامج والنوم حتى الضحى ، وإضاعة الصلاة ، واتباع الغفلات ماذا نجنى؟

والسؤال نفسه مع أهل الخليج ، لقد سمعت مُعَمَّرين منهم يتحدثون عن الماضى بأسى وإعزاز معًا! يقولون : كنا فقراء ، ولكن الرجولة والاستعفاف وتقوى الله كانت تسود الآفاق! إن الغد مع الشهوات الوافدة مرُّ الثمر . .

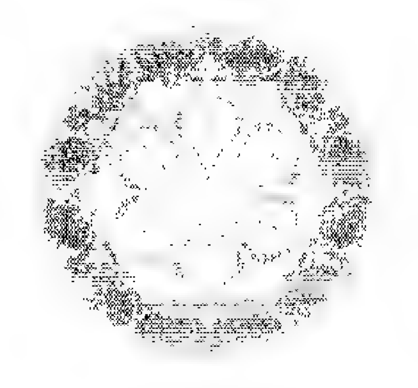
حقيقة التدين وسبيل الحضارة والتقدم

أريد من أمتنا أن تقتبس من حضارة الغرب ما يوافق أو يتواءم مع فطرة الله فى مواريثنا . .

ثم ماذا على الدعاة والمربين لو درسوا الأساليب التى اتبعها اليابانيون فى الاستفادة من هذه الحضارة؟

ثم إن هناك خللاً فى التركيب الإنسانى لأمتنا طرأ عليها مع ترادف العلل السياسية والاجتماعية ، جعل المنطق العلمى يتقهقر ، وتحل محله الأوهام ، وجعل الاكتمال النفسى يضعف وتسدّ فراغه بعض الشعائر وصور الطاعات .

وعلماؤنا الكبار لم تخدعهم هذه النقائض ، ولذلك رفض ابن القيم من الغنىِّ البخيل أن يكثر الذكر ويطيل الصيام ، فعبادته الأولى العطاء! كما رفض من الداعية الجبان أن يشتغل بالأوراد ، ويعتكف بعيدًا عن الناس فعبادته الأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والنصح ، وفى عصرنا هذا لايخفى ما تحتاج إليه أمتنا كى تنهض من عثرتها ، وما أيسر التوفيق بين التقدم الحضارى ومواريث اليقين والخلق ، والوفاء بحقوق الله .



عمر التلمسانى رحمه الله كما عرفته

كنت فى شبابى أرى الأستاذ عمر التلمسانى يتردد على الأستاذ المرشد العام ، ويتحدث معه فى شئون الدعوة ، ويتزود منه بشتى التوجيهات ؛ كان يومئذٍ يشتغل بالمحاماة ، وله مكتبه فى بلدة «شبين القناطر» وكان إلى جانب ذلك عضوًا فى مكتبٍ الإرشاد . .

السمة العامة التى كنّا نعرفه بها : وجهه البشوش ، وأدبه الجمّ ، وصوته الهادئ ، وظاهر من حالته أنه كان على جانب من اليسار والسعة لايسلكه فى عداد المترفين ، وإنما يحصنه من متاعب الكدح ومعاناة التطواف هنا وهناك ، ويحفظ عليه حياءه الجمّ . .

وقد حمل الرجل فى شبابه أعباء الدعوة الإسلامية فى غربتها ، ورأيته يومًا ينصرف من مكتب أستاذنا حسن البنا بعد لقاء لم أتبين موضوعه ، ورأيت بصر الأستاذ المرشد يتبعه وهو يولِّى بعاطفة ناطقة غامرة ، وحب مكين عميق ؛ فأدركت أن للأستاذ عمر مكانة خاصة لم يفصح عنها حديث .

كان ذلك فى أوائل الأربعينيات من القرن الميلادى ، ولم أكن أدرى ولا خطر ببالى يومئذٍ أنَّ عمر التلمسانى سيخلف حسن البنّا ، وأنه سيقود ركب الدعاة فى أيام عصيبة . . .

محنة وقى الله شرها:

واستشهد الإمام البنا سنة ١٩٤٩م ، واعتقل الألوف من أتباعه ، وكان من قدرى أن أساق إلى منفى الطور مع بضعة آلاف من الإخوان : وفى طور سيناء رأيت الأستاذ عمر التلمسانى فى خطواته الوئيدة ونظراته الهادئة يمشى فى رمال المعتقل باسمًا متفائلاً يصبِّر الإخوان على لأواء الغربة وقسوة النفى ، ويؤمل الخير فى المستقبل .

وحدثت بيننا وبين إدارة المعتقل جفوة خطيرة ، لأننا أحسسنا بأن أقواتنا تُسرق ، وأنَّ تجويعنا مقصود ، وبدأنا حركة تمرّد كادت تنتهى بمذبحة لولا لطف الله .

ولقينى الأستاذ عمر طيّب الله ثراه يقول : محنة وقانا الله شرّها ، إنَّك تصرفت بحدَّة الشباب ومغامرته ، ورأيى أن الأمور تعالج بغير هذا الأسلوب .

وشرعت أستمع إليه وهو يشرح فلسفته فى الحياة يقول : أنا أكره الظلم وأرثى للظلمة ، أنا أكره أعمالهم وحسب ، ولا أحقد على أشخاصهم بل أرجو لهم التوبة ، وأدعو الله تعالى أن يبصرهم الحق ، ويلهمهم الرشد . .

ورأيتنى أمام رجل من طراز فذ ، تحركه فى الدنيا مشاعر الحب والسلام ، وكأنما فيه قال الشاعر :

أنا نفس مُحبة كل نفس

كل حي، حتى صغير النبات..!!

من شمائله :

كان عمر التلمسانى يكره الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، ويؤثر العزلة ، ويرى أنسه فى الانقطاع إلى الله ، ولم تكن رذائل الرياء والتطلع تعرف طريقًا إلى فؤاده ، وربما استفاد من مهنته ـ المحاماة ـ أن يعرض قضيته بوفاء وشرف ، وأن يدع القضاء بعد ذلك يصدر حكمه ، فإن كان له رضى ، وإن كان ضده قرر أن يستأنفه ليعيد الشرح والإيضاح ؛ وهكذا فعل فى قضية الإسلام كله عندما كلِّف بالدفاع عنها أمام الجاهلين والجائرين ، كان يلوذ بالنفس الطويل والصبر الجميل ، ويحاول بالإقناع المتكرر أن يبلغ هدفه .

وخلال النزاع المحتدم تراه طيب النفس ؛ بادى السماحة ، يرمق خصوم الحق وهو يردد قول الرسول الكريم ﷺ : «**اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**» .

ومات حسن البنا ، ومات بعده حسن الهضيبى ، وشغر المنصب الكبير ، وشعرت القافلة المحزونة بأنها تتحمّل الكثير فى سبيل الله ، قتل والله رجال أكابر طالما باتوا لله سُجَّدًا وقيامًا ، وطاحت هامات قضاة ودعاة وشيب وشباب كانوا زينة المحافل . . وعشش فى السجون آباء تركوا بناتهم فى أعمار الورود ، فلما خرجوا كان البنات قد تزوجن ؛ ويا هول ما نزل بضيوف السجن من عذاب ؛ لقد استُقدمت كل وسائل التعذيب التى استخدمها ستالين وهتلر حديثًا ، وفراعنة الشرق والغرب قديمًا ، فمات من مات وهو يرى فى الموت راحته ، على نحو ما قال أبو الطيب :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً

وحسبُ المنايا أن يكن أمانيا

وأما من تخطئه المنون لأمر ما فقد عاش مقتول الروح كسير الفؤاد غريبًا على الدنيا . .

نحتسب ما أصابنا :

وفى وسط الأنواء العاصفة قيل لعمر التلمسانى : احمل العلم قبل أن يسقط .

وغضب لفيف من الناس لهذا التكليف ؛ لماذا؟ قالوا : فى غمرات المحن التى أصابتنا ، وأصابت عمر التلمسانى معنا ، مات جمال عبد الناصر الآمر بكل ما قاسينا



من مصائب ، وتنفَّس الصعداء كثير من السجناء ، ولكن الخبر لما بلغ الأستاذ عمر التلمسانى قال : مات؟ انتهى ؟ ذهب إلى الله! الله يرحمه . . .!!

وتصايح الإخوان فى غضب : ماذا تقول؟ وبم تدعو؟ كيف يرحم الله قاتل العشرات ، وجلاَّد الآلاف ، وقاهر الجماهير ، ومزهق كرامتها ورجولتها؟؟

بيد أنَّ عمر التلمسانى قال : نحتسب ما أصابنا فى سبيل الله ، ولاداعى للشماتة . .!

ورأيى أنَّ عمر التلمسانى كان صادقًا مع طبيعته ، وكأنما كان اختبارًا إلهيًا أخيرًا للقوى المعادية للإسلام ، فإنَّ من أبى التفاهم مع الرجل ، ورفض لقاءه وأصرّ على حرب الدعوة وأهدافها النبيلة كما شرحها المرشد الثالث فلن تكون له عند الله وجاهة ولن تنهض له حجة ﴿ **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾[1] .

وذهبت إلى الأستاذ عمر التلمسانى لأتعاون معه على خدمة الإسلام ، فقال لى : تعلمُ أن هذا عبء تحملته برغمى ، وقبلته وأنا كاره ، قلت : أعلم ذلك ، قال : والله لو وجدت من يرحمنى منه ما ترددت فى تركه له! قلت : أعلم ذلك ، ومن أجل ما أعرفه عنك جئت إليك وأنا موقن بأن الله سيؤيدك ، فأنت ما سعيت إلى صدارة ولاتطلعت إلى إمارة ، ومثلك جدير برعاية الله وتسديده . .

قال : لست داعية حرب ولا ذلك من شيمى ، ولاتعلمت هذا من حسن البنا . . سأجتهد فى جمع فلول الإخوان بعد المحن الرهيبة التى وقعت بهم ، وسأعتمد على الله فى تكوين قاعدة شعبية عريضة تحيا بالإسلام ، وتكون صورة وضيئة له . .

صنفـــان :

وكان يزعجه صنفان من النَّاس . . الأول : الساسة الضائقون بدين الله ، النافرون من تعاليمه ، وموقفه منهم رحمه الله التريُّث والمهادنة وإسداء النصح بأدب ، وعندما أحرجه أنور السادات ، قال عمر التلمسانى : إذن أشكوك إلى الله ، ولما ردّ عليه السادات : اسحب هذه الشكوى ـ ولا أدرى أكان جادًا أم هازلاً ؟ ـ قال له : إننى أشكوك إلى الله وهو عادل . . .!

الحق أنَّ عمر التلمسانى كان مَلَكًا كريمًا فى إهاب بشر أرهقته السنون ، وأنَّ الذين أبوا من الساسة المحترفين أن يستمعوا إليه لم يكونوا من أهل الإسلام ، ولا من بغاة الخير لأمته . .

---

(١) الشورى : ١٦ .

أما الصنف الثانى : فهو الشباب الشديد الحماس ، القليل التجربة ، الراغب فى الاستشهاد ولما يتهيَّأ الميدان له بعد .

كان الأستاذ عمر شديد الحنوّ على هؤلاء الفتية ، شديد الرغبة فى المحافظة على حياتهم وتجنيبهم معارك لايستفيد منها إلاَّ أعداء الإِسلام . .

وهو يرى ـ والحق معه ـ أن نفرًا من الساسة يدور فى فلك إحدى الجبهتين العالميتين المتنافستين . . وكلتاهما تكره الإِسلام وتكيد له ، وكان ـ رحمه الله ـ يكره تمكين هذا النفر من البطش بالإِسلاميين لِحساب سادته الدهاة المستخفين ، ويقول : لا معنى لتكثير الضحايا ، والزج بالإِسلام فى معارك خاسرة . . .!!

وأذكر أنه عندما وقعت فتنة الزاوية الحمراء ذهبنا إلى وزير الداخلية الأسبق ، أنا وعدد من رجال الجمعيات الإِسلامية ، وعلى رأسنا الأستاذ عمر ، وكنا غضابًا لما وقع على المسلمين من عدوان . . وقال لنا الوزير : عاونونى على إطفاء الفتنة ، ولكم ما تطلبون بعد إخمادها .

وشاء الله أن تثمر جهودنا فى إعادة الاستقرار إلى المنطقة ، وألقيت كلمة فى الحفل الذى أقيم عند وضع الحجر الأساسى للمسجد جلوت فيه طبيعة الإسلام فى أمثال هذه الأحداث . . . وقد لاحظت أن ناسًا مُريبين ، كانوا يشتهون إلصاق التهم بالمسلمين .

والغريب أنَّ هؤلاء النَّاس أنفسهم حاولوا فى فتنة فرق الأمن المركزى أن يختلقوا أمورًا لا أصل لها بتة كى يجعلوا المتدينين مسئولين عن تعكير الأمن!

قال لى الأستاذ عمر : إننى حريص على حماية الدعوة من أولئك الذين يتلمسون العيوب للأبرياء ، حريص على حماية الشباب المؤمن من أن يُقاد إلى السجون ويتعرَّض للتعذيب كى تُثبت عليه تهم باطلة . .

وعلى أولئك الشبان الطيبين أن يضبطوا حماسهم حتى لايمكِّنوا الأشرار منهم ، إنَّ سذاجتهم قد تكون مزلقة لهم إلى ما نكره!

رحم الله عمر التلمسانى ، ورضى عنه ، ورزق جماعته من يفيد التجارب ويبذل للناس وده وبشاشته وطيبة قلبه .

ما أحوج أمتنا إلى ذوى القلوب الكبيرة والنفوس المطمئنة ، وإلى التوكل على الله والنفور من الحزازات .

هُمْ ما تغيّروا .. نحن الذين تغيّرنا !!

عتبت على رجالنا أنهم لم يدرسوا التاريخ كما يجب ، ولم يوفروا له الجهد والوقت اللذين وفروهما لعلوم أقل قيمة ، ومن ثمَّ وقعت فى ماضينا أخطاء معيبة وأرزاء رهيبة ؛ ثم مرَّت كأنها رَقْمٌ على الماء ؛ لم تخلف بعدها عبرة ، ولم تُستفد منها عظة!

وهذه طبيعة الأمم الغافلة ، تستقبل أحداثًا عانت من قبل مثلها ثم تتعامل معها وكأنها لاتعرف عنها شيئًا ! أليست هذه الأمم هى المعنية بقوله تعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾[1]؟

وبعد هذا الاستفهام والتوبيخ يجىء ختام الآية : **﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾** .

وآلامنا المعاصرة تجعلنى أدرس بتؤدة تاريخ رذيلة طالما حذَّرنا الإسلام منها ، ونهانا عن مواقعتها .

إنَّ الإسلام رهَّبنا من طلب السلطة ، أو بتعبير السنَّة الشريفة : من الحرص على الإمارة . والحق أن عشق الحكم ، والسعى إليه بشتى الوسائل كان ـ ولايزال ـ من أسوأ عللنا .

إنَّه فى سبيل الوصول إلى الحكم هلكت أخلاق وشرائع ، وتقطعت أرحام وأوصال ، وضاعت جماهير ورسالات ، والغريب أن دورات هذا الداء تتكرر ، وتتوارثها أجيال عن أخرى دون وعى **﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾**[2] .

العمل المقبول فى الإسلام ما كان لله وحده ، وابتُغِى به وجهه ، ولم يخالطه طلبِ ظهور أو شهرة ؛ يؤديه المرء على وجهه الكامل سواء أكان رئيسًا أو مرءوسًا ، جنديًا أو قائدًا كما جاء فى الحديث الشريف :

«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع» . وذلك لأنه جندى مجهول ليس له جاه ، ولا اسم لامع .

(١) الأعراف : ١٠٠ . (٢) المرسلات : ١٦ ـ ١٨ .

والإسلام فى امتداده القديم وفتوحه الأولى اعتمد على أعداد لا حصر لها من المخلصين الذين جاءت فى هذا الحديث صفتهم ، مرقوا من الدنيا إلى جنَّات النعيم بعدما أثمر جهادهم قيامًا للحق وازدهارًا للإيمان ، وإدبارًا للباطل وانهدامًا للطواغيت . .

وشرف الأمة العربية الأولى أن سوادها كان من هذا الصنف النقى ، وأن انتصارها لم يكن انتصار جنس ، بل انتصارًا للوحى ، وخيرًا للشعوب ، وحياة رفيعة للعالم أجمع ، ولو التزم العرب هذا النهج لتغيرت الإنسانية كلها .

لكن ما حدث دخلت فيه طبائع البشر وخصائص الأجناس ، وليت العرب فهموا قول نبيهم عليه الصلاة والسلام : «**رب مبلَّغ أوعى من سامع**» . إن بعضهم حسب الإسلام نزل ليعيش به رغدًا ، ويحرز به لجنسه مجدًا ، وينظر به إلى العالمين من أعلى . . .

ذهب الأسلاف المتجردون الذين عاشوا لله سبحانه وماتوا فى سبيله ، ثم خلفت خلوف رأت أن تصادر الإسلام لحسابها الخاص ، وأن تتولى وحدها مناصبه الإدارية العليا ، وأن تحتكر لذراريها الإمارة والصدارة . .

وسرعان ما استيقظت العصبيات القديمة ، فزاحمت الأنسابُ والأحساب القدرات والمهارات ، ومعالم الخلق والتقوى .

بيد أن الاستبحار الإسلامى فى ميادين العلم والحضارة صمد لهذا الانحراف ، ومضى بالمسلمين فى مجال الترقى والازدهار حتى بلغ بهم شأوًا لم تعرف الدنيا نظيره ؛ لكن إلى متى؟ وللإسلام أعداء متربصون ، ولأمته الكبيرة من يرصد أخطاءها ، ويعرف آثار الحكم الفردى بها ، وفتك الشهوات بالمترفين ، وفتك الغمط بأولى العلم والخبرة!

إنَّ المسلمين فى أواخر القرن الرابع أخذوا يترنحون تحت وطأة أمراضهم ، ووجد الرومان وسائر الصليبيين الفرصة سانحة فانقضُّوا . . .

لقد قلت ، ولا أزال أقول : إننا لم نحسن دراسة ما أصابنا من هزائم فادحة ، وما أقمنا حواجز ضد تكرارها ، ولايزال ناس منا مشغولين بأنواع من المعرفة لاتضر عدوًا ولاتنفع صديقًا ، وتيار الأحداث الزاخر يلطم الوجوه ، ويطوى جماهير بعد أخرى ، ونحن لانربط النتائج بأسبابها ، وما فكرنا فى تكوين دراسات ذكية جريئة لمعاصينا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا أدرى : لماذا الخشية أو لماذا الجمود؟ هل مستقبل أمة من مليار إنسان شىء هيِّن؟ هل النكسات التى عرت رسالتها غير جديرة بالتأمل؟

لقد قرأت كلامًا مهمًا للأستاذ محمد حسنين هيكل رأيت أن أعرضه ؛ لأنه نتاج ذهن واسع النظرة ، رمق قرونًا طويلة من تاريخنا ، ثم أحسن وصف ما حدث فلم يقفه



وصف الجزئيات عن الإحاطة الواعية . . . ومع مخالفتنا له فى استنتاجاته إلاَّ أننا نرى أن ينتفع الدعاة بقدرته فى تقديم صورة شاملة لجزء حساس من تاريخنا ، كان فيه أبرع من غيره . . قال الأستاذ هيكل : «جاء الاستعمار الغربى أول الأمر فى الحروب الصليبية وكان هدفه اقتصادياً بالدرجة الأولى . . . فتح طريق التجارة مع الشرق .

وتصدت الدولة الأيوبية ثم تصدت دولة المماليك العظام فى مصر والشام وردت الموجات الصليبية على أعقابها .

ولم يستطع الاستعمار أن ينفذ من القلب ، فاتجه إلى الأطراف والأجنحة ، وسقطت الأندلس ، وبدأت محاولات البحث عن الطريق البحرى الطويل إلى الشرق ، وكانت إسبانيا والبرتغال فى المقدمة لأنَّ المحاولات الصليبية من شمالى ووسط القارة ـ فرنسا وإنجلترا وألمانيا ـ أرهقت واستنزفت نفسها فى محاولات النفاذ من القلب . . . فلسطين .

وأرسلت كل من أسبانيا والبرتغال بعثات استكشافية بحرية .

خرج «كريستوفر كولومبس» إلى بحر الظلمات ـ المحيط الأطلسى ـ قاصدًا الشرق ؛ وإذا به يصل أمريكا .

وخرج «فاسكو دا جاما» إلى بحر الظلمات أيضًا ووصل إلى الشرق فعلاً .

وسقطت دولة المغول المسلمة فى شبه القارة الهندية بالطريقة نفسها التى سقطت بها دولة العرب المسلمة الأندلسية فى شبه الجزيرة الأيبيرية .

سقط الجناحان فى العالم الإسلامى وبدأت عملية الزحف نحو القلب ؛ زحف من الشرق من الهند إلى الخليج العربى إلى عدن ، وزحف آخر من الغرب خلع جذور الإسلام من إسبانيا .

سقط الجناحان فى العالم الإسلامى ، وبدأت عملية الضغط على القلب العربى . والحزن أن أحدًا فى هذا القلب لم يتنبه ولم يتحرك .

جرى التهام دولة الإسلام فى الأندلس قطعةً بعد قطعة ، ولم يتنبه أو يتحرك أحد لما يجرى فى الغرب . وجرى التهام دولة الإسلام المغولية فى الهند بالطريقة نفسها ، ولم يتنبه أو يتحرك أحد لما جرى فى الشرق .

وراح الغزاة الجدد الذين سيطروا على الجناحين يضغطون على القلب العربى .

إسبانيا تعبر مضيق جبل طارق وتحصل فى المغرب العربى على نقط ارتكاز تكون قواعد لزحف جديد ، والبرتغال تفعل الشىء نفسه فى المشرق وتتقدم حامياتها البحرية لتقيم المواقع والحصون ممتدة إلى شطآن الخليج العربى ؛ ثم تبدأ فى التعرض للملاحة العربية فى البحر الأحمر .

ويتنبه السلطان المملوكى الحاكم فى مصر ؛ السلطان «الغورى» فيبعث أسطولاً بقيادة «البكيركى» . . . تنبه السلطان متأخرًا ووقعت الواقعة وضاع الأسطول المصرى . ولم يجد السلطان «الغورى» غير أن يستنجد بـ«بابا» روما ؛ أى إنه استجار من الرمضاء بالنَّار(!!) وكانت تلك فى الحقيقة هى اللحظة التى انهار فيها النظام المملوكى كله كما ينهار أى نظام يعجز عن حماية دياره .

وبعض المؤرخين يتساءلون عن السبب الذى دفع العرب إلى الرضا بالعثمانيين وكيف بايعوهم بالخلافة فى قلب دار الإسلام وهم من غير العرب؟ ولعلى لا أتطاول على التاريخ إذا قلت : إنَّ الرد على هذا السؤال لايحتاج إلى عناء كبير ؛ فالعناصر الواعية فى الأمة العربية تصورت أن هؤلاء العثمانيين ـ وهم «جنس عسكرى» ـ يستطيعون حماية قلب دار الإسلام ضد قوى السيطرة التى راحت تحدق به من كل ناحية .

وكان هذا التصور منطقيًا فى ذلك الحين بكل ما فيه من خير وشر .

الخير فى أن «الجنس العسكرى» استطاع أن يرد لبعض الوقت ويصد .

والشر فى أن الظاهرة العسكرية وحدها وبدون عمق حضارى هى لحظة موقوتة .

وهكذا فإن الزحف الاستعمارى الغربى الذى توقف قليلاً بعد قيام الخلافة العثمانية لم يلبث أن عاد يستأنف ضغطه من الجناحين إلى القلب .

وكان الذى حدث أن إسبانيا والبرتغال عجزتا عن تكملة الطريق ؛ فى الوقت الذى كان فيه شمالى ووسط أوروبا (بريطانيا وفرنسا بالذات) قد التقط أنفاسه بعد الحروب الصليبية وعوض خسائره فيها .

أكملت بريطانيا ما بدأته البرتغال ووصلت حتى عدن ، وأكملت فرنسا ما بدأته إسبانيا فى شمالى أفريقيا ؛ بل وحاول «نابليون» أن يبدأ مباشرة من مصر .

وكان «جواهر لال نهرو» قد سألنى مرة من قبل ـ وكنا فى بلجراد ـ عن الأسباب التى أدَّت إلى سقوط دولة الإسلام فى الهند بهذه السهولة ، وقلت له أيامها : إنها فى ظنى الأسباب نفسها التى أدَّت إلى انهيار دولة الإسلام فى الأندلس . ثم تسرّعت وقلت : «إنه تعدد الزوجات» ، وأضفت أننى حاولت أن أتقصى الحالتين وأدرس ما جرى فيهما ، وكان أكثر ما لفت نظرى هو الحروب العائلية التى وضعت الأخ فى مواجهة أخيه ، وسمحت للغريب أن يمر بينهما ، وأن يحالف أحدهما ليقضى على الآخر . ولم أجد سببًا ظاهرًا غير تعدد الزوجات الذى جعل الأمراء فى أحضان أمهاتهم ، وكل واحد منهم يرضع مع لبن أمه كراهية زوجة أبيه الأخرى وأبنائه منها .

وسألنى «نهرو» فى بلجراد :

«هل تظن أن ذلك وحده السبب؟» ثم أضاف : «أنه درس الإسلام فى طفولته فى «أحمد أباد» وتعرف إليه قبل أن يتعرف على ديانة قومه من الهندوس ، وهو يظن أنه لابد من وجود أسباب أخرى إلى جانب حكاية تعدد الزوجات» .

ابتسمت عندما وصلت إلى هذا الموضع من كلام الأستاذ هيكل! وملكنى عجب ما أظن أنه سينتهى! كيف يكون «تعدد الزوجات» سبب انهيار الدولة الإسلامية هنا أو هناك؟ كيف يتطرق هذا الوهم إلى عقل كبير؟ إنه كالقول بأنَّ هزيمة الدول العربية سنة ١٩٦٧م أمام اليهود ترجع إلى انتشار «أكشاك بيع السجاير» فى شوارع القاهرة!!

على أن الخطأ فى التعليل مهما بلغ فهو دون خطأ الإسلاميين فى رواية تاريخهم دون تمحيص ، واكتفائهم بالرد المجرد من غير بحث أسباب النصر أو الهزيمة ، والازدهار أو الانهيار!

ولقد رأيت أنماطًا من الداعين إلى الإسلام لايرتبطون بأصوله العظيمة قدر ما يرتبطون بالمجرى الذى خطَّه الواقع فى دنيا النَّاس ؛ سواء أكان هذا المجرى معوجًا أم مستقيمًا معتكرًا أم صافيًا . . بل قد تكون الدعوة إلى أعراف مضت وتقاليد سلفت بدل أن تكون للوحى المعصوم ؛ وهذه هزيمة مضاعفة للدين نفسه .

الآن يجتمع كرادلة النصرانية ليختاروا سيد الفاتيكان ، أو «البابا» الذى يقود قرابة مليار من البشر ، إنهم يجتمعون ليبحثوا عن أكفأ رجل فيهم ليضعوا بين يديه الزمام ، وقد اختاروا لقيادتهم شيخًا من بولندا التى تدور فى الفلك الروسى ، ما اختاروا إيطاليًا ولا فرنسيًا ، كانوا يبحثون عن النشاط والقدرة ، حتى إذا وجدوا ضالتهم وضعوا على رأسه التاج ، ومشوا وراءه يخدمون كنيستهم لايخدمونه هو ، وهكذا يمضون فى طريقهم لايلوون على شىء !

ذاك ؛ على حين يدرس فى كتبنا أن الشورى لاتلزم الخليفة الذى رشحه نسبه العريق(!) لقيادة أمة كبيرة . . .

والزعم بأنَّ صاحب السلطة لاتحكمه الشورى شىء سخيف حقّاً ، وهو من تكبيرالأقزام ، وخلق وثنية سياسية تراغم الدين والدنيا . .

وقد تعانق التعصب للنسب ، والتعصب للرأى الخاص ، عند ذوى السلطان فهوت الأمة كلها من حالق .

إنَّ العرب حملوا الإسلام للعالمين ، وهذا شرف لهم وتكريم إلهى هم له أهل .

والذى أفهمه أن يدخل عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر بالإسلام ، وأن يحكمها حينا من الدهر باسمه ، فإذا أسلمت مصر ، أو أسلمت أقطار أخرى بعد ما

قرع الإسلام أبوابها وطرد الرومان منها ، فمن حق هذه البلاد التى أسلمت وحَسُن إسلامها أن تملك أمرها ، وأن يقودها واحد من أبنائها .

أما أن يقول الفاتح العربى : أنا وحدى ، أو أحد من سلالتى أو واحد من أقربائى هو الذى يحكم فهذا ليس المنطق الإسلامى المأنوس فى أصول الإسلام ، ولا هو منطق الإخلاص للعقيدة وروابطها الجديدة . . .

إن فرض خلافة عباسية بالمشرق أو خلافة أموية بإسبانيا إلى القرنين السابع والثامن الهجريين هو مسلك عربى لامسلك إسلامى .

واستغراب الأستاذ هيكل لخلافة تركية ، وتساؤله : لماذا رضى العرب بها؟ هو انسياق مع التعصب العربى وليس اطّرادًا مع الفكر الإسلامى .

كل ما ننبه إليه أن الذى يقود الأمة الإسلامية يجب أن يكون مستعربًا ، أى متحدثًا بلغة العرب قديرًا على فهم الكتاب والسنة .

ليكن الجنس الحاكم هنديًا أو زنجيًا أو تركيًا ، المهم أن يكون راسخ القدم فى الثقافة الإسلامية ، فالعربية لغة الوحى ، ولغة العبادة ، ولغة القيادة بداهة .

وفشل الترك لم يجئ من جنسهم ؛ إنما جاء من قصورهم العلمى ، وعجزهم عن خدمة الدعوة الإسلامية .

وأنا رجل لا أعرف نسبًا ينمينى إلى «عبس» أو «ذبيان» إن الرباط الوحيد الذى أتشبث به هو الإسلام ، وتعصبى للعربية مرده إلى أنها لغة الوحى ، ولا أحقر عندى من امرئ يجرد العروبة من الإسلام ، ويريد الانطلاق بها فى الآفاق على أنها دم أزكى أو أرومة أشرف . . .

وإذا كان العرب خلال القرون الماضية قد خلطوا تعاليم الإسلام بتقاليدهم الخاصة فمهمتى العلمية أن أميز هذه عن تلك ، فأقبل هدى الله سبحانه وأترك لغو الناس .

وعلى أية حال فإنَّ الشوائب الدخيلة على الإسلام وأمته هى وحدها التى أودت بدولته .

وعندى أن مصرع الخلافة الإسلامية يجب أن يسجل فى التاريخ على أنه جريمة انتحار لا جريمة قتل ، فالمسلمون هم صانعو الهزيمة التى نزلت بهم سواء فى هذا القرن أو فى القرون الوسطى .

ويرى الأستاذ هيكل أنَّ الحروب الصليبية ـ الأولى ـ كانت انطلاقًا نفعيًا ، قبل أن تكون حماسًا دينيًا ، وهذا الحكم يخالف الواقع القديم والجديد .

ولننظر إلى عالمنا المعاصر بعد ما أعلن انتماءه للإنسانية ، وزهادته فى العناوين الدينية ولنتساءل : هل ترك الصليبيون مشاعرهم الأولى ضد الإسلام ؟

إن مليار مسلم بينهم (١٥٠) مليونًا من العرب ، أرخص عند الأمريكيين والأوروبيين من ثلاثة ملايين يهودى احتلوا فلسطين .

والعرب أودعوا ثرواتهم - وهى قناطير مقنطرة من الذهب والفضة - فى مصارف الغرب الصليبى ، ومع ذلك فإنَّ الولايات المتحدة وحدها تمنح كل يهودى يستعمر فلسطين ألف دولار سنويًا معونة خالصة ، ذكرًا كان أو أنثى ، طفلاً كان أو شيخًا ، كى تساعده على إقامة «إسرائيل» واغتصاب أرضها من المسلمين!

والمليارات الثلاثة التى يتصدق بها الأتقياء الصالحون من سكان أمريكا ، شىء آخر غير المعونات المدنية والعسكرية التى تقرر رصدها ليكون بنو إسرائيل قادرين على أن يهزموا العرب جميعًا ؛ إذا اتحدوا عليهم .

وهذا الاتحاد مستبعد ما بقيت الصليبية العالمية تكيد كيدها ، وترقب الإسلام بضغن وضيق ، وما بقيت بقدراتها الاقتصادية والأدبية تستلحق بعض المسلمين ليتبنوا قضاياها ويخدموا مآربها . . .

لقد قرأت عن سفر مستر «كارتر» رئيس الولايات المتحدة السابق إلى السودان ، وعرفت أنه ذهب إلى القطر المرهق بأزماته ولاجئيه كى يوهن شوكة الإسلاميين الذين استطاعوا فرض جزء من الشريعة الإسلامية على الحكومة السابقة ، وكى يدعم جانب التمرد التنصيرى فى الجنوب المغصوب!

ومع الرئيس السابق قوى عربية رافضة للإسلام ؛ تعين عليه كل قادم من الشرق أو الغرب . . يحدث ذلك كله فى ظل «علمانية» معلنة ، وإنسانية لاتنتمى إلى دين!! فكيف بأيام «بطرس الناسك» والصرخات المسعورة لحرب المسلمين؟

إنَّ كراهية محمد ﷺ ودينه بلغت عند الأوروبيين حد الهوس ، وأفقدتهم رشدهم ، وقد تسابقت دول أوروبا كلها ، شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا على محاربة الإسلام ، وكشف الأستاذ هيكل فى إيجاز خطة القوم التى استغرق تنفيذها قرونًا طويلة . . .

كان قلب العالم الإسلامى هو الهدف الأول ، فتدافعت إنجلترا وفرنسا وألمانيا إلى مصر والشام ، وأمكنتهم غفلة المسلمين من اقتحام بيت المقدس ، وكان المقتحمون ظماء إلى الدم ففجروه سيولاً ، وسبحت فيه خيلهم ، وكتبوا إلى البابا يهنئونه بما فعلوا . .!

واستيقظ النيام ومطارق الوحوش تهوى على رءوسهم ، وشرعوا فى المقاومة التى بدأت واهنة ثم نمت على مدى قرنين أو أكثر! وتراجعت الغارة الهمجية بعدما أدركها الكلال ، وخامرها اليأس . . .

فالتقطت دول أوروبية أخرى اللواء ، واتجهت هذه المرة إلى أجنحة العالم الإسلامى ، لا إلى قلبه . . فامّحى الإسلام من الأندلس ، لم يبق له وسم ولا رسم!

واستولت هولندا على إندونيسيا ، واستقرت فيها أعصرًا ، واكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، فاستداروا منه إلى جنوبى آسيا وشرقيها ، وهناك صالت الصليبية وجالت دون وجل . .!

وظهر الأتراك العثمانيون فى هذه الظروف العصيبة ، وشغلوا أوروبا بنفسها قرابة أربعة قرون ، ولا ريب أنهم أخروا الاستعمار الحديث مدة طويلة ، بيد أن دول أوروبا وحّدت كلمتها ، وتنادت من كل ناحية متجهة إلى العالم الإسلامى ، زاحفة على قلبه وأجنحته كلها ، واستطاعت أن تنزل به هزيمة لا نظير لها فى تاريخه الطويل ، وسقطت حكومة الرجل المريض ، وتبعتها ـ أو سبقتها ـ حكومات أخرى كانت تحيا إلى جواره . . .

وقد قلنا فى مكان آخر : إنَّ الدولة الإسلامية حين سقطت كانت فارغة من الخصائص الإسلامية! بل كانت أبعد شىء عن سياسة الإسلام فى الحكم والمال ، كما أن الجماهير الكثيفة هبط عليها من الفساد ما جعلها تتصور الدين بعض الغيبيات . وفى خيمة الغيبيات مهرب واسع للتصورات الغامضة والخرافات التى ينكرها الدين نفسه .

إنَّ الاستعمار الحديث مع طبيعته الدينية الناقمة على الإسلام غلف وجهه بقشرة رقيقة من الإنسانية المتسامحة المستعلية على النعرة الجنسية أو الدينية ، لكن لغط القوم يكشف خباياهم ؛ وإذا كان الأستاذ هيكل يرى أن الحروب الصليبية اقتصادية أولاً دينية ثانيًا! فإنى أضع بين يدى كل قارئ هذه النصوص لمستشرقين ومؤرخين ومنصرين ؛ ليرى حقيقة المشاعر النفسية عند القوم ، واضطرامها بالضغينة والافتراء والغضب .

وإذا كان التعبير اللغوى قد تغير فى العصر الحديث لأسباب شتى ، فإن الخلفيات الدينية لم تزدها الأيام إلا حدَّةً وضرامًا ، وفى عرام الاشتباكات السياسية والحربية الأخيرة تتساقط الأستار المزورة وتبدو الحقائق الشائهة . .

يقول «المونيسنيور كولى» فى كتابه (البحث عن الدين الحق) :



«برز فى الشرق عدو جديد هو الإسلام الذى أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب . ولقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين تبعوه وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق .

ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ، ووعد الذين يهلكون فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات فى الجنة ، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وإسبانيا فريسة له . حتى إيطاليا هددها الخطر ، وتناول الاجتياح نصف فرنسا . ولقد أصيبت المدنية . . ولكن انظر!! هاهى النصرانية تضع بسيف «شارل مارتل» سدًا فى وجه سير الإسلام المنتصر عند «بواتييه» (٧٥٢م) ثم تعمل الحروب الصليبية فى مدى قرنين تقريبًا (١٠٩٩ ـ ١٢٥٤م) فى سبيل الدين ، فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجى النصرانية ، وكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب ، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة» .

ويقول «جوليان» فى كتابه (تاريخ فرنسا) :

«إن محمدًا ـ مؤسس دين المسلمين ـ قد أمر أتباعه أن يخضعواالعالم ، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى(!!) .

إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة ، وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم وإحسانهم . ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين» .

وجاء فى كتاب (تقديم التبشير العالمى) الذى ألفه الدكتور «غلوور» ونشره فى نيويورك سنة ١٩٦٠م ، فى نهاية الباب الرابع : «إن سيف محمد والقرآن أشد عدوٍّ ، وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق ، ومن بين العوامل الهدامة التى اطلع عليها العالم إلى الآن» .

وقال :

«القرآن خليط عجيب من الحقائق والخرافات ، ومن الشرائع والأساطير ، كما هو مزيج غريب للأغلاط التاريخية والأوهام الفاسدة ، وفوق ذلك هو غامض جدًا لايمكن أن يفهمه أحد إلا بتفسير خاص ، والذى يعتقده المسلم أن المعبود هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، فالله ملك جبار متسلط ، ليست له علاقة مع خلقه ورعاياه إلا الجبروت» .

أوعيت أيها القارئ هذه النقول؟ وأبعادها النفسية والسياسية؟ إنها باطن الاستعمار القديم والحديث على سواء ؛ إلا أن الاستعمار الحديث مع طبيعته الدينية الناقمة على الإسلام غلف وجهه بقشرة رقيقة من الإنسانية المتسامحة المستعلية على النعرات الجنسية والدينية .

بيد أن هذه القشرة أخذت تتساقط يومًا بعد يوم ، ثم انكشفت كل الانكشاف فى قضية فلسطين ، وفى تأليب بعض الأقليات الدينية لدعم العدوان الصهيونى ومساندة التنصير العالمى .

وللإنسانية المجردة أنصار نبلاء ، أُكن لهم فى نفسى احترامًا جمًا ، وأتابع نشاطهم فى خدمة السلام والعدالة ، وقد حزنت لمقتل رئيس وزراء السويد ، ومن قبله لمقتل «كونت برنادوت» .

والغريب أن القتلة مجهولون ، ولكن الأهداف الإنسانية التى كان يعمل لها أولئك الرجال لم تكن مجهولة . .

وظاهرة أن أصابع الصهيونية والعنصرية وراء هذه الاغتيالات الوضيعة ، وظاهر كذلك أن قضايا الزنوج فى جنوبى أفريقيا وقضايا العرب فى فلسطين لن تجد لها حلاً إنسانيًا ، لأن التعصب الأعمى لايريد لها الحل .

وقد تأسست فى فرنسا جماعات تنتمى إلى «شارل مارتل» الذى هزم المسلمين فى جنوبى فرنسا ومنع امتدادهم داخل القارة .

وهدف هذه الجماعات طرد العرب المعاصرين من فرنسا إذا عز تجنسهم أو تنصرهم! وجهود الأحزاب الفرنسية ـ يمينية كانت أو اشتراكية ـ لاتعدو هذه الغايات .

والحال فى سائر الدول الأوروبية مشابه للأوضاع النفسية والفكرية فى فرنسا . .

ويوشك أن تختفى قشرة العلمانية أو الإنسانية ليحل محلها عداء مجنون للأمة الإسلامية المسترسلة ، ولدينها المنكور .

ولست ألوم غيرنا! إننا بعيدون قولاً وعملاً عن الإسلام ، مع انتمائنا المعلن إليه من الناحية الشعبية ، ومع ضيق «حكومات إسلامية» به من الناحية الرسمية .

وأخشى أن يستمر هذا التذبذب فى مواقفنا إلى أن تفاجئنا الصهيونية والصليبية المتظاهرتان علينا بطلب محدد حاسم هو أن نترك الإسلام ظاهرًا وباطنًا .

إن العالم يتدحرج إلى هاوية سحيقة من الضغائن الدينية القديمة ، وإذا لم نتشبث بديننا ونحسن العمل له لم يتماسك لنا كيان ، ولن يُبقى علينا الصهاينة ، ولا أتباع «شارل مارتل» الذين تتضاعف أعدادهم يومًا بعد يوم .

لقاء مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى

رجل عرفته الساحة الإسلامية داعيًا إلى الله منذ نصف قرن أو يزيد ، له آراؤه ومؤلفاته التى ينهل منها الدعاة إلى اليوم .

حاول البعض أن يشده إلى تيار بعينه وآخرون حاولوا استمالته إليهم ولكنه صاحب منهج مستقل ، يجهر بما يراه حقًا وحسب فهمه لنصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ ، وسيرة السلف الصالح ، والمصلحة العامة للمسلمين ومتطلبات العصر .

فالرجل متطور الفكر ، يرفض الجمود ، ولكنه لايخرج عن دائرة الالتزام بروح الشرع ومبادئه الأساسية .

قد توافقه فى بعض الجمود ، وقد تخالفه فيها ، ولكنك بالتأكيد سوف تنجذب إلى سحر بيانه ووضوح حجته . وعلى كل حال فقليلون هم الذين تختلف حولهم الآراء ، وهم أناس ذوو شأن ومكانة ، ومن هؤلاء ضيفنا فى هذا العدد الشيخ/ محمد الغزالى ، سألناه الرأى :

عما يجب أن يتوافر فى الداعية؟

فقال :

ما يجب أن يتوافر فى الداعية:

يجب أن يتوافر فى الداعية صفتان أساسيتان إحداهما علمية والأخرى خلقية . حتى يبلغ أهدافه ، ولنبدأ بالناحية العلمية ، إن مدرس اللغة العربية يستطيع أن يؤدى واجبه بالمدرسة إذا ما قرأ كتابًا أو كتابين فى النحو والصرف أو فى علوم المعانى والبيان أو فى آداب اللغة أو غيرها ، وكذلك مدرس الفقه أو التاريخ ، أما الداعية فيجب أن يكون صاحب أنصبة متعددة غنية من جميع العلوم الشرعية المتصلة بالكتاب والسنة ، والعلوم الكونية كالفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك والعلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم الجماد وغيرها ، فليس من المقبول من الداعية أن يكون ذا أفق محدود أو ثروة ضئيلة من المعارف الإنسانية ، فهو بطبيعة الحال يخاطب أنماطًا مختلفة من الجماهير ومنهم المثقف ومنهم متوسط الثقافة ومنهم من لا ثقافة له ، لذلك يجب أن يكون الداعية فى المستوى الأعلى من الثقافة حتى يناسب هؤلاء جميعًا .

وسأضرب لك بعض الأمثلة على ذلك :

فى أحد الأيام زارنى أحد المسئولين فى مصر وأخبرنى عن ظهور كتاب يتحدث عن التاريخ الإسلامى لمؤلفه «جاك تاجر» مدير مكتبة الملك فاروق ، وقد حصل به على درجة الدكتوراه من جامعة السربون بفرنسا ، والكتاب من ألفه إلى يائه مشحون بافتراءات على الإسلام والمسلمين ، وطلب منى هذا المسئول الرد على ما جاء بهذا الكتاب ، وبعد أن قرأت هذا الكتاب شعرت بغصة ، ورأيت أنه لكى أرد على هذا الكتاب على أن أستكمل بعض الأمور التى تنقصنى ، وهذه تحتاج إلى شهر ، فقال المسئول : لماذا تحتاج إلى شهر؟ فقلت له هذا الكتاب فيه هجوم على التاريخ الإسلامى وموقف المسلمين من أهل الذمة ، وأنا لم أقرأ كتبًا عن أهل الذمة ، وإنما الذى أعرفه القواعد العامة التى يعاملون بها ، وأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، أما العرض التاريخى لمثواهم ومتقلبهم فى المجتمع الإسلامى فليس لى به إلمام كاف ، كما أننى أحتاج إلى مراجعة موقف المسيحيين قبل ظهور الإسلام من الأديان الأخرى والمذاهب والملل والأجناس الأخرى ، وهذه ليس لدى فيها تفاصيل واضحة ، كما أن هناك مراجع ومخطوطات اطلع عليها صاحب الكتاب ولا آمنه فى النقل ، أنا أحتاج إلى الاطلاع على هذه الكتب ، وهناك مراجع فرنسية كثيرة وليس لى إلمام باللغة الفرنسية ، وهكذا فالأمر يحتاج إلى وقت ، وبعد استكمال هذه الأمور وبتوفيق من الله تعالى وضعت كتابًا لى فى هذا الموضوع ، استطعت به أن أرد على ما جاء بهذا الكتاب الذى اختفى والحمد لله .

تحدث فرويد مثلاً فى علم النفس عن أخطار الكبت ، وأنا مضطر حينما أتحدث عن الصوم أن أقول للصائمين إن هناك كبتًا مشروعًا ، بل لن تكون فضيلة إلا بعد كظم الهوى وحبس الشهوات وتحكيم الإرادة الإنسانية فيها ، إن الإسلام يرفض الكبت المطلق أو الرهبانية ، ولكنه يضع حدودًا للتطلعات التى لا آخر لها ، وهناك كبت دائم كالنظر إلى المحارم أو الوقوع فى المعاصى وهكذا ، لذلك فلابد للداعية من الاطلاع الواسع ، لأن خصمى ليس بضيق الأفق بل هو واسع الاطلاع ، ولقد رأيت المستشرق المجرى «جولدزيهر» عندما ألف كتابه «الشريعة والعقيدة فى الإسلام» اطلع على نحو مائتى كتاب جعلها مرجعًا له فى آخر كتابه ، رجل مستشرق يطلع على مائتى كتاب ، هل ينتصب للرد عليه رجل يقرأ كتبًا تعد على الأصابع؟ إن الإسلام يحتاج إلى دعاة قراء يلتهمون الكتب ويطلعون على كل شىء حيث ستتحول هذه القراءات إلى

عصارات ذهنية تمد فكرهم بعناصر الحياة ، كما تتحول الأغذية فى البدن إلى طاقة وقوة ونماء ؛ لذلك أقول للداعية : اقرأ باستمرار ، اقرأ كل شىء .

أما من الناحية الخلقية ، فلابد أن أقول كلمة : إن الداعية يجب أن يبلغ الحق ، أى يجب أن يكون صريحًا فى الإبانة عن مراد الله فى خلقه ، يجب أن ينفذ الميثاق المأخوذ على أهل الكتاب ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾[1] . فلابد للداعية أن يبين ولايكتم ولكن هناك بيانًا لطيفًا أصارح وأكون مهذب العبارة ، أقول الحقائق وأضعها فى إطار شهى حلو ، أما أن أستثير العناد بالطريقة التى أتحدث بها ، فهذا مالا نرضاه للداعية ، وعلى الداعية أن يضع نصب عينيه دائمًا قوله تعالى : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[2] .

يجب أن نصارح ، وعلينا ونحن نعامل الملاحدة من العلمانيين والحاقدين من أهل الكتاب والشيوعيين والوثنيين ومن عصاة المسلمين وأصناف أخرى من الخلق ، أن نكون متمكنين علميًا ثم أخلاقيًا بحيث لانستفز ولانستثار ونستطيع أن نجمع بين الحلم والأناة ونحن نعارض خصومنا ونجادلهم ، وندعوهم بالتى هى أحسن .

موقفنا إزاء الغزو الفكرى

إن الله سبحانه وتعالى اختار هذه المنطقة من العالم لكى تكون الينبوع الذى تتفجر منه الرسالات كلها سواء رسالات الأنبياء العرب كهود أو صالح أو شعيب أو لوط أم الأنبياء من بنى إسرائيل أو غيرهم من الأنبياء الذين ذكروا فى كتاب الله ، فكل هؤلاء الأنبياء ظهروا فى منطقة هى منطقة الشرق الأوسط بتعبير العصر الحديث ، لماذا؟ لأنها وسط الدنيا وأنا أعتبر أن أمعاء العالم المادية والأدبية بين أصابعنا ، فهذه المنطقة الحساسة يمكن أن تكون وضعًا مناسبًا لنا لإدارة المعركة ، فهى سلاح لنا وليست سلاحًا علينا ، إن التيارات الفكرية تهب من كل مكان ولكنها عندما تناوش جبلاً أشم ، فهو صامد لايتزحزح ، وكما قال الشاعر العربى القديم :

كناطح صخرة يومًا ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

---

(١) آل عمران : ١٨٧ .

(٢) فصلت : ٣٤ .

فإذا جاءت التيارات من الشرق أو من الغرب فالذى يعنينى مدى الصلابة فى مواجهة هذه التيارات الوافدة ومدى المناعة الفكرية والنفسية المتوفرة عندى حتى أستطيع أن أصمد وأقاوم ، وأرى أن الهجوم هنا أفضل من الدفاع ، وأنه ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا ، وأن العيب أن أنتظر أن يأتينى غزو ثقافى من الخارج ، فما الذى أسكتنى وأخرس لسانى وشل يدى عن العمل فلا أكتب ولا أخطب ولا أحاضر ولا أوجه ولا أصدر هذه إلى أمريكا وأوروبا وجنوب أستراليا وغيرها مما لا تتصل بوحى الله ، كان يجب على أن أكون إيجابيًا فإذا حدث أن بعض التيارات لأمر ما قدمت على بلادى وأمتى ، وأن قرون الضعف التى مررنا بها قد أصابتنا بهزائم عسكرية وسياسية مكنت الأعداء منا فلاينبغى أن أستسلم ، وعلى أن أحارب فى عدة جبهات كى أنجو ببلادى وأمتى من هذا البلاء الوافد ، وأظن الهجوم والدفاع سيكونان من عدة شعب ، هناك شعبة أولى تتجه إلى البيت بالتربية والتعليم وصياغة التقاليد صياغة تتفق مع الإسلام ، لأننى أرد شيئًا من الهزائم النفسية والعسكرية التى أصابتنا إلى رداءة التقاليد التى تحكم بلادنا وأثرها السلبى فى تكوين أجيال قوية ، ثم يأتى بعد هذا الإصلاح الاجتماعى ، والإصلاح الاجتماعى قاعدة معروفة ، فأنا أحب الخير وأدعو إليه وأكره الشر وأنهى عنه ، وفى الوقت نفسه آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وهذا الأمر والنهى يحتاج منا إلى زمن لأن ما فسد فى أيام لايصلح فى ساعات ، وما تغيرخلال عصر طويل لايمكن أن أصلحه خلال أيام قليلة ، إن الزمن جزء من العلاج ، وأنا كما قلت لا أخاف من التيارات الوافدة إنما المهم أن أعد أسلحة الدفاع كلها حتى أستطيع أن أنجو بأمتى مما يخططه الأعداء لها والله المستعان .

الإعلام وأساليبه وآثاره

اتخذ الإعلام فى هذا العصر منهجًا خطيرًا ، وترك وراءه آثارًا غائرة فى نفوس الناس ، والمعروف أن الإعلام بوسائله المختلفة من إذاعة وتلفاز وغيرهما قد اعتمد على أمرين ، الأول : التثقيف ويكون بالمحاضرات والدروس الدينية والتحليلات السياسية ، ونشرات الأخبار وغير ذلك من أنواع المعرفة التى تبث على مختلف الموجات ، أما الأمر الثانى : فهو التسلية التى تعنى أننا نروح عن الجماهير بشىء من الموسيقى وشىء من الغناء والتمثيل الهزلى ، أو الجاد مما يمكن قبوله ، وهذان الأمران اللذان يشكلان دعامة الإعلام يحتاجان إلى تعليق ، إن عناصر خطيرة من الثقافة الجادة الصحيحة غير موجودة ، فالثقافة التى تعرض على الجماهير ناقصة العناصر ، فالتغذية

المادية فى الطعام إذا ما نقصت منها بعض العناصر التى يحتاجها الجسم فإن المرض سيدب فى هذا الجسم ، فلابد فى التغذية من وجود النشويات والسكريات والدهنيات وغيرها ، وكذلك الثقافة التى تبث بين الجماهير يجب أن تكون ثقافة متكاملة العناصر ، ففى إحدى رحلاتى إلى أمريكا شاهدت درسًا صامتًا فى التلفاز يدل على وجود الله تعالى ، الدرس الصامت عبارة عن مشاهد لأمواج هائجة كالجبال ولجج متلاطمة حتى ليحدث المشاهد نفسه ويقول : من هذا الذى يحرك البحر بهذه القدرة الرائعة؟ ثم يختفى هذا المنظر ليحل محله مشهد لجبال شماء ، فيحدث المشاهد نفسه ويقول : من الذى نصب هذه الجبال فى أماكنها على هذا النحو الشامخ؟ وفجأة يجد المشاهد نفسه أمام حقول ناضرة وأزهار يانعة ، إن الكون يعرض فى هذا الدرس الصامت ليتحدث بنفسه عن ربه .

إن خطورة الإعلام الآن أن الأقمار الصناعية تستطيع السيطرة على أجواء الأمة العربية وإرسال عشرات البرامج ، فإن لم يكن التلفاز العربى والإذاعة العربية على مستوى المنافسة العالمية ، فإن أناسًا كثيرين سوف يتركون رؤية أو استماع برامجنا ، ويتحولون إلى البرامج الخارجية ، وبهذا نتعرض لغزو عقلى وعاطفى قد يذهب بنا بعيدًا عن ديننا ، ولذا أطالب وسائل الإعلام المختلفة أن تترك الابتذال وإثارة الغرائز الوضيعة بما يتصل بجوانب التسلية ، أما فيما يتصل بالتثقيف فعليها أن تستكمل عناصر التغذية العقلية حتى يمكن أن يكون لدينا ما يفيد أبناءنا .

أما بالنسبة للنواحى الدينية فى الإعلام وهى التى تعنينى ففيها نقص شديد ، لأن عددًا كبيرًا من الشيوخ عندما يفسر القرآن أو يشرح السنة لايتعدى شرحه الكتب القديمة وهى كتب ألفت من عدة قرون ، عالجت قضايا أو نظرت إلى العالم الإسلامى من زاوية مفقودة الآن ، إن العالم الإسلامى الآن يحتاج إلى علاجات جديدة والخلود لكتاب الله وسنة رسوله وليس الخلود لبعض المؤلفات التى كتبها هذا أو ذاك ، كتبنا قد تصلح لعصرنا وربما يجىء العصر الذى يلى فلا تصلح كتبنا له ، إننا نريد أن نتجدد ثقافيا ، ففى الصحافة الآن يمكن أن تجد الخبر يصاغ فى نصف عمود بعد أن كان يشغل العديد من الأعمدة ، كما تجد الرسم الساخر المعبر عن فكرة ما «كراكتير» إذا لم يكن الإعلام الدينى قد بلغ هذا المستوى من التجديد فمعنى هذا أننا سنهزم فى معركة الإعلام أريد تغييرًا فى عقولنا وفى برامجنا ، وفى طرقنا ، وفى وسائلنا ، وبذلك فالإعلام الإسلامى موجود بنسبة لاتتجاوز العشرة فى المائة وأتمنى لها النمو المطرد .

هجرة علمائنا المسلمين ومفكريهم وآثارها السلبية عليهم

إن تربية طبيب كبير أو كيميائى عظيم أو صيدلى مبرز شيء مهم للعالم الإسلامى ، فنحن فى شئون الدنيا متخلفون ولكى ينتصر الدين لابد أن يتمكن من الدنيا ، فمن لادنيا له لايستطيع أن يخدم الدين ، وإذا تركنا أصحاب العقول الكبيرة تذهب إلى هنا أو هناك فمعنى هذا أن خسائر فادحة قد حصلت ، ليست الخسائر المادية التى أنفقتها الدولة عليهم ثم يجنى غيرنا نتاجهم ، ولكن الخسارة الأفدح هى انقطاع صلتهم بنا ، فالعالم الذى يحصل على قوته بصعوبة يذهب إلى هناك فيجد الأموال متدفقة تحت قدميه ويجد المسكن الفخم والمركب الفاره وتتوفر له كل الإمكانات ، وعندما كنت فى أمريكا عرفت أن بها عشرة آلاف طبيب عربى يعملون بجد ، ويمكن للشركات الصهيونية الاستيلاء على حصيلتهم العلمية فى نهاية المطاف ، شيء خطير فما سبب ذلك؟ السبب فى ذلك أننا عصينا أمر نبينا عليه الصلاة والسلام حيث يقول ﷺ : **«ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»** . رواه أحمد .

يجب أن نعرف للعالم حقه:

إن المعلم والطبيب كليهما لاينصحان إذا هما لم يكرما فلابد من تكريم هؤلاء والتمكين لهم ، أنا يؤسفنى أن بعض العلماء من العرب كانوا فى جامعات أمريكا من الأوائل ثم جاءوا إلى بلادنا فإذا هم يعملون فى أماكن لا تمت إلى تخصصاتهم بصلة ، وسرعان ما يطويهم النسيان ويغرقون فى الموجة ، فمن كان الأول على زملائه كسف باله وخمدت ناره وبردت همته وأصبح يعيش كما يعيش الناس ، كان يجب أن يوجه هؤلاء إلى المجالات التى تخصصوا فيها وأن نوفر لهم إمكانات الإبداع والاختراع والأداء الذى ينفع الأمة ، هل العربى فى موسكو أو واشنطن يكون ممتدًا جداً هناك ومنكمشـاً جداً هنا ، إن هجرة هذه العقول تشكل خطرًا علينا ، وفيها إمداد لعدونا ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالمهاجرون حتى من صغار الصناع يذهبون إلى بيئة لاتتجاوب معهم لادينياً ولا لغوياً فمن يحدثهم بلغتهم ومن يحيى معهم شعائر دينهم وأضرب مثلاً لذلك : رجل ذو مكانة مرموقة أرسل إلينا أنه عائد إلى بلاده مع أنه أستاذ فى الجامعة وكذلك زوجته والسبب فى ذلك أنه خشى على بناته من البيئة الأوروبية ، فأوروبا وإن تقدمت علميّاً إلا أنها من الناحية الخلقية فى الحضيض خصوصًا فى النواحى الجنسية ، فهم يرون الممارسات الجنسية أشبه بقضاء الحاجة ، فلا مساءلة فى مسالكها المختلفة ، ونحن ربينا على أن الحلال حلال والحرام حرام فلا نستطيع أن نقبل على أنفسنا أن نجد بناتنا فى أحضان الأوغاد ، الذين يتربون كالحيوانات وإن كانوا أصحاب معرفة واسعة فى شئون الكون والحياة ، إن هجرة العقول من بلادنا خطر مضاعف ، خسارة لنا وربح لأعدائنا ، ولكى نزيل هذا الوضع لابد أن نزيل أسباب البلاء .

الانتفاضة وواجب المسلمين حيالها

إن هذه الانتفاضة تشرق بها وجوه الفلسطينيين والشرفاء، وتخزى بها وجوه كثير من المسلمين الذين ينظرون إلى الأحداث وتجيئهم الأنباء المفزعة وهم ساكتون ساكنون لايتكلمون ولا يتحركون، إن الأسطورة فى هذه الانتفاضة أن الفلسطينيين مع عددهم القليل وإمكاناتهم المحدودة يواجهون الصهيونية العالمية ممثلة فى حكومة إسرائيل، وكذلك فى الحكومات الاستعمارية التى تريد أن تطفئ منارات الإسلام فى العالم وأن تجهز على قواه وأن تمكن بنى إسرائيل من إقامة دولتهم الكبرى كما خطط لها فى العهد القديم، وكما وضعت خريطتها على جدران الكنيست «من النيل إلى الفرات»، إن الخطورة أننا اعتبرنا الانتفاضة فلسطينية مع أن الجهاد الواجب من أجل هذه القضية جهاد إسلامى عام، فالجهاد لايخص الفلسطينيين وحدهم ولا العرب وحدهم وإنما يخص المليار والمائة مليون مسلم والذين يشكلون خمس عدد سكان العالم، فإذا لم يكن المسلمون على مستوى هذه المعركة فإن الانتفاضة لن تستمر إلى الأبد، فالخسائر فى الأرواح مستمرة، والفتور من قبل المسلمين واضح، وكأن الذى يجرى فى الأرض المحتلة يتصل بجنس آخر يسكن فى المريخ لايعنينا أمره، ونتيجة ذلك أن المسجد الأقصى سيتحول إلى هيكل سليمان، ولقد رأيت بعينى صور «ماكيت» فى المطابع لهذا الهيكل المزعوم، كما وضعت تصاميمه وإنه لشيء رهيب، ولقد وضح من تلك التصاميم أن حجر الأساس سيوضع أمام المسجد الأقصى، ومع البناء سيزول المسجد، إن زوال المسجد ليس قضية فلسطينية بل قضية قرآنية، إن المشكل أن اليهود يتحركون بعقيدة دينية بينما نحن العرب والمسلمين لانتحرك بالعقيدة الدينية المطلوبة، بل نتحرك بطريقة عنصرية، وواجب المسلمين أن يجعلوا المعركة معركة عقيدة أولا حتى يستطيعوا أن يواجهوا اليهود ويستثمروا هذه الانتفاضة المباركة.

الدعوات الباطلة وأساليبها

هناك كما يقال فى مرض «الإيدز» يفقد الإنسان مناعته الذاتية، كذلك الأمم تفقد أحيانًا مناعتها الدينية والخلقية، فتكون كالقلعة التى فتحت أبوابها واستسلمت لكل مغير، وأنا أريد أن نتجه إلى أبنائنا وشبابنا فنحصنهم بتعاليم الإسلام، يجب ألا ننتظر قدوم المرض ثم نبدأ بالعلاج، ولماذا لانبدأ من الآن بالوقاية، فالوقاية خير من العلاج، يجب أن نتجه إلى الشباب بالتربية الصحيحة السليمة وقضاء وقت فراغهم فيما يجدى، لقد رأيت الكثير من المبشرين يفتحون الساحات للشباب لممارسة التربية البدنية، ويفتحون المراكز الثقافية وعن طريق هذه الخدمات الاجتماعية يستولون على شبابنا، وكما قال أحد الصالحين «**نفسك إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل**»، ومن

الواجب علينا حيال ذلك أن نؤسس المراكز والمجامع الشبابية لتستقطب شبابنا فلا ندع لهم وقت فراغ إلا ونشغلهم فيه بالخير وما يعود عليهم بالمنفعة .

إن الغزو التبشيرى ليست له مصادر علمية محترمة فالتثليث عندما يصطدم بالتوحيد سيهزم ، ﴿ ..وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ.. ﴾ مبدأ عقلى ، فإذا استدرج العقل الإنسانى إلى الانحراف عن هذا المبدأ سينهزم حتمًا ، لذلك لابد من دعم الأسس العلمية للمسلمين وشرح جوانب الحق فى دينهم حتى لايضاروا بالأنماط الأخرى ، تاريخنا مشرف ، وتاريخ غيرنا لايسر ، لذلك يجب أن نسلح أبناءنا بالحقائق العلمية والتاريخية ونعرف كيف نعامل المبشرين ، فلسنا بلهاء حتى نسلمهم عقولنا ، إن التبشير الآن يرفض المعارك المباشرة ، لأنه يعرف خطورتها عليه ، لذلك يلجأ إلى طرق ملتوية للوصول إلى أهدافه فينشئ أندية رياضية أو ماسونية أو مدنية أو لا دينية ، ومن خلال هذه الأندية الباهتة يبدأ بتغيير المسلم فيزهده فى إقامة الصلوات الخمس ويزهده فى صيام رمضان ويزهده فى إقامة الشعائر الإسلامية ، ولعله يغويه بمصاحبة الفتيات من الديانات الأخرى ، وبذلك تبدأ عرى الإيمان لدى المسلم تنحل عروة إثر عروة ، وفى نهاية المطاف يترك المسلم دينه .

فالأمر خطير ومن واجب المسلمين أن يتنبهوا إلى ألاعيب المبشرين وحيلهم بتوثيق العلاقة بين المسلم وعقيدته حتى لاينجرف وراء هذه الدعوات الباطلة .

مجلة الوعى الإسلامى

إن مجلة «الوعى الإسلامى» بمادتها العلمية ، دسمة وفيها غذاء عقلى متكامل ويستطيع الإنسان أن يقرأ ويخرج منها بفوائد جمة من ناحية الحقيقة العلمية ومن ناحية البيان السهل الذى ينقل المعارف من الجهات المتخصصة إلى عامة الناس ومن مميزاتها ابتعادها عن الخلافات الرخيصة التى قتلت الأمة الإسلامية ، فكانت عامل بناء وتشييد لا عامل هدم وتخريب وحافظت على وحدة أمتنا وهذا شىء نحن فى أمس الحاجة إليه .



الصحوة الإسلامية حقيقة قائمة وليست شعارات ولكن تكتنفها أخطار هائلة

الداعية الإسلامى الكبير . . الشيخ/ محمد الغزالى ـ حفظه الله ـ بعد مسيرة حافلة قضاها فى حقل الدعوة الإسلامية المملوء بالألغام والمفروش بالأشواك ، وهو يتنقل من قطر إلى قطر . . ومن بلد إلى آخر ناصحًا وموجهًا ومرشدًا ، وهو يشخص الأمراض الفكرية والاجتماعية التى ابتليت بها أمتنا الإسلامية ، وقد لقى الشيخ فى سبيل تبليغ رسالته كثيرًا من العقبات التى ما زادته إلا ثباتًا وإيمانًا بقضيته ورسالته الجليلة . .

وبمناسبة بلوغ الشيخ الغزالى العام ٧٥ من عمره ـ أطال الله تعالى حياته ـ التقينا نستلهم رأيه فى كثير من القضايا الإسلامية الشائكة ، وما يتعرض له المسلمون من فرقة الاختلاف ، وسألناه عن حقيقة الصحوة الإسلامية المعاصرة ومستقبلها ، وعن رأيه فى الثقافات التى يتربى عليها أبناء المسلمين ، وعن رأيه فى مسار الدعوة الإسلامية ـ مالها وما عليها . رجاء الحوار مع ـ فضيلته ـ على هذا النحو : من واقع اهتمام فضيلتكم ـ بالصحوة الإسلامية . . دعنى أسأل : هل هذه الصحوة حقيقية؟ أم كما يقول البعض إنها مجرد شعارات لا سند لها بالإضافة لبعض الظواهر غير السوية التى تصاحبها فى بعض البلدان . .؟؟!

الصحوة الإسلامية حقيقة قائمة ، ولكن الإعداد لسحقها وتبديدها حقيقة أبرز للعين وأرهب للنفس . . فالصحوة الإسلامية المعاصرة تكتنفها أخطار هائلة ، يشارك فى صنعها مبشرون ومستشرقون وساسة وعسكريون وأدباء وإسلاميون ، وملاحدة وكتابيون ، ومصارحون ومداهنون ، وأناس غرباء عنا وأناس من جلدتنا . .

ولسنا نخاف أولئك كلهم يوم يكون قادة الصحوة الإسلامية من معدن إسلامى صاف ، يعملون بعقل مفتوح ، ويجددون سيرة سلفنا الأول . .

فالحق أن هناك صحوة إسلامية مشرفة ، وإنكار ذلك هو الجحود بعينه ، وخيانة للصديق ، وخدمة للعدو ، ولكننى أحب دائمًا أن يكون المنتسبون لهذه الصحوة أصحاب آفاق واسعة وثقافة عريضة ، فالإسلام دين قائم على العلم ، فإذا لم تكن على مستوى الغزارة العلمية التى يقدمها لنا الكتاب والسُّنة فلن نكون إسلاميين حقًا .



أمراض الصحوة

● الداعية الإسلامى الكبير ، هل يمكنك أن تحدد لنا أمراض الصحوة الإسلامية؟ وما وسائل وأساليب علاجها؟؟

●● أحذر المسلمين أن يقصروا دينهم فى معركة البقاء المحتدمة بين شتى الملل والنحل ، أو بين الإسلام من ناحية والعداوات التقليدية والمحدثة التى تواجهه الآن . إلا إذا كان الإسلاميون على مستواه ، ومعدين كل ما تطلبه المعركة من إمكانات لكى يكسبوها .

والمسلمون الآن ـ للأسف ـ يواجهون هزائم اقتصادية لايستطيعون إنكارها ، فهم فى حاجة إلى رغيف العيش الذى يقدمه لهم أعداؤهم ، فكيف ننتظر من الصليبية العالمية أن تطعمنا من جوع ثم نعلن الحرب عليها ، فنحن متخلفون اقتصادياً على هذا النحو الشائن . .

أيضًا المسلمون فى معركة الحضارة ليس لهم إنتاج صناعى ولو بحثت ما وجدت حاملة طائرات ولا غواصة إسلامية ، فما الحل إذا قررنا إقامة الدولة ثم هزمنا من يملكون السطوة فى البر والبحر والجو ، ألسنا بهذا نكون قد دخلنا بالإسلام فى معركة الهزيمة فيها محققة .

فالصحوة ليست مجرد حماس يملك العواطف ، أو شعورًا يجب أن ينتصر فنقتحم ميادين لاتلقى فيها إلا الهزيمة ، ولو أن الإسلاميين يدرسون سيرة نبيهم ـ ﷺ ـ دراسة واعية لعرفوا أنه انتقل من مرحلة إلى مرحلة وأسلمت كل مرحلة إلى ما بعدها فى هدوء ، فالأمر يحتاج إلى أن نتأمل الميدان الذى نعيش فيه ، أما أن تكون أغذيتنا وملابسنا وأدويتنا وأسلحتنا من صنع الآخرين ثم نعلن عليهم معركة باسم الإسلام فنحن بهذا نجر على ديننا الهزيمة من حيث ندرى أولا ندرى!

ثانيًا : لماذا لايشتبك المسلمون فى معارك عن أنفسهم وأخلاقهم وتقاليدهم وهى مليئة بالخلل والعوج وأنواع الشرور المختلفة .

أخطاء كثيرة

وهناك أخطاء كثيرة فى الفكر الإسلامى يجب أن تصحح ، إننا نظن أن العمل الصالح هو التلاوة والاستغفار والفكر ، وانتهى الأمر . . العمل الصالح فى تسخير البر والبحر ، وتطويع شتى المعادن والثروات لخدمة الإسلام وإعلاء شأنه . . إننا أصفار فى هذه الميادين . .

كما أننى أرى لغطًا عجيبًا بين الإسلاميين حول سلف وخلف وحول بعض المعارك الفقهية التافهة وغيابًا للوجود الإسلامى فى ميادين يستحيل أن ينتصر الإسلام إلا بالاستمكان فيها ، فأين هى الصحوة الإسلامية فى هذه الميادين؟ وأنا لا أظن بهذه الفوضوية التى تنتشر بين رجال الصحوة غير مؤهلين تمامًا لرعاية الإسلام أو لنصرته . . إننا نريد أن يجتمع أولو الألباب وأهل الذكر لكى يدرسوا هذه الصحوة وما اعتراها خلال الـ٣٠ سنة الأخيرة . . فالأمر يحتاج إلى مدارسة ، ولذلك أقف مع إخوانى لا خصمًا لهم بل . . ناصحًا ، أقول لهم : تريثوا قبل أن تدخلوا باسم الإسلام معركة يتهم فيها الإسلام يقينيًا ولاتكسبون فيها إلا المشاعر ، نريد تكوين البيت المسلم والشارع المسلم والمجتمع المسلم ، فإذا تحركت الصحوة الإسلامية لم تمش وحدها فى الطريق ليضربها رجال الشرطة بل تحرك الشارع كله معها . . وبذلك تكون أمة حيّة لايترجم عنها إلا حكم يتجاوب معها ، أما الاشتغال بغير هذا فلعله اشتغال بما لايجدى ولايفيد .

مواجهة أعداء الإسلام

● باعتباركم من العاملين فى حقل الدعوة ، فكيف تواجهون جبهة أعداء الإسلام ، والذين يتربصون بالإسلام الدوائر؟؟

●● الدعوة الإسلامية تشق طريقها وسط هذا الظلام الدامس ، وإننا أمة تمرض ولا تموت . . وإن أعداء هذه الصحوة المعاصرة ما هم إلا امتداد لأعداء الإسلام منذ بزوغ فجره ، وهؤلاء . . وهؤلاء . . لم تزدهم الأيام إلا قسوة قلب ، وغباء فكر ، إنهم يريدون الخلاص من الإسلام على أية حال ـ لكنهم ـ إلى اليوم فاشلون ، إن الجماهير المسلمة لم تنسَ دينها على كثرة المنسيات ، ولم يضعف حنينها إلى العيش فى ظله ، برغم ما صنع الغزو الثقافى بعد الغزو العسكرى . .

وإن محاولات خصوم الإسلام لم تقف عند هذا الحد ولم تنته أبدًا ، فالهدف من كل هذه المحاولات الملعونة هو الإجهاز على هذا «المصحف الشريف» . . وجعله حبرًا على ورق ، أو أثرًا يودع فى المتاحف .

وعلى المسلمين فى القارات الخمس ، وعلى كثرتهم العظمى بين المحيطين الهادى والأطلسى أن يلمسوا هذه الحقيقة ، فإما عاشوا بدينهم ، وإمانكصوا على أعقابهم فهلكوا . . ألا إن العاقبة للتقوى ، والمستقبل القريب والبعيد للإسلام دين الله من الأزل إلى الأبد ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[١] .

---

(١) محمد : ٣٨ .

● فضيلة الشيخ . . ما تقييمكم للثقافات التى يتربى عليها جيلنا الآن ـ لنا أم علينا؟؟!

●● فى رأيى أن الثقافة التى آلت إلينا مؤخرًا ضحلة آسنة لا فى مجال المعرفة الدينية ومدها ، بل فى مجال الأداء الأدبى كذلك ، وأن هذه الثقافة أعجز من أن تصنع أمة تنهض برسالتها ، وتخدم كتاب ربها وسُنّة نبيها .

وقد كانت ثقافتنا فى العصور الأولى تصنع أجيالاً عارمة ، قادرة على المحو والإثبات ، تحترم الحقائق وتعشق الفضائل ، وهكذا هبط العلم الدينى وتقوقع رجاله فى تخصصاتهم الدينية لا يمدون أنوفهم وراءها . .

ولذا أقول : إن العلم بالدين كله لايتم عن طريق تجار التجزئة ، وأن الصورة الكاملة للإسلام إنما تتم على النحو السلفى الأول ، وأن العقل الإسلامى المعاصر يجب أن يرتفع إلى مستوى الشمول فى القرآن الكريم ؛ حتى يستطيع بناء الأمة الواحدة التى لا تمد رقعتها على سطح الأرض خطوط الطول والعرض .

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾[1] .

وعلى المسلمين ـ أيضًا ـ أن يدرسوا التاريخ الإسلامى فهو تاريخ واسع ، كما أن الإسلام دين استبحرت فيه الحضارة ، وعلم كبير واسع أهملته الأمة الإسلامية دون أن تهتم به . .

ومع أن المستشرقين كرسوا جهودهم فى البحث والتنقيب عن مواضع القوة والضعف فى تاريخ الأمة الإسلامية ، أما العرب فليس لديهم شىء يفكرون فيه سوى تنازعهم على السلطان! أو عشقهم للرياسات ، لا شىء أمامهم إلا ضياع الدين والدنيا معًا . .

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ!

فالمستشرقون الأوروبيون يعرفون طبيعة الإسلام ، ويرصدون تاريخه القديم والحديث ، وتدبر معى قول المستشرق الألمانى «باول شمنز» منذ أكثر من نصف قرن تقريبًا :

«إن انتفاضة العالم الإسلامى صوت نذير لأوروبا وهتاف يجوب آفاقها ، يدعوها إلى التجمع والتساند لمواجهة العملاق الذى بدأ يصحو!!» .

---

(1) العنكبوت : ٥٦ .



فقد عرف المسلمون الأوائل - بفهمهم الواعى للدين - أن أمة العقيدة لايحصرها مكان ، وأن إخوان العقيدة لايحدهم جنس .

مسيرة الحضارة الإسلامية

● ما رأى - فضيلتكم - فى مسيرة الحضارة الإسلامية المعاصرة - ما لها وما عليها؟؟

●● العالم الآن لايعرف إلا حضارة الغرب فى جميع شئونه الحياتية ، أما حضارة الإسلام فى خبر «كان» ، ولذا لا أستطيع القول إنه توجد حضارة إسلامية تلك التى سادت العالم قرابة ألف سنة ، كان المسلمون فيها هم العالم الأول المتقدم ، وكانت الدنيا تنقاد لهم وتنشر حضارتهم بتقدمهم العلمى والعملى . .

بل إن المسلمين لما انهزموا عسكريًا أمام التتار ظلت حضارتهم قائمة ؛ ولذلك دخل التتار فى الإسلام . .

وكانت الأمة المهزومة - آنذاك - أرقى حضارة وأكثر ثقافة من الأمة المسيطرة عليها ولذلك ذابت فيها . .

أما اليوم فقد تخلف المسلمون وتخاذلوا وتضعضعوا إلى الوراء كثيرًا مما يجعلنا نجزم بألا توجد حضارة حالية ، وإن كانت توجد مواريث ضرب عليها العنكبوت بنسجه تذكرنا بقول الشاعر :

لخولة أطلال ببرقة سهمد . .

تلوح كباق الوشم فى ظاهر اليد !

لكننى لست بيائس فإن أمتنا تمرض ولاتموت ، وقد تسقط على الطريق فتطول كبوتها ولاتقصر ، وتتحامل على نفسها مرات ومرات ثم تتابع المسيرة مرة أخرى .

ولذا كثيرًا ما كنت أقول للناس : «يوم الإسلام قادم . . فارتقبوه» . .

نصائح إلى الدعاة

● من خلال تجاربكم الطويلة فى حقل الدعوة ، فما النصائح التى يمكن أن توجهوها إلى الدعاة الجدد والعاملين فى هذا الحقل؟؟

●● الداعية محتاج إلى مؤهلات كثيرة قد لاتوجد فى العديد من هؤلاء الدعاة الذين نراهم على الخريطة الإسلامية ، وعلى الدعاة الجدد فى هذا الميدان أن يتجنبوا النكسات حتى لايقدموا أرض الإسلام غنيمة باردة للمتربصين بالإسلام الدوائر . .

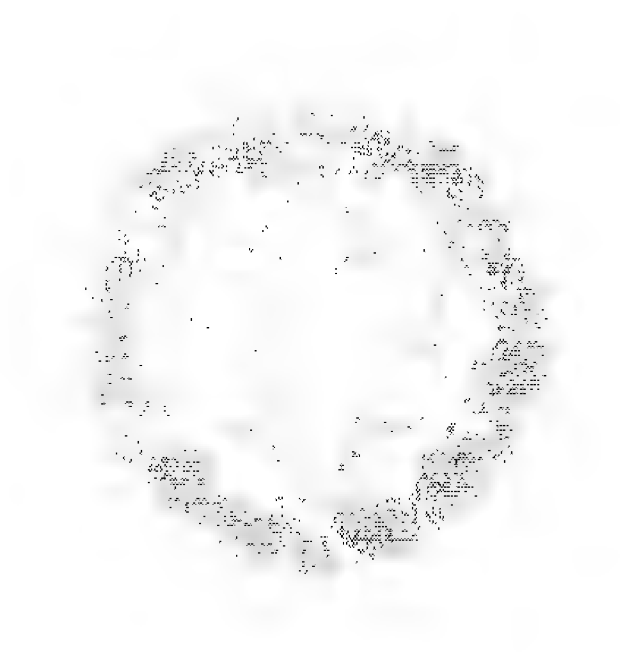
فإننى أشعر بانزعاج حين أرى المجاهدين فى قُطر «ما» يبدءون العمل من الصفر ، غير منتفعين بما حدث لإِخوانهم فى قطر مجاور . . إنهم يلدغون من جحر واحد مرتين أو أكثر دون وعى . .

كذلك يوجد عاملون فى الحقل الإسلامى يظنون أنفسهم فوق المساءلة!!

ومن خلال تجربتى أقول للصالحين الجدد : إن الصحوة الإسلامية الحاضرة ينبغى أن تترسم الخطى الأولى ، لا أن تتبع خلوفًا ظلموا دينهم وأنفسهم على سواء . .

فإننى أؤمن بعون الله ، أن العون الأعلى يظفر به المجتهدون ، فلنجتهد فى ترشيد صحوتنا المعاصرة حتى تؤتى جناها . .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .



(١) الحج : ٤٠ .

الموت فاصل خفيف بين الوجودين

من حق كل قوم جاءهم مُدَّعٍ للنبوة أن يدرسوا قوله وشخصه ثم يحكموا له أو عليه! ونحن نتساءل : ما الذى أتى به محمد؟ لقد حدثنا أن الله حق وفصَّل أدلة وجوده وكماله على نحو لم يسبق إليه ، وأنه واحد ، كل من فى السماوات والأرض مخلوق له مفتقر إليه لا استثناء لملك أو إنس أو جن ، وأن لقاءه حتم لمحاسبة كل مكلف ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[١] . لماذا أكفر بمحمد؟ لو رأيت أحدًا جاء بأفضل مما جاءنا به لتبعته! وسورة النبأ تقول للمشركين : هبوا أن دعوة محمد لم تقنعكم ، أفلا تفكرون فى خلق السماوات والأرض؟ ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾[٢] .

نحن الآن فى القرن الخامس عشر الهجرى ونهايات القرن العشرين الميلادى وقد ورثنا رسالات شتى ، ومن حقنا أن نوازن وأن نرجح ، والحق أقول أنى أمام تراث محمد من كتاب وسنة لا أقدم أحدًا ، أو بتعبير أقرب إلى الإنصاف : أصدقه حين يقول إن رسالته تمثل الوحى القديم والأخير معًا ، وإن ما خالفه هو مزاعم بشر وليس وحيًا سماويًا ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ** ﴾[٣] أى إننى حين أتبع محمدًا أتبع معه موسى وعيسى ، ونوحًا وإبراهيم . . وهذه السورة تتكون من أربعة فصول متميزة ، الأول وصف الكون والناس إلى قوله جل شأنه : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا** ﴾[٤] . والثانى وصف موجز ليوم الحساب : ﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا** ﴾[٥] وإكثار القرآن من ذكر القيامة لمقاومة حب العاجلة الذى يغلب على الطباع . والثالث وصف للعقاب الذى ينتظر المجرمين : ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾[٦] . والرابع وصف للنعيم الذى ينتظر المؤمنين الصالحين :

---

(١) الزلزلة : ٧ ـ ٨ . (٢) النبأ : ٦ ـ ٨ . (٣) فصلت : ٤٣ .
(٤) النبأ : ١٤ ـ ١٦ . (٥) النبأ : ١٧ ـ ١٨ . (٦) النبأ : ٢١ ـ ٢٣ .

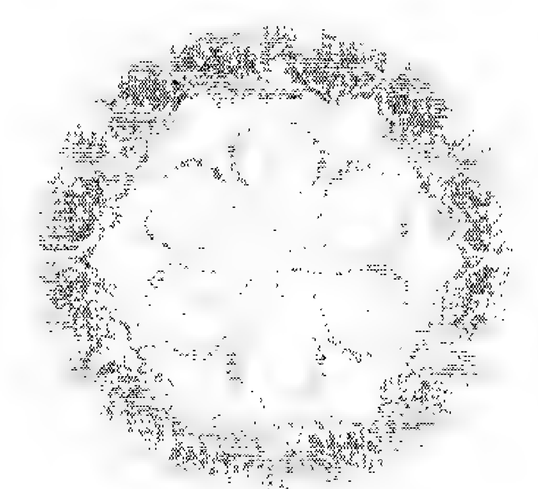
﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[1] إن الجزاء المعنوى حق وستتنضر وجوه المؤمنين وهم مع جماهير الملائكة يسبحون بحمد الله ويهتفون بمجده . ومن تمام المتعة أن يكون ذلك فى حدائق زاهرة ومع لدات مؤنسات . وبعد هذا الوصف الشائق يقال لأولى الألباب : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾[2] فمن تزود بالتقوى أفلح ، ومن عاش مذهولاً هنا وقدم على الله صفر اليدين ، ندم بعد فوات الأوان ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠) ﴾[3] نقول فى ختام السورة للمتسائلين عن محمد : ماذا كسب لشخصه من هذا البيان؟ هل عيبه أنه كان حار الأنفاس فى الدعوة إلى الله؟ وأنه كان جلدًا فى مقاومة الفتانين والطغاة؟ .

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[4] الذى أختاره أن هذه الأقسام بالكواكب الدوارة فى الفضاء ، تشق طريقها بغير وقود وتسرع السير بغير توقف وتعرف الطريق بغير جندى مرور ثم يجيئها أجلها مع نهاية العالم فإذا هى تتلاشى! متى؟ ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾[5] فى الزلزال الكبير الذى يفقد كل شىء توازنه وتترادف مزعجاته فإذا القلوب مضطربة والأبصار كسيرة! يقول المشركون عند سماع هذا النذير : ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾[6] أراجعون نحن إلى الطريق الذى جئنا منها؟ أعائدون إلى الحياة مرة أخرى؟؟ هكذا يحدثنا الرسول! ومتى؟ بعد أن نموت ونبلى ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾[7]! عودة لا خير فيها لأننا ما صدقناها ولا أعددنا لها . . ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾[8] بساعة الحشر والجزاء . إن أتباع الفلسفة المادية المعاصرين لا يزيدون على مشركى الصحراء الأقدمين عندما يقولون : إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر! فما الموقف إذا رأوا أنفسهم أحياء لم يصبهم

---

(١) النبأ : ٣١ ـ ٣٣ .
(٢) النبأ : ٣٩ .
(٣) النبأ : ٤٠ .
(٤) النازعات : ١ ـ ٥ .
(٥) النازعات : ٦ ـ ٧ .
(٦) النازعات : ١٠ .
(٧) النازعات : ١٢ .
(٨) النازعات : ١٣ ـ ١٤ .

شيء؟ واستتلت الآيات تتحدث عن فرعون وهو من أكابر المجرمين ، والحق أن الفرعنة مرض عام أساسه بطر الحق وغمط الناس ، وقد يكون في الحكام والإداريين والفنانين والكناسين . والمرء إذا ذهب بنفسه عاش أنانيًا جائرًا لا يحق حقًا ولا يبطل باطلاً ، وجهنم تأخذ حطبها من هؤلاء جميعًا . ويخاطب القرآن البشر : علام الكبر والصد عن سبيل الله ﴿ **أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . .** ﴾[1] إن الإنسان ـ بالنسبة إلى غيره ـ كائن ضعيف ما يجوز له أن يعمى ويطغى ، بل يجب أن يتقى ربه ويتزكى ، وإذا كان قد ملك التصرف فى كائنات أخرى ، فليسخر هذا التفوق فى شكر الله وأداء حقوقه ، وعادت السورة إلى ما بدأت به من حديث عن البعث والجزاء ، ليجعل الإنسان من حياته الأولى مهادًا للحياة الأخرى ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ** ﴾[2] إن الناس يومئذ رجلان : عبد لشهواته يعيش لإشباعها ، وعبد لله يشعر بقيامه ورقابته فلا ينسى حقه ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾[3] ويجمح التطلع والاستخفاف بأصحابها فيتساءلون عن الساعة ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** ﴾[4] إن علمها عند الله وحده ، وما ينفعكم العلم بها إذا لم تستعدوا لها؟ إن الوجود موصول ، والموت فاصل خفيف بين الوجودين الأول والأخير وستعرف قيمة الدنيا يوم اللقاء ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾[5] .



(١) النازعات : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٢) النازعات : ٣٤ ـ ٣٦ .
(٣) النازعات : ٣٧ ـ ٤١ .
(٤) النازعات : ٤٢ ـ ٤٤ .
(٥) النازعات : ٤٦ .

الأمة الإسلامية فى وضع يفرض عليها اليقظة

المساواة والعدل الاجتماعى فى الإسلام . .

* الإسـلام ديـن عـالج كل قضـايا العـصـر ، ملىء بالجـوانب المشرقـة التى تتـصل بالإنسـان ، وتبـحث أمـور حـيـاته ، نود أن نحـدثنا عن المسـاواة والعـدل الاجتماعى فى الإسلام .

* يتفق الباحثون جميعًا على أن الإسـلام عبـادات ومعـامـلات وديـن ونظـام ، أو بتعبير العصر : دين ودولة .

والدولة أو النظام فى الإسلام تخدم النصوص والقواعد والقيم التى وردت فى هذا الدين العظيم .

وقد بدأ الإسلام فى مكة المكرمة ، فقرن بين الإيمان ، وبين أمان الجائعين ، ومواساة المحرومين ، فمن أوائل ما نزل نقرأ قوله تعالى فى وصف من يستحق العذاب ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾[١] . وكذلك قوله جل شأنه ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾[٢] .

وعندما جاء مندوب قريش ليستمع إلى ما عند النبى عليه الصلاة والسلام ، قرأ عليه فيما قرأ ﴿ **وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** ﴾[٣] . فلما انتقل إلى المدينة المنورة ، قام المجتمع الإسلامى على الأخوة المتكافلة فى السراء والضراء . فليس هناك متخم وجائع . . بل الأمر كما قال الرسول ﷺ : **«ما آمن بى من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم»** .

ولما كانت المدينة بلدًا زراعية ، فقد تدخل التشريع فى عقد الإيجار ومداه ، ورغب النبى عليه الصلاة والسلام ، الأنصار ملاك الأرض فى أن يعطوا المهاجرين الفقراء الأرض يزرعونها ، دون أن يدفعوا إيجارًا لها .

(١) الحاقة : ٣٣ ـ ٣٤ . (٢) الماعون : ١ ـ ٣ . (٣) فصلت : ٦ ـ ٧ .

وعندما ملك النبى غنائم بنى النضير ، جعل هذه الغنائم كلها لفقراء المهاجرين ، ولم يعط إلا اثنين من الأنصار كان بهما فقر ، وعلل القرآن الكريم هذا التقسيم بقوله سبحانه وتعالى ﴿ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(١) . أى لا يكون المال حكرًا على طائفة من الناس ، يتداول بين أفرادها ، لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، أى أن النبى عليه الصلاة والسلام ، بهذا العطاء للمهاجرين ، أقام توازنًا اجتماعيًا فى المدينة المنورة ، هو من أهداف الإسلام كما بينا .

ونصوص الدين وقواعده العامة ، توجب على المسلمين جميعًا العمل فى أرض الله ، واكتساب الرزق من الكدح فيها ، والضرب فى جنباتها ، وهذا هو المصدر الأول لدخل الفرد ، فما يجوز أن تمتد إلى الزكاة يد قادر على العمل ، متسكع فى دروب الحياة ، وفى الحديث : «**لا تجوز الصدقة على غنى، ولا على ذى مرة سوى**» أى صاحب قوة سليم الأعضاء والحواس ، وكأن الزكاة بهذا التوجيه ، إنما تجىء إغاثة لمن أرغم على التعطل بسبب معقول .

وتعاليم الإسلام فى هذا المجال تحترم رأس المال وتعطيه حق التكون والنماء ، ولكنها تثقله بالحقوق الاجتماعية ، التى تسد كل ثغرة فى الحياة العامة .

أما ما يتصل بالمساواة فأريد أن أفرق بين أمرين:

هناك حقوق عامة يمكن أن نفهم فيها معنى المساواة ونحققها . . مثل حق الحياة ، وحق التملك ، وحق التعليم وما أشبه ذلك .

والناس فى هذه الحقوق العامة سواء ، فلو أن عبقريًا قتل كانس طريق لقتل فيه قصاصًا عدلاً ، فما يعرف الإسلام فى هذه المساواة نسبًا ولا امتيازًا .

لكن هناك مواهب تتفاوت ، ونشاطًا فى الإنتاج لا يتساوى الناس فيه بداهة ، ولا يقبل أحد أن يسوى بين خائن وأمين ، ولا بين منتج وعاطل كسول .

المساواة أن يأخذ المتكافئان أجرًا واحدًا ، وأن تتاح لهما الفرص على سواء ، أما أن يأخذ الأذكى مرتبًا أكبر ، فهذا لا حرج به ، ولا فى الدنيا نظام يفرض المساواة بين المختلفين فى قدراتهم وخبراتهم .

والشكوى التى يجأر بها الناس ترجع إلى المساواة فى الحقوق العامة غالبًا وعدم التزام قواعد دقيقة فى تطبيقها ، فربما تخرج اثنان من كلية واحدة ، وأسعف الحظ

---

(١) الحشر : ٧ .

أحدهما فبلغ القمة وقعد بالآخر فبقى يضرب السفوح ، وربما كانت الأمور فوق ما يتصور الحليم ، أى ربما كان الأغبى هو الذى صعد ، والأذكى هو الذى هبط .

إن هذا الاضطراب الخلقى هو الذى يجعل كثيرًا من الناس يطلب المساواة ، ويسعى وراءها ، والإسلام ظهيره فى هذا المطلب ، وذاك السعى ، فإن الناس فى الحقوق العامة سواسية كأسنان المشط ، وما يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح .

تعاليم الإسلام ضمان كامل للمرأة..

* ما دمنا نتحدث هنا عن العدل الاجتماعى والمساواة فى المجتمع الإسلامى ، فما الذى تقوله عن حقوق المرأة فى الإسلام ، وما واجباتها تجاه دينها الحنيف؟

* النساء شقائق الرجال ، كما جاء فى الحديث الشريف ، وحقوقهن هى حقوق الرجال ، لا خلاف بين الجنسين إلا فيما ندر ، واتصل بطبيعة المرأة . أما فى الحقوق العامة فهى والرجل سواء فى كل شىء ، كما قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ** ﴾[1] .

وإذا كان الإسلام قد جعل نصيب المرأة فى الميراث ، هو فى الغالب على النصف من نصيب الرجل ، فذلك لأن المرأة فى النظام الإسلامى لاتكلف بنفقة ولا مهر ، بينما يكلف الرجل بذلك ، فالنصيب الكامل الذى أخذه الرجل لم يبق له ، أما النصف المقرر للمرأة ، فهو باقٍ لها .

وإذا كان الإسلام قد جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل ، فإن السبب فى ذلك أن طبيعة الدورة الشهرية التى تنتظم فى حياتها تسبب لها مضايقات نفسية وفكرية ، وقد قرأت لأحد علماء الطب فى هذا المجال أن المرأة تصاب فى أثناء الدورة بعمى الألوان ، ومجموعة من العلل الأخرى ، فإذا احتاط الشارع لضمان العدل ، ضم إلى المرأة امرأة أخرى ، فلا لوم عليه فى هذا ولا تجريح للمرأة . . أما ما عدا ذلك ، فإن المرأة والرجل فى الحقوق الدينية سواء .

إن أوروبا ورثت مجتمعًا غير المجتمع الإسلامى ، أوروبا كانت بها مجامع تناقش هل المرأة إنسان له روح كالرجل ، وكان **القانون الرومانى** ولا يزال يمنع تصرفها فى مالها الخاص ، ويجعل الزوج هو القائم على تصرفاتها المالية .

---

(١) آل عمران : ١٩٥ .

صحيح أن المرأة فى العصر الحديث أخذت حق العمل فى المجتمع ، وخرجت لتشارك الرجال فى كل شىء ، فماذا كسبت المرأة من هذا المسلك إلا الشقاء؟

أنا أفهم أن تكون المرأة مدرسة أو طبيبة ، لكن ما معنى أن تكون سكرتيرة أو كاتبة فى بعض الدواوين؟

إن كل اللجان التى درست العلاقات الجنسية فى الحضارة الحديثة انتهت إلى أن الخيانات الزوجية والاتصالات المنحرفة تجاوزت الثمانين فى المائة فى العلاقات بين الجنسين . .

هل يلام الإسلام ، إذا أقام نظامه على عدم تكليف المرأة بالارتزاق ، وجعل الزوج أو الأب مسئولاً عن زوجته أو ابنته! . .

هل يلام الإسلام إذا عرف أن المرأة ستفقد عرضها فى طريق لقمة الخبز ، فوضع نظامه على أساس توفير اللقمة لها واستبقاء عرضها مصونًا؟

ونستطيع أن نتساءل . . هل العرى والرقص والتبذل واستثارة الغرائز الهاجعة . . هل هذه حقوق رفيعة كسبتها المرأة ، فدعمت بها جانبها فى المجتمع ، أم أن هذه نزعات حيوانية فرضها الرجال الأشرار لكى يتبذلوا المرأة ، ويجعلوها طوع شهواتهم؟

إن تعاليم الإسلام بالنسبة إلى النساء ، فيها ضمان كامل للكرامة المادية والأدبية ، لكنى أعرف بأن هناك أشخاصًا انتسبوا للإسلام ، وباسمه ظلموا المرأة ومنعوها حق العبادة فى المسجد ، وحق التعلم فى الجامعة ، بل منعوها حقها الطبيعى فى الزواج ، إذا لم يأخذ الأب أعدادًا كثيفة من الريالات . . آسف لأنه باسم الإسلام أنشئت تقاليد ظلمت المرأة ، وأضعفتها ماديًا وأدبيًا ، ولكن علاج هذا الانحراف الدينى ، لا يكون بإيثار الانحراف الحضارى الحديث ، وإلا كنا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

العودة إلى الإسلام نصًا وروحًا ، هى الدواء الوحيد لكل ما نعانى! . .

بدع دخيلة على الإسلام..

هناك بدع كثيرة دخلت الإسلام . . كيف يمكننا أن نتخلص من دعاوى الضعف والوهن . . فالإسلام هو دين القوة والإرادة والعزيمة ، دين التشريع والأحكام التى حددها القرآن الكريم . . ناموس هذه الأمة؟ . .

❋ الأمة الإسلامية أصابتها أمراض الأمم التى سبقتها ، فأدخلت فى دينها ما ليس منه ، ونقصت منه ما هو من صميمه ، وتوجد مخترعات وخرافات تنسب إلى الإسلام ، والإسلام منها برىء .

لقد رأيت أحد الحكام فى يوم من الأيام يدخل المسجد بعد صلاة المغرب ليحضر حفلاً دينيا مبتدعًا ، ويخرج قبل صلاة العشاء ، أى إنه أهمل ركنين ، وأماتهما ، وأحيا خرافة وشارك فيها . . فأى تدين هذا! . . .

والمسلمون الآن مصابون بتدين الشكل ، لا تدين الموضوع ، والدين عندما يتحول إلى طقوس ومراسم يفقد قيمته . . لأن الدين قبل كل شىء ، قلب حى ، وضمير يقظ ، وسريرة نظيفة .

وأرى أن الأمة الإسلامية فى وضع يفرض عليها سرعة اليقظة ، فإن الذئاب تتعاوى من كل ناحية كى تنهشها ، ويعود كل ذئب بشلو منها . . والعودة إلى الإسلام فى هذه الحال هى ضمان حياة وسياج وجود .

أى إن الدين ، والحالة هذه ليس كسبًا للجنة ، وبعدًا عن النار فقط ، بل هو قبل الآخرة وقدومها كسب ليومنا الحاضر ، وضمان لقضايانا المهددة .

إن أمتنا إلى الآن تنال من نفسها أكثر مما ينال أعداؤها منها . والسبب أن الناس إذا لم يجمعهم الحق فرقهم الباطل ، وإذا لم يحتشدوا على الصراط المستقيم ، تفرقوا فى عشرات الطرق ، وعندئذ تكون الفرص مواتية لأعداء متربصين كثيرين .

لقد نجح المسلمون الأوائل فى توسيع رقعة الدولة الإسلامية ، فإذا هى تشمل المعمور من ثلاث قارات . كان البحر الأبيض والأحمر والأسود بحيرات إسلامية ، فما الذى جعل المسلمين الآن يدفعون بعجز عن تراثهم ، ويطمع كل عدو فى النيل منهم؟ . .

لا أمل إلا بعد العودة إلى الإسلام الحقيقى . . . أما الخرافات التى لبست ثوب الدين ، والبدع والخرافات التى يجنح إليها العوام ، والحيل والمهازل التى يرتكبها بعض المنتسبين إلى الفكر الدينى ، فهذا كله لا يجدى على أمتنا فتيلاً . . ولذلك فإنى أرجو أن تعمنا نهضة سريعة تعود بنا إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة .

ابن عربى

* حدثت محاولة لمنع كتاب ابن عربى «الفتوحات المكية» . . ما هى فى نظركم حدود المنع والإباحة بالنسبة للفكر من وجهة نظر الإسلام؟

* أنا ممن يحترمون حرية الرأى . ومن يرون أن الحق يملك من الأدلة ما يرجح كفته ، ويزينه فى أعين الناس ، ولذلك فإن مبدأ المصادرة يحتاج إلى تحفظ فى إقراره ، ربما أقبله عندما يكون ما نشرته هدمًا لمقومات الأمة ، وخدمة لأعدائها ، أو نوعًا من النزق العقلى ، لا يجد مثلاً أعلى ولا غرضًا شريفًا .

ومن حق الأم فى هذه اللحظة أن تحمى نفسها وشبابها ، وأن تضع سدودًا أمام من يبتغون لها الدمار .

أما فى الأمور الأخرى ، أى حيث تتفاوت وجهات النظر من النواحى السياسية أو التشريعية أو الاجتماعية ، فالرأى عندى أن نسمع كل ما يقال على شرط أن يتمكن حملة الحق من إبداء رأيهم وسوق أدلتهم وأنا حسن الظن بالضمير الإنسانى ، وبالفكر الإسلامى .

إن الإنسانية لا تجنح إلى باطل إذا عرفت الحق معرفة شاملة مستوعبة ، وعندى أنه إذا عجز أهل الحق عن خدمة قيمهم بالطريق العقلى ، والإقناع الحر فليسوا أهلاً للحياة .

وأضاف الشيخ محمد الغزالى :

بعد هذا التقديم أقول : إن كتاب ابن عربى «الفتوحات المكية» ، وكتابه الآخر «الفصوص» مليئان بخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست الرؤى فى المنام مصدرًا للمعارف الدينية ، وابن عربى يزعم أن كتاب الفتوحات تلقاه فى الرؤية ، فهل يترك الناس الحقائق التى تلقوها عن الثقاة لأحلام نائم؟! . . وهل يترك الناس الحقائق التى وصلت بهم إلى غزو الفضاء لمنطق نظرى يتجهم للأدلة الحسية والمعنوية المعتبرة؟! .

إن المتصوفين أنفسهم ـ والغريب أن ابن عربى من بين هؤلاء ـ ينكرون وحدة الوجود ، ومع هذا الإنكار ، فإن كتابات ابن عربى تدور حول محور واحد ، هو وحدة الوجود ، وقد قرأت لابن عربى بحثًا يقوم على أن فرعون من أهل الجنة! . . وأن الله قَبِل توبته وغفر له ، وعقل يصل إلى مثل هذه النتيجة ، لا ثقة فى أحكامه! . .

كيف نسمع له ، أو لبحثه ، والله يقول فى فرعون ﴿ **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ** ﴾[1] .

وأنا سيئ الحظ بمن يدافعون عن كتاب ابن عربى . . إنهم يعطون حرية الرأى للضلال وحده كى يقول ما عنده ، فإذا تحرك الحق تمنع الشبهات ، بدأت المصادرة والمكابرة ، فأين هذه الحرية؟

والذين غضبوا لمصادرة كتاب ابن عربى ، لماذا لم يغضبوا لمصادرة كتبنا نحن ، ويطلبوا بتركها تأخذ مكانها بين أيدى القراء .

لقد تبين لى أنه فى المجتمعات المختلة ، يكون لكلمة الحرية رنين العملة المزيفة ، فهى حرية موجهة تقبل إذا نفعت فلانًا . وترفض إذا وقفت دونه .

---

(١) هود : ٩٨ .

الوحدة الإسلامية

* وكيف يمكن فى نظركم التقاء الوحدة العربية الإسلامية؟

* إن الوحدة التى قامت عليها أمتنا خلال القرون الأربعة عشر . تمثل تاريخها ، هى الوحدة الإسلامية ، والمسلمون على اختلاف أجناسهم كانوا يعطون العرب فضلاً زائدًا ، وصدارة ملحوظة ، لأن العرب ، كما عبَّرت فى بعض كتبى ، هم دماغ الإسلام . . .

إن القرآن عربى اللسان ، والنبى عربى الجنس ، وقبلة المسلمين فى الصلوات تقع فى أرض عربية ، والثقافة الإسلامية فى جميع ميادينها عربية ، أى إن الوحدة العربية أعزت العروبة وكرمتها ، حتى جاءت بدعة القومية العربية ، فإذا هذه القومية تكفر بالإسلام ، وتتجهم للأجناس الداخلة فيه ، وتختلق أعذارًا للفصل بين المسلمين والعرب ، وهم أكثر من تسعة أعشار الجنس العربى ، وبين المسلمين والهنود والأعاجم والأتراك وغيرهم .

وهذا الذى صنعته القومية العربية أضرَّ بها ، وأسقط قضاياها العالمية والمحلية .

لقد اعتبر العرب قضية فلسطين عربية لا إسلامية ، فماذا كسبوا ، وأرادوا أن يعيشوا بلا دين ولا عقيدة ، بينما يتحرك اليهود حولهم بدينهم وعقيدتهم ، ويسمون دولتهم تسمية دينية خالصة «إسرائيل» فماذا جنينا من هذا المسلك؟ . .

إن العرب أكثر قليلاً من مائة مليون ، والمسلمون يبلغون الآن مليارًا من الأنفس ، فماذا يكسبه العرب عندما يصنعون فجوات عميقة بينهم وبين إخوان العقيدة فى القارات الخمس؟ . .

إن العروبة بلا إسلام مهزلة يجب أن تنتهى . . وإذا رجعت العروبة إلى أصلها الدينى الذى شرفها الله به ، التقت مع الأمة الإسلامية الكبرى فى وحدة تعطى العرب القيادة . . إذا أرادوا الزعامة وتجعل لهم ظهيرًا من أجناس تزيد عليهم بتسعة أضعاف .

ولذلك فإن الوحدة العربية تتم على الوجه الصحيح ، يوم تنهض على دعائمها العقيدة ، وتلتقى مع الوحدة الإسلامية فى صف واحد وهدف واحد .

كلمة أخيرة

دعنى أقول فى النهاية موجهًا حديثى لعلماء اليوم : اتقوا الله فى أمتكم ، واعلموا أن الله عاب علماء اليهود قديمًا ، لما أخذ عليهم الميثاق أن يقولوا الحق ، فكتموا الحق حرصًا على الدنيا . . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾[1] .

---

(١) آل عمران : ١٨٧ .

فضّ الاشتباك فى الأسرة

يملكنى الغضب والأسى عندما أجد بعض الدعاة ضعفاء الوعى بالقرآن الكريم! يقرءون على الناس الحديث غير شاعرين بقربه أو بعده من بعض الآيات القرآنية .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**لا يُسأل الرجل: فيم ضرب امرأته**»؟ أخرجه أبو داود[1] .

قال أحد العلماء فى تعليقه على هذا الحديث : وأخرجه النسائى! أى إنه قوى سند الحديث ، وترك المتن وكأنه صحيح لا غبار عليه . .!

وهذا الظاهر باطل ، فالمتن المذكور مخالف لنصوص الكتاب ، ومخالف لأحاديث أخرى كثيرة! وعدوان الرجل على المرأة كعدوان المرأة على الرجل مرفوض عقلاً ونقلاً وعدلاً ، ولا أدرى كيف قيل هذا الكلام ونسب إلى رسول الله ﷺ !

إن من قواعد الجزاء الأخروى قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[2] فهل الزوجة وحدها هى التى تخرج عن هذه القاعدة فلا يسأل الرجل «فيم ضربها؟» له أن يضربها لأمر ما فى نفسه ، أو لرغبة عارضة فى الاعتداء؟ فأين قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[3] وقوله : ﴿ **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** ﴾[4] وأين قوله عليه الصلاة والسلام «**استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك..**»؟!

ما يقع هو النشوز ، ومعنى الكلمة الترفع والاستعلاء ، أى المرأة تستكبر على الزوج وتستنكف من طاعته ويدفعها هذا إلى كراهية الاتصال به فى أمس وظائف الزوجية ، فيبيت وهو عليها ساخط! وقد يدفعه هذا إلى ضربها!

وهناك أمر آخر أفحش أن تأذن فى دخول بيته لغريب يكرهه مع ما فى ذلك من شبهات تزلزل العلاقة الزوجية وتجعلها مضغة فى الأفواه .

ولم أجد فى أدلة الشرع ما يسيغ الضرب إلا هذا وذاك .

---

(١) تيسير الوصول إلى جامع الأصول ـ جـ٣ .

(٢) الزلزلة : ٧ ـ ٨ .　(٣) البقرة : ٢٢٨ .　(٤) البقرة ٢٣١ .

ومع ذلك فقد اتفقت كلمة المفسرين على أن التأديب يكون بالسواك مثلاً! فلا يكون ضربًا مبرحًا ، ولا يكون على الوجه! ففى الحديث « . . . ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح أى لا تقل لها : قبحك الله»!

ثم قال تعالى فى الزوجات المستقرات المؤديات حق الله وحق الأسرة : ﴿ **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً** ﴾[1] .

وختام الآية جدير بالتأمل ، فقد تضمن صفتين من صفات الله تعالى هما العلو والكبرياء وهما صفتان تنافيان الإسفاف فى التصرف ، والاستئساد على الضعيف ، والمسلك البعيد عن الشرف ، وفى ذلك كله لفت أنظار الرجال إلى أن تكون سيرتهم مع أهليهم رفيعة المستوى ، متسمة بالرفق والفضل ، وليس يتصور مع هذا كله أن يعدو الرجل على امرأته كلما شاء ، وأنه لا يسأل عن ذلك أمام الله .

ومن ثم فالحديث الذى رواه أبو داود والنسائى فى ضرب النساء لا أصل له ، مهما تمحَّلوا فى تأويله .

على أن من احترام الواقع ألا تظن النساء كلهن ملائكة ، والرجال جميعًا شياطين ، هذا ضرب من السخف ، والانحياز فى الحكم إلى أحد الجانبين ليس من الإنصاف .

والأولى أن ندرس العلاقات العائلية بتجرد ، وأن نحسب آثار الطباع والأزمات والأحداث الطارئة ، وألا نترك لسبب تافه القضاء على الحياة الزوجية .

إن انهدام بيت شىء خطير! وقد رأى الإسلام ـ حتى بعد وقوع الطلاق ـ أن يجعل كلا الزوجين يواجه الآخر ، لعل الذكريات الحلوة تغلب الذكريات المرة ، أو لعل الإيلاف يطرد الفراق على نحو ما قال أبو الطيب :

خُلقتُ ألوفا، لو رجعت إلى الصبا

لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومن ثم وجب تدخل المجتمع لفض الاشتباك على مهل وإعادة المياه إلى مجاريها ، وأولى الناس لأداء هذه المهمة أقارب الزوجين فهما أرغب فى الصلح وأبصر بالمصلحة وأقدر على التنفيذ ، وهذا هو قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيراً** ﴾[2] .

(١) النساء : ٣٤ .   (٢) النساء : ٣٥ .

وقد روى الشافعى بسنده عن على بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ أن جاءه رجل وامرأة ، ومع كل واحد منهما فئام من الناس ـ جماعات ـ قال : ما شأن هذين؟ قالوا : وقع بينهما شقاق! قال على : فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها .

ثم قال للحكمين : تدريان ما عليكما؟ إن رأيتما أن تجمعا جمعتما! وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما ، فقالت المرأة : رضيت بكتاب الله بما عَلىّ فيه وبما لى!

وقال الرجل : أما الفرقة فلا . .! قال علىٌّ : كذبت حتى تقر بمثل ما أقرت به . .

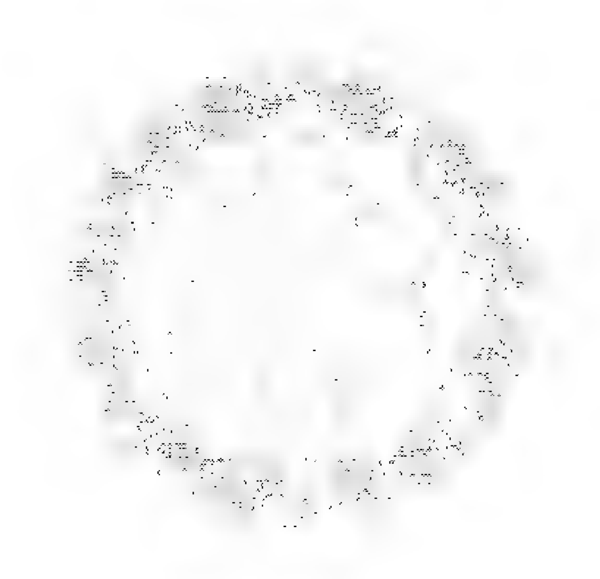
ومعنى اعتراض الزوج أنه لا يعطى للحكمين حق إيقاع الطلاق باسمه . . أى أن لهما الجمع لا التفريق! ولكن عليًا كذبه! مبينًا أن للحكمين التوفيق أو التطليق أو المخالعة ، وهذا هو كتاب الله .

والفقهاء يختلفون فى سلطة الحكمين ومداها ، ولا ندرس الموضوع هنا ، وإنما نشعر بالغرابة لأن الرجل الذى استفحل الشقاق بينه وبين زوجته حتى بلغ ما بلغ لم يفرط فى عقد الزوجية ، ورغب فى بقائه . .!

وشىء آخر نتوقف عنده ، أن المجتمع باسم الله تدخل لحسم النزاع ، واستدامة العلاقة العائلية! أما اليوم فقد تطلق المرأة فى «رطل» لحم يعلق الرجل بقاء امرأته على شرائه!

الحق أن قضايا المرأة تكتنفها أزمات عقلية وخلقية واجتماعية واقتصادية ، كما أن الأمر يحتاج إلى مراجعة ذكية لنصوص وردت ، وفتاوى تُوورثت وعادات سيئة تترك طابعها على أعمال الناس .

لابد من دراسة متأنية لما نشكو منه ، ودراسة تفرق بين الوحى وما اندس فيه ، وبين ما يجب محوه أو إثباته من أحوال الأمة .



حـــــوار.. ذو شـــــجون

منذ شهور لقينى بمكة المكرمة صومالى مسلم ـ والصوماليون كلهم مسلمون ـ بيد أن الرجل الذى لقينى كان حار العاطفة ، ظاهر الغيرة على دينه وبلده مشدودًا إلى المسلمين حيث كانوا بالأخوة التى ربط الله بها القلوب ، وإن تناءت الديار!

. . قال لى عاتبًا : ما أذهلكم عنا . . قلت له : ما ننساكم فى سراء ولا ضراء ، ولقد تابعنا نشاطكم فى تحرير أرضكم من الاستعمار الحبشى بحماسة! وتابعنا عودة الاستعمار الحبشى إلى هذه الأرض بأسى! ومن قبل ومن بعد كنا نرقب أحوالكم الداخلية بضيق وحسرة!!

فقال لى الرجل وهو مقطب الجبين : هلا طالبتم بإطلاق سراح المعتقلين والمعتقلات من المسلمين والمسلمات!

فقلت له : ما كنت أحسب أن هناك قسوة معتقلات لديكم ، الذى وقر فى نفسى من سنين أن عددًا أو أعدادًا من العلماء والمجاهدين قتلوا ، أو أودعوا السجون ، لأنهم قاوموا التغيير الشيوعى الذى قلب المجتمع الصومالى رأسًا على عقب! وقد حسبت أن تلك الحال انتهت بعد طرد الروس من الصومال وأن المجاهدين المسلمين سكن روعهم مع صفحة جديدة من الحكم الوطنى المتحرر . .!!

فقال لى الرجل غاضبًا : إنكم تجهلون عنا كل شىء ، إن الخبراء الروس طردوا ، ولكن فلسفة الروس الحمراء لم تطرد ، بل ظلت تحرسها الحراب الحادة! إن ناظرة المدرسة تمسك بمقص فى يدها فإذا وجدت فتاة طويلة الأكمام قطعت ما يستر الذراعين ، فإذا قاومت فالويل لها ولذويها!! ولقد غلقت مساجد كانت الفتيات المسلمات تتجمع فيها لتلقى الثقافة الدينية وأداء شعائر الصلوات الخمس . . وتوجد الآن معتقلات لمسلمات لا ذنب لهن إلا التدين وطاعة الله!!

واستطرد الرجل ـ وهو يرى دهشتى ـ أنتم تعلمون أن عشرة من علماء المساجد قتلوا رميًا بالرصاص ؛ لأنهم خطبوا ضد تشريعات الأسرة الجديدة التى سوت بين الرجل والمرأة فى الميراث ، فهل تغيرت هذه القوانين الكافرة وعاد للشريعة الإسلامية احترامها بعد خروج الروس من الصومال؟ كلا إن الزحف الأحمر الذى قتل فى مقاومته من

قتل ، وسجن من سجن ، لايزال يرين بوطأته الغليظة على صدورنا . . وبصماته فى ميدان التعليم والتشريع لاتزال باقية! إن لجنة العفو الدولية استنكرت الأسلوب الهمجى الشائن الذى قتل به علماء المساجد! والذى ووريت به جثثهم! وهناك مسلمون كثيرون لا يدرون ما يقع بين ظهرانينا!!

وقلت للرجل وأنا خجلان : لقد استنكرنا هذه المجزرة فى حينها وشكونا إلى الله من اصطبغت يده بدمها ، ولكننا ظننا أن رؤساء الصومال قد عادوا إلى الإسلام بعد ما ظهر لهم غدر الروس ، وبعدما تكشف لهم أن الشيوعية حلم كاذب !

وضحك الرجل الصومالى ضحكة صفراء يائسة وهو يقول : لقد غدرت الشيوعية بحكامنا ، وكان لهم أمل فى أمريكا ، فلم تذكرهم فى وقت الشدة وكأن إذلال الشعب الصومالى أمر مرغوب!

***

كان لهذا الحوار الكئيب صدى نفسى بعيد المدى . . تذكرت كلامًا للرئيس «زياد برى» يشرح فيه ـ غير أحكام القرآن الكريم ـ فى المواريث . . قال : إن الإسلام دين تقدم وأنه منح المرأة نصف الميراث لما كانت الجاهلية لا تعطيها شيئًا ، وكانت المرأة فى المجتمع متأخرة ماديًا وأدبيًا وكان هذا العطاء القرآنى تكريمًا للمرأة ، ثم قال : ولكن بعد تقدم العصور ، وتساوى الذكورة والأنوثة فى الخصائص المادية والأدبية أضحت التسوية بين الجنسين لازمة ، وأضحى الحكم الإسلامى غير صالح لهذه المرحلة الجديدة . . وظاهر أن الرئيس الصومالى يردد الكلام الذى قيل له فى موسكو وهو لا يدرى قليلاً ولا كثيرًا عن النتائج المخزية لإلغاء الفروق الفطرية بين الرجل والمرأة ، ولا النتائج الحيوانية لإلغاء نظام الأسر كله ، وما شرعه الدين للبيت من تعاليم تتصل بالحضانة والتربية والنفقة والتوجيه الخاص والعام . . إن بقاء العقائد والعادات مرتبط بجو البيت وكيان الأسرة ، ولذلك تخاصم الشيوعية بعنف الوضع الاجتماعى القائم على نظام الأسرة العتيد ، وقد تبعتها الفلسفات المادية التى تسود أوربا وأمريكا تقريبًا . . وكان من نتائج ذلك أن الأولاد اللقطاء أخذوا يبرزون إلى المجتمعات بنسبة فاحشة ، دون قلق أو محاذرة ، وأن طوفان الشهوة غمر كل شىء! . . والمستغرب أن بعض الرؤساء مفتون بهذه التيارات الوضيعة ويريد أن يحمل الجماهير عليها بالعصا وبإخماد أنفاس المعارضين ، وقد ظننت أن الصومالى فى محنته سيعود إلى دينه ويثوب إلى رشده ،

ولكنى كنت واهمًا . . وعرفت سر الهزائم التى أصابت جبهات التحرير فى أريتريا والصومال ، وليس سرًا أن جمًا غفيرًا من القادة المسلمين قتل فى الميدان الأريترى ، قتلهم الشيوعيون قبل أن يقتلهم الأحباش ، إن هذه الجبهات هزمت نفسها قبل أن يهزمها الشيوعيون القادمون من كوبا ومن روسيا . . كانت هذه الجبهات تستطيع أن توحد خطتها ، وأن تنسق ضرباتها العسكرية فى شتى الميادين ، وقد ظلت أكثر من عام قديرة على ذلك ، ولكن انشغالها بضرب الإسلام وأحكامه وتعاليمه أذهلها عن المسلك الوحيد المؤدى إلى النصر مصداق قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾(١) .

***

إن الرئيس «زياد برى» تنقل بين جميع العواصم العربية يطلب النجدة ويشكو العدوان ، فهل سمع من أحد نصحًا بضرورة تطهير البلاد من آثار الشيوعية فى التعليم والتشريع؟

***

أكاد أشك فى هذا الأمر ، بل لقد كنت أضحك وأنا أقرأ اسم الرئيس العربى يكتب «سياد» لأن وكالات الأنباء العالمية تقرأ الاسم مكتوبًا بالحروف اللاتينية وهى الحروف الرسمية فى الصومال بعد أن حكم بالإعدام على الحروف العربية ، ثم يجىء الصحافيون العرب فيقلدون الخواجات فى نقل الاسم إلى سياد بدل زياد ، ما هذا الهزل؟ كفر بالعروبة بعد الكفر بالإسلام!! أما تتحرك الجامعة العربية للدفاع عن عنوانها وسط هذه الجهالات الصفيقة ، أم أنها تؤثر الصمت على أية حال . .!!

***

لقد زرت دول الخليج ونزلت بكثير من فنادقها الكبرى ووجدت تواصيًا غريبًا بإهمال اللغة العربية وازدراء النطق بها . .!! لغة التخاطب الفريدة هى الإنجليزية ، الهندى الذى استعمر الإنجليز وطنه وعقله لا يعرف غيرها ، وهو لا يخاطب العرب الذين يعمل بفنادقهم إلا بها . . إذا ذهب عربى إلى لندن وجب عليه طوعًا أو كرهًا أن يتحدث بالإنجليزية ، أما العرب فى بلادهم ، وفى جزيرتهم - وطن العروبة الأول - فعليهم أن ينتقلوا إلى اللغة الإنجليزية كى يقضوا فى الفنادق بضع ليال!!

***

(١) محمد : ٩ .



ومع ذلك فنحن - لإتقاننا فن التزوير - نسمى دول المنطقة دول الخليج العربى(!) مع أن العروبة هناك لها منزلة هون ، أعنى اللغة والدين والتقاليد . . ومنزلة الفرنسية فى المغرب «العربى» كمنزلة الإنجليزية فى الخليج «العربى» . . مسكينة لغة القرآن . .! حتى إذاعة جمهورية مصر «العربية» تنطق بالعامية الهابطة أكثر مما تنطق بالعربية الفصحى . . ولا أدرى لماذا تعامل اللغة العربية وحدها بهذه الخطة المنكورة المحقورة؟ . . ولماذا لا يتوارى الرؤساء الذين لا يحسنون النطق بالعربية بدل أن يثيروا اشمئزازنا بهذا البغام العامى الردىء؟؟

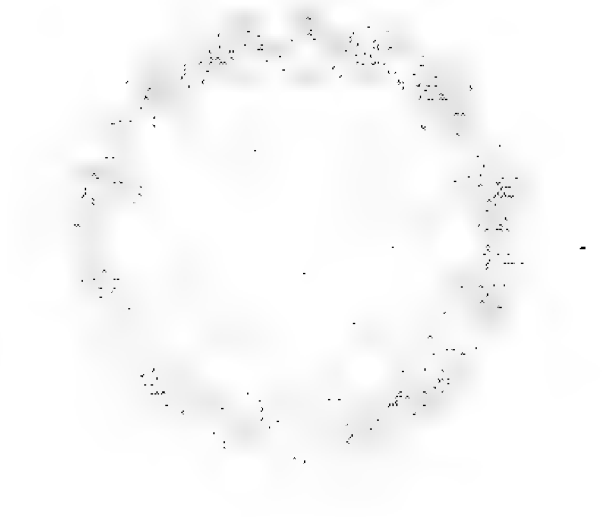
***

كنت أرتقب من دول الجامعة أن تتخذ قرارًا إجماعيًا بتعليق قبول الصومال عضوًا بها على احترام اللغة العربية .

لكن الجرءة الشيوعية من جانب والجبن القومى من جانب آخر ، جعل الأمور تنجرف إلى مجرى سوف تضيع فيه العروبة والإسلام معًا إن لم يصح المخلصون إلى هذا المصير المفزع فيعودوا إلى العروبة حتمًا ، وإلى احترام الإسلام الذى تدين به الكثرة الساحقة من العرب التائهين . .

***

الدعوة : هذه كلمة تحذير لحكام المسلمين جميعًا . إنهم إن لم يتمسكوا بدينهم عقيدة وتطبيقًا ، وإن لم يقاطعوا حكام المسلمين المتشيعين فسيكون مصيرهم نفس مصير زياد برى ، يتنكر لدينه خضوعًا للشيوعية ، فيكون الشيوعيون أول من يضربه ويتنكر له ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1] .



(١) الأنعام : ١٢٩ .

الوحدة الثقافية.. بين المسلمين

جهود كثيرة تبذل الآن لترضية المسلمين . بإسلام آخر غير الذى تلقوه عن نبيهم وعرفوه من كتابهم . إسلام منقوص الحقيقة والأطراف ، منقوص العرا والوشائج ، ينكر عليه المنكرون أن يتدخل فى شئون التشريع ، أو يبت فى قضايا المجتمع أو يقدم الولاء له على الولاء للنصر ، وأغلب الأقطار الإسلامية تتمسك بنسب متفاوتة من الإسلام الحق المعروف فى كتاب الله وسنة رسوله ، قد تقل هذه النسب كمًا وكيفًا ، وقد تزيد ، ولكنا لم نرها إلى الآن مكتملة الصورة والحقيقة على نحو صحيح علميًا فى أى بلد إسلامى .

بل إن المسلمين الهنود لما أسسوا دولة لهم باسم «باكستان» قامت الدولة المنشودة على أساس هذا الإسلام «الشبح» فلم يعرف للإسلام وجود فى عالم القانون أو الاقتصاد ، بل إنه فى عالم العقيدة والعبادة سمح للقاديانية أن تسهم فى قيادة الدولة الجديدة(!) فلا عجب إذا دها باكستان ما دهاها ، ولا عجب إذا أصابتها محن قصمت ظهرها . . ولا تزال الجهود المريبة تبذل فى أرجاء العالم الإسلامى لخلق أجيال تقبل هذا الإسلام المشوه وترتضى ما قام فى كنفه من تحليل الحرام وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ودفع الأمور كلها بعيدًا عن هدايات السماء .

ولم يترك الاستعمار بلدًا ما ويسحب عساكره منه إلا بعد أن وضع مقاليد هذا البلد فى أيد تعمل له وتضرب بسفه وتفكر بعقله ، بل لعل الذين خلفوه كانوا أشد منه ضراوةً وجرأة فى الإجهاز على ما بقى من مراسم الإسلام ، وهى حرب استئصال وحشية على الجماعات التى ظلت موالية له متمسكة به .

وكانت النتيجة بعد تلك الغارة الحقود على رسالة محمد أن قبل البعض العيش فى ظل إسلام مفتعل ، ما فيه من عبث الناس أضعاف ما فيه من وحى الله!

وكاد جمهور كبير من أتباع محمد يألف استقرار الربا والزنا ، وإهمال الصلاة والصيام ، ومداهنة الملحدين والفسقة ، ثم مطاردة أهل اليقين والجلادة والوفاء لهذا الدين العظيم .

وليس من الحق تحميل الاستعمار الأجنبى أوزار تخلفنا المادى والأدبى .



المسلمون.. هم المفرطون

نعم أنه يستديم ضعفنا ولكنه ليس سبب هذا الضعف . . إننا نحن المسلمين الذين فرطنا فى ديننا وأسأنا إليه طورًا بالإهمال البشع وطورًا بالتأويل الفاسد وطورًا بالتطبيق الغبى .

ومن أعصار عديدة والشقة بيننا وبين الحق تتسع . . بل إن العلاقة بين الإسلام وأمته ظلت تهى وترق حتى انقطعت فى أماكن كثيرة .

وانتهينا فى هذا القرن إلى أوضاع يجب أن نكشف سوءها ونفشى خبرها ، فأجهزة الدعوة الإسلامية ميتة أو مشلولة فى أيام تبرجت فيها الدعوات وافتنت فى عرض نفسها .

وأجهزة الشورى المصاحبة لنظم الحكم ميتة أو مشلولة فى أيام ذللت فيها الجماهير وتوطدت الحريات السياسية .

وأجهزة الاقتصاد القومى تحيا على هامش الدنيا ، وليس للاقتصاد الإسلامى تفوق حضارى أو صناعى ينظمه بين الدول العشر الأولى أو الثانية ، بل جمهور المسلمين ينتسبون إلى العالم الثالث ، العالم المتخلف الباحث عن الحياة على استحياء أو استخزاء .

إن ذلك المصير الكالح لأمة كانت طليعة عالمية قرابة ألف عام له أسبابه الجديرة بالدراسة . وما نشك فى أن المسلمين أماتوا أجزاء من دينهم قبل المد الاستعمارى الحديث ـ لا تقل خطرًا عن الأجزاء التى أماتها الاستعمار من دينهم بعدما تمكن منهم واحتل أرضهم وفكرهم .

يقول الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ . .** ﴾[1] فهل نظرنا ، وما طرق النظر التى سلكناها عند غيرنا فعرف الكثير عن أسرار الكون وقوانينه ولم نفد نحن شيئًا؟

ويقول تعالى فى وصف المفلحين من أهل الإيمان : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾[2] فماذا صنعنا لنبنى هذه الأخلاق ونؤسس مجتمعًا يغالى بالعهود ويصون الأمانات ويضبط أقواله وأعماله كلها وراء سياج من هذه الفضائل .

إهمال وتقصير

إننا ظننا الأخلاق تنبت وحدها كما تنبت فى الحقول بعض الحشائش الطفيلية ، فلم نبذل المعاناة الواجبة لإنشاء أجيال ذات وفاء وإدراك لمسئولياتها الخاصة والعامة .

(١) الأعراف : ١٨٥ .

(٢) المؤمنون : ٨ .

وتقرأ قوله تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾(١) فإذا مفسرون يتطوعون لخدمة الاستبداد السياسى يقولون دون وعى : شاور ، ثم امض على ما رأيت ، فالشورى غير ملزمة! لحساب من هذا التفسير؟ وهب مفسرًا قديمًا سقط فيه ، فلحساب من يروج له الرجال الجدد وهم يعلمون المعاطب الهائلة التى أصابت أمتنا من استبداد حكامها عبر تاريخ أغبر؟

ويجىء آخرون فيحشدون جملة من الآثار الصحيحة والواهية ، ثم بعد شرح قاصر معتل يخرجون بهذه القاعدة «الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر» ولو أنهم قالوها عزاء لفرد مصاب ، أو عصابة من الناس منكوبة لهان الأمر ، ولكنهم أطلقوها كلمة عامة حمقاء ، وحاكموا إليها أغنياء الصحابة فجعلوهم يدخلون الجنة زحفًا أو بعد لأى! لماذا؟ لأن الثراء طعن فى التقوى! فكيف يقوم كيان أمة على هذا العجز والتسول ، وكيف يؤخر عن الجنة من جهز جيش العسرة وأعلى راية الإيمان وهد ركن الطغيان ؛ ليقدم عليه بائس أقعده العدم .

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٢) فماذا تفعل العرب لتذوب الفوارق بينهم وبين الترك والعجم والهنود والزنوج وغيرهم من الأجناس التى دخلت فى الإسلام .

هل اجتهدوا فى تعليمهم اللغة العربية كما اجتهد الإنجليز فى نشر لغتهم من الأجناس التى خضعت لهم .

إن السلف الأول بذل فى هذا المضمار جهدًا مقدورًا ، لكن الذين جاءوا من بعدهم لم يصنعوا شيئًا يذكر .

وجُل الأمثلة التى ضربناها يقوم على فساد معنى التدين أو فتور عاطفته ، ولكن ينضم إلى ذلك فى أحيان كثيرة خروج غريب على أمر الله ومعالم دينه .

ففى عالم الأسرة يتم الزواج وفق مراسم الرياء وتقاليد الكبرياء الاجتماعية المقررة ، وإلى أن تتيسر هذه المراسم لا حرج من اضطراب الغريزة وانسيابها بلا ضوابط من إيمان! لماذا يحاط الزواج بكل هاتيك الصعوبات ، ولماذا الإغضاء عما يقع؟

وفى المنازعات العائلية لا تستطيع القول بأن نسبة طلاق السنة إلى طلاق البدعة تبلغ واحدًا فى المائة ، ولا نستطيع كذلك أن نقول إن واحدًا فى الألف من المطلقين يمتعون نسوتهم السابقات ، ذلك فى العلاقات الاجتماعية . أما فى عالم السياسة فقد افتخر حاكم معاصر بأنه اعتقل ثمانية عشر ألف مسلم فى ليلة واحدة ، وهذا جبروت لا تعرفه الدنيا الآن وفى البلاد التى تعبد البقر . . الحق إن المسلمين ابتعدوا عن دينهم مسافات شاسعة ، وأن المكانة الهون التى انحدروا إليها نتيجة لازمة لما فعلوا بأنفسهم ورسالتهم .

(١) آل عمران : ١٥٩ .
(٢) الحجرات : ١٠ .

عودة إلى الإسلام

ولابد من عودة صادقة إلى الإسلام كله إذا أردنا أن نحيا ونرشد ، عودة علمية وعملية ، نظرية وتطبيقية ، لا نفرط فى ذرة من ديننا ، لانتنازل عن شعبة من شعب الإيمان ولا عن كلمة من القرآن .

إن الأديان القديمة اضمحلت وتلاشت بسبب هذا التفريط العارض ولكن بدا يسيرًا ثم تفاحش مع الزمن حتى أتى على هذه الأديان من القواعد .

ولن نسمح أبدًا أن يرد ديننا هذا المصير ، يترك هذا شيئًا وذاك شيئًا ويتعلل هذا بالتطور ، وذاك بالمصلحة ولاتزال الأعذار تتوالى والتعاليم تتهاوى حتى يصير الإسلام أثرًا بعد عين !

لن نقبل أبدًا أن يتعرض الإسلام لهذا المسلك الكفور فى الأخذ والرد ، فأجزاء الدين كعناصر الدواء لا يرجى الشفاء إلا بها كلها ومن ثم فلا تنازل عن شىء منها . .

إن تحريف الكلم عن مواضعه قد يصيب الأديان على امتداد الزمان . . ولهذا التحريف مظاهر ثلاثة :

١ ـ التدخل فى الوحى الإلهى بالحذف والزيادة ، اتباعًا للهوى أو غلوًا فى الدين .

٢ ـ التأويلات الفاسدة والتفاسير الباطلة لما ورد من نصوص .

٣ ـ تعطيل العمل بطائفة من الأوامر والنواهى وتوارث هذا العطل من جيل إلى جيل حتى تنشأ خلوف قاصرة تظن ما عُطِّل قد نسخ وباد .

ومن حسن حظنا نحن المسلمين أن كتابنا محفوظ بعناية الله ، فالأصل الذى نحتكم إليه قائم دائم . ومن حسن حظنا أن الإجماع منعقد على أركان الإسلام والأجهزة الرئيسية التى تتفرع عنها شعبه وقوانينه هنا وهناك .

وإنه لسهل على المصلحين بعد ذلك أن يقاوموا المعطلين لحدود الله والمنحرفين عن صراطه المستقيم ، وأن يتمسكوا بالدين كله علمًا وتطبيقًا ، دراسة وسلوكًا ، نهج حياة خاصة وعامة .

وإلى هذا الشمول والترابط فى تعاليم الإسلام وجه الأستاذ الإمام حسن البنا إخوانه بقوله :

الإسلام نظام شامل مظاهر الحياة جميعًا ، فهو دولة ووطن ، أو حكومة وأمة وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب وغنى وهو جهل ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء .

الابتداع مرفوض

الابتداع فى الدين نزعة تسيطر على نفر من المتدينين وتزين لهم أن يخترعوا من عند أنفسهم أفعالاً وأحوالاً ثم يجعلوها ضميمة أو جزءاً من الدين الإلهى ويطلبوا إلى الناس الأخذ بها ، كما يأخذون ما جاء من عند الله سواء بسواء .

وقد رفض الإسلام «الابتداع» رفضًا قاطعًا للأسباب الآتية :

١ ـ إذا أقررنا هذه الضميمة الجديدة إلى الدين ورأينا الدين الأصيل محتاجًا إليها حقًا فمعنى ذلك أن الله أنزل الدين ناقصًا ، وهذا باطل ، قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا . .** ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ : «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» .

٢ ـ إقرار هذه الإضافات التى صنعها الناس يعنى إعطاء البشر حق التشريع فى العقائد والعبادات . . وهذا الحق انفرد به رب العالمين ، ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ . .** ﴾[2] وفى القرآن الكريم حملات شداد على من يحلون ويحرمون وينسبون إلى الله ما لم يأذن به ،﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[3] .

والزيادات المخترعة مرفوضة سواء ابتدعها أفراد . . أو مجامع ، إذ لا حق لأحد ابتداء أن ينشئ شريعة من عنده ، فإن ما ينشئه هو الهوى والضلال .

٣ ـ انشغال العقل الدينى بالتحوير فى الدين أضر إضرارًا بالغًا بشئون الدنيا ، إذ إن المتدينين بددوا طاقاتهم العقلية فى اختراع مالا قيمة له ولا خير فيه ، والأصل فى شئون الدين الاتباع ، وفى شئون الدنيا الابتداع ، لحديث «**أنتم أعلم بشئون دنياكم**» ولكن هؤلاء الناس قلبوا الآية فطوروا تعاليم الدين وجمدوا شئون الدنيا وكان ذلك سببًا فى تخلف الأمم وضياع رشدها .

---

(١) المائدة : ٣ . (٢) الشورى : ٢١ . (٣) النحل : ١١٦ ـ ١١٧ .

٤ ـ التعلق بالبدع المحدثة على حساب السنن الأصيلة نفسها ، والذين يخترعون أشياء ليعبدوا الله بها يتحسسون لها وتكون أقرب إلى هواهم من التعاليم الثابتة عن الله ورسوله ، والجهد الذى يبذل فى أداء هذه المبتدعات قلما تبقى معه طاقة للقيام بما أمر الله ورسوله ، فما تنهض بدعة إلا على أنقاض سنة .

الإسلام.. طبيعته العموم

٥ ـ طبيعة الدين العموم ، فقد وضع كى ينتظم البشر كلهم ، والأثر النفسى الخاص لتأليف ما لا ينهض حجة لتعميمه وأذكر أن أحد المتأدبين أرانى صلوات على رسول الله كتبها واستجادها ورأى نشرها بين الجماهير ، فلما قرأتها رأيت فيها عاطفة حارة ، فقلت : عاطفة مقدورة ، ورأيت فيها جملاً غامضة ومتكلفة فلم أقف عندها طويلاً ، وإنما قلت للمؤلف : استبق ذلك كله لنفسك ولا تشغل به الناس ، قال : كيف؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الناس كيف يصلون عليه فى أحاديث صحيحة ، ونفذ المسلمون ذلك بعد تحيتهم لله فى كل قعود أخير من الصلوات الخمس ، فلا مكان بعد ذلك لما ألفت! قال : إنه يترك أثرًا حسنًا فى النفس ، قلت : فى نفسك أنت ، وليس من حقك أن تكلف الناس بما استحسنت ، ووقتهم ملك الله أولاً . وملكهم هم أخيرًا وليس لك أن تستغله فى أمر من عند نفسك ، إن الصلاة الواردة لا تستغرق إلا دقائق ينصرف الناس بعدها إلى معاشهم ومعادهم وإذا كان ما ألفته يعجبك فاقرأه وحدك ، ولكن لا تجعل قراءته فريضة ولا نافلة ، فإن الفرائض والنوافل وضع إلهى ولا مجال لبشر هنا أن يلزم أو يستحب ، فليس لأحد من خلق الله أن يقول لعباد الله : شرعت لكم كذا وكذا ، ضموه إلى صلواتكم وزكواتكم ليكون إلى الله قربى ، وما الفارق بين شخص يضع حديثًا وينسبه إلى رسول الله ، وآخر يضع مسلكًا أو تقليدًا أو عملاً ما ثم يزعم أنه دين مستقيم وطريق إلى الآخرة؟؟ كلاهما قد اقترف أقبح الكذب ، إن المتدينين عندما ينتهى إيمانهم ويذهب رشدهم يرتكبون واحدًا من ثلاثة . . إما أن يعطلوا النصوص ويميتوا أمر الله ، وهذا عصيان جرىء . . وإما أن ينقلب ترتيب التكاليف فى أذهانهم فيقدموا الصغير ، ويؤخروا الكبير وتضطرب أوزان الأمور ، فتراهم يتجاهلون العظائم ويتقعرون فى التوافه كهذا الذى سأل الحسن البصرى عن الصلاة فى قميص به دم البعوض! فقال له الحسن ممن أنت؟ قال : من العراق قال : تسألون عن دم البعوض وتستبيحون دم ابن بنت رسول الله ، وقد صور أبو الطيب المتنبى هذا الاعوجاج النفسى فى فهم الدين بقوله :

أغـــاية الدين أن تحـــفـــوا شـــواربكم؟
يا أمـــة ضـــحكت من جـــهلهـــا الأمم!

وذلك فى قوم يحسبون قمة التدين إزالة شعر واستيفاء شعر . والأمر الثالث : أن يستحسنوا ويستقبحوا من عند أنفسهم لا من عند الله ، ويختلقوا بدعًا كثيرة فى شئون الدين وأصوله وفروعه ، تعمل فى الدين عمل السرطان فى الجسم ماتزال تنمو حتى تجهز عليه . . والابتداع وإن كان مرفوضًا جملةً وتفصيلاً إلا أنه متفاوت الخطر والضرر ، إذ هو كالعصيان لا يقبل شىء منه أصلاً ولكن منه صغائر وكبائر ، وللصغائر حكمها وللكبائر حكمها . . ومن هنا فالحرب التى توجه ضد البدع الصغيرة دون الحرب التى تعلن على البدع الكبيرة ، والفزع من مرض كالزكام لا يبلغ الفزع من إحدى الحميات التى يغلى منها الدماغ ، وقد رأيت بعض المعنيين بالسنة يسوى بين الأمرين ، ويعامل المبتدع الصغير بنفس الشراسة التى يعامل بها المبتدع الكبير متعللاً بالحديث : «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» قلت له : أرأيت قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا . .** ﴾[1] إننى لا أستطيع تطبيق الآية على مقترفى الصغائر ، وإن كانت لونًا من العصيان ، وإذا كانت البدع متفاوتة الشر فلنعرف أقسامها كما ذكرها العلماء حتى نحسن الخلاص منها بالتى هى أحسن .

بدع.. وبدع

من البدع ما هو حقيقى ومنها ما هو إضافى (الأول مثل الطواف ببعض الأضرحة على نحو ما يفعل الحجيج بالكعبة المشرفة) وظاهر أن جوهر هذه البدعة لا صلة له بالدين ، أما البدع الإضافية فهى أشياء دينية الأصل أتى بها على هيئة لم يقل بها الدين ، فقراءة آيات من سورة الكهف مثلاً حسن يوم الجمعة ، لكن جعل هذه القراءة من شعائر صلاة الجمعة ، وجمع الناس على سماع السورة أو بعضها قبل الصلاة لم يقع قط على عهد الرسول والسلف الأول ، ومثل تأليف أوراد خاصة بتلاوتها فى أوقات معينة وبأعداد معينة . . بحجة أنها ذكر الله مثلاً أو صلاة على رسوله . . ومن البدع ما هو فعلى وتركى ، والقاعدة الكاشفة لذلك أن ما تركه النبى صلى الله عليه وسلم مع وجود الداعى وانتفاء المانع فتركه سنة وفعله بدعة .

كان الناس يموتون ، ولم يتجاوز الأمر عند موتهم الدفن بعد صلاة الجنازة ، ثم قبول العزاء على نحو عابر لا افتعال فيه ، وربما كلف جيران الميت بإعداد الطعام لأهله ، فإن

(١) النساء : ١٤ .



مصابهم شغلهم عن إعداده لأنفسهم ، لكن مسلمى اليوم رأوا أن يجتمعوا عقب الوفاة فى أندية أو سرادقات يستمعون فيها إلى القرآن ويستقبلون فيها الوفود ، وتوزع السجائر والأشربة ، ويتكلف فيها أهل الميت ما يبهظهم ، والجماهير ترى أن قراءة القرآن فى حشد يضم المعزين لابد منه ، ولكن العلماء مجمعون على أن الرسول وصحابته لم يفعلوا هذا مع وجود الداعى له وهو الموت وطلب الثواب وانتفاء المانع ، فالأمن مستقر والتجمع سهل . . وما دام الأمر كذلك فالترك سنة والفعل بدعة . وكم من أشياء لم يفعلها السلف الأول حرص المسلمون اليوم على إقامتها وإدامتها وكأنها دين ، بل قد تكون عندهم أهم وألزم من الدين الثابت الصحيح!

والأستاذ حسن البنا رأى - فرارًا من الاصطدام بحراس البدع الإضافية والتركية - أن يدخل الموضوع فى دائرة الخلاف الفقهى ، والخلاف الفقهى يتحمل وجهات النظر المتباينة ، ومن ثم لم ير حرجًا من ترك مؤذن يضم الصلاة على رسول الله إلى ألفاظ الأذان! ولم ير حرجًا من ترك الأسر الكبيرة والصغيرة تتكلف فوق طاقتها لأداء مراسم التعزية المخترعة . . والواقع أن صنيعه رضى الله عنه كان سياسة موقوتة لتجميع الأمة على أمهات الدين وقواعده المهدرة ، فقبل المكروه اتقاء للحرام ، من باب ارتكاب أخف الضررين . . والحق أن البدع صغراها وكبراها لا يمكن إقرارها ، قال رسول الله ﷺ **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد عليه»** ، وإن كان العلاج يحتاج إلى بصيرة وأناة . . إن شر هذه المحدثات بعيد المدى فى المجتمع الإسلامى ، وأذكر أن موظفًا فى دائرة عملى كان يغلبه النوم أحيانًا كثيرة ، وعرفت أنه ينتمى إلى إحدى الطرق الصوفية ، فطلبت منه أن يطلعنى على الورد المقرر ، فلما استبنته وجدته يفرض ترديد عدد من أسماء الله الحسنى وبعض الكلمات والآيات بما يبلغ مليون كلمة كل ليلة ، فعرفت سر نوم المسكين وأشفقت أن يفقد يومًا ما عقله ، وهذا الصنف من الناس يوشك أن يختفى لغلبة الحياة العصرية بصبغتها المعروفة . . ولكن الذين يريدون الأوبة إلى الدين يجدون فى طريقهم هذه الأوراد ، فينقلون من ضلال إلى خبال .

قال الأستاذ حسن البنا فى رسالة التعاليم فى البندين ١١ ، ١٢ :

كل بدعة فى الدين لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم - بالزيادة فيه أو النقص منه - ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها .

والبدعة التركية والإضافية والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى ، لكلٍّ رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

الحوار الأخير للداعية الإسلامى الكبير
الشيخ محمد الغزالى

«كل درهم أو دينار يتقاضاه العامل الهندوسى فى بلاد المسلمين هو إسهام من المسلمين فى شراء الأسلحة التى تفتك بالمسلمين فى كشمير وتشجيع منهم لاستمرار الهند فى مذابحها فى كشمير . .» .

(محمد الغزالى)

فى ظل تطورات قضية كشمير المسلمة ، وفى ظل تصعيد الاحتلال الهندى لعمليات الإبادة الوحشية للشعب الكشميرى المسلم ، وحول حادث ضرب المساجد فى كشمير بالصواريخ وقتل عشرات المصلين ، وحول واجب الأمة الإسلامية لإعادة مجد الأمة وتاريخها الزاهر ، ولتعود أمة مهابة لها مكانتها العالمية .

وحول أسباب الضعف الذى نعيشه وانعكاساته على مستقبل القضية ودور العالم الإسلامى فى دعم هذه القضية المصيرية ماديًا ومعنويًا .

التقت المختار الإسلامية بفضيلة الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد الغزالى ، وكان معه هذا الحوار :

عايشت القضية منذ ميلادها

* ماذا تمثل قضية كشمير بالنسبة لكم فى ظل تعدد الجراح فى جسد الأمة الإسلامية وفى ظل التعتيم الذى تتعرض له هذه القضية رغم تطوراتها؟

كشمير جزء غال من الوطن الإسلامى الكبير وطالما شغلنا همها وتناقلنا أخبارها منذ الأربعينيات ، ولم تغب عن ذهنى لحظة واحدة حيث كنت أتناولها فى خطب الجمعة ، وفى مؤتمراتى الجماهيرية باستمرار منذ نشأة القضية وبداية الاحتلال الهندوسى لهذه البقعة الإسلامية الطاهرة من وطننا الإسلامى الممتد .

وكشمير هى شقيقة فلسطين ولدا من رحم واحد ، وتلقيان تقريبًا نفس المصير وتتعرضان لأشد أنواع القمع والوحشية على أيدى عبدة العجل وعباد البقر ، وهم من

صدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا . . ﴾[1] وهما الصهاينة والهندوس معًا .

كما أن الشعبين الفلسطيني والكشميري المسلمين من أكثر شعوب الأرض بسالة وصمودًا لأكثر من نصف قرن في جهادهم للمحتلين الغاشمين الذين التقيا مؤخرًا ، ولاشك أننا في زمان ، لليهود فيه باع في إدارة المؤسسة الإعلامية العالمية ، ويمتلكون أغلبه مما جعلهم يرفعون قضايا ويلحون على الرأي العام العالمي بها رغم تفاهتها ، كالرياضة والفن وقضايا غير المسلمين ، بينما تعمد هذه الآلة الإعلامية الصهيونية على إخفاء أخبار المسلمين والشعوب المضطهدة منهم في أنحاء الأرض المختلفة ولا يسمح بظهور قضاياهم إلا بقدر محدود وبحساب .

ومما يحزنني أنني أجد كثيرًا من العاملين في حقل الدعوة من خطباء المساجد والمتصدرين للدعوة غالبًا ما يجهلون أبعاد قضية كشمير وماهيتها ، إذا لم يجهلوا كشمير نفسها ، ولذلك دائمًا أذكرها في الخطب العامة والمؤتمرات الحاشدة .

هم الإرهابيون

* الدعاية الهندية تملأ ضجيجًا تزعم فيه أن المجاهدين المسلمين من أهل كشمير مجموعة من الإرهابيين الخارجين على النظام في البلاد . . فما رأيكم في شيوع نغمة الإرهاب لحركات التحرر الإسلامية في كشمير وفلسطين وغيرهما؟

إنني أرى العجب العجاب في بقاع شتى من عالمنا الإسلامي الذي يمر بظروف صعبة للغاية في أحواله مع أعدائه من صليبي وهندوسي وصهيوني ووثني ولا يختلف هذا عن ذلك حيث المنطق واحد ، فقد رضي القتيل ولا يرضى القاتل ، ففي فلسطين يرضى القتيل وهو صاحب الأرض بأن يقتسم البيت المغتصب إلا أن السارق يأبى ويتهم صاحب البيت من المجاهدين لتحرير الوطن المقدس بالإرهاب ، وها نحن نرى الدنيا تقوم ولا تقعد إذا مات صهيوني واحد في معركة يدافع فيها أصحاب الأرض عن أنفسهم ولا يتحرك أحد إذا ما قتل الصهاينة العشرات من أهل الديار ، وهكذا نفس الحال في كشمير المسلمة التي يعمل فيها الهندوس الذبح والقتل وأعمال الإبادة ، وما تجرأ عباد البقر على إخواننا إلا بعد أن شاهدوا أعمال الذبح في شرق الأرض وغربها ولم يتحرك أحد ، وقد غاب الوطن الإسلامي الأم الذي كان ينافح عن المسلمين في كل مكان .

---

(١) المائدة : ٨٢ .

ثم إن الإرهاب الذى يعنيه هؤلاء فى نظامهم العالمى هو عدم الانصياع لقرارات الأمم المتحدة وها نحن نجد أن العدو الهندوسى قد ضرب بقرارات الأمم المتحدة عرض الحائط فيما يتعلق بقضية كشمير حيث وافقت الهند على تقسيم شبه قارة جنوب آسيا عام ١٩٤٧م والخاص بضم ولاية جامو وكشمير ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان ، ثم قامت باحتلالها بالقوة ، كما خالفت الهند قرار الأمم المتحدة الصادر فى ٥ يناير ١٩٤٩م بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الولاية ، والذى لم يتم حتى اليوم ورفضت الهند الانصياع له طيلة أربعين عامًا بلا مبرر ، ألا يعد ذلك الإرهاب بعينه؟!

ثم إن الأعمال البربرية الوحشية التى حدثت فى أعقاب ضم الولاية عام ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ وتتكرر من حين لآخر حتى بلغ أشده فى الآونة الأخيرة فى ظل القانون الرئاسى وقرارات المحكمة الهندية التى أباحت القتل العشوائى لأهالى كشمير ، مما يعد عين الإرهاب .

وعليكم أيها المجاهدون أن تمضوا فى طريقكم حتى تحرروا بلادكم ولا تأبهوا لهذه الاتهامات ، فهذه عادة أعداء الله يرهبون الضحايا ويتهمونهم بالإرهاب ومن ورائهم الصهاينة بإعلامهم .

لكم فى الرسول قدوة حسنة

* الممارسات الإجرامية الهندوسية وأساليب الإبادة الوحشية لأهالى كشمير رجالاً ونساءً وأطفالاً تمثل وسيلة ضغط على المجاهدين بهدف وقف إعلانهم الجهاد المسلح لمواجهة المحتل الهمجى ، فبماذا تنصحون المجاهدين على جبهات القتال فى مواجهة هذه الوحشية؟

إن رسولكم الكريم ﷺ ظل يكافح طيلة ربع قرن كفاحًا حرًا ، فتدركه ثورة الألم فيلجأ إلى الركن الشديد قائلاً : (**اللهم أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس**) ، والله ما كان تاركًا لرسوله ، ولكن الله أراد أن يضرب من نبيه المثل لكل من يكافح إذا شعر بضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس أن يلجأ إلى الركن الشديد ، فطبيعة الحق أن يكون غريبًا بين المبطلين ، بل النور لا يعرف أنه نور إلا إذا شق الظلام ومر فى جو غريب، عليه بعيد عنه ، وهذه هى طبيعة الجهاد فى سبيل الله فى الإسلام .

وعلينا أن نعرف أن الله صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، ورسولكم الذى كان توضع على ظهره القاذورات فى الكعبة شاء الله أن يفتح مكة

ويفرج عن أهلها ، فالله ناصر عبيده طالما ساروا على منهجه والتزموا الصراط المستقيم ، وهذا شرط وعد الله المؤمنين بالنصر قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾[1] .

وعلى المجاهدين أن يدركوا أن القوى الكبرى من أعداء الإسلام لاتريد أن تقوم دعوة إسلامية فى الأرض من إثيوبيا الشيوعية الحاقدة وأمريكا معها فى قلب أفريقيا السوداء ، والشيوعيون الروس فى قلب آسيا الوسطى والقوقاز ، وكذلك فى فلسطين قلب الأمة تقف الصهيونية العالمية والكل لايريد للإسلام قائمة ، وعليكم أن تتمسكوا بطريق الجهاد المقدس فهو السبيل الوحيد ، فلن تنصفكم القوى الكبرى لا أمريكا ولا غيرها حيث لا يخفى الإرهاب الأمريكى على أحد حيث تتربص بالبلاد الإسلامية وتضعها على قائمة الإرهاب ، طالما لا تدور فى فلك التبعية لأمريكا ، بينما الهندوس والصهاينة رغم الإبادة الوحشية للمسلمين فى كشمير والهند وفلسطين فلا إرهاب ولا مشكلة طالما الضحايا بلا ثمن ومن أرخص الدماء على وجه الأرض وهى الدماء المسلمة عكس غير المسلمين .

* إحراق المساجد والمنازل ، بل والقرى بأكملها داخل الهند ، وفى كشمير أصبح نهجًا هندوسيًا رسميًا فى كشمير من بداية التسعينيات دون ردود أفعال مناسبة من عالمنا الإسلامى ، فهل يجوز السكوت عليها؟

إننى أشعر بالقهر كلما طالعت أخبار مايدور على أرض كشمير وكلما فجعتنا الأخبار بهدم مساجد وأماكن العبادة ، التى توضح زيف وبهتان ادعاء حكومة الهند العلمانية ، والتى تكفل حرية التدين بجميع طوائفها وتعايش جميع الأديان ، وتؤكد حرية الإلحاد فقط وعداء الهندوس كل ما هو إيمان بالله ، كما تؤكد هوان المسلمين على كل أمم الأرض حتى عباد البقر وأرى قول الشاعر يجسد حال المسلمين فى كشمير وغيرها :

قد استرد السبايا كل منهزم

لم تبق فى رقها إلا سبايانا

ما رأيت سياف الذل دامية

إلا رأيت عليها لحد أسرانا

(1) إبراهيم : ١٤ .

ما نموت على حد الظبى آنفا

حتى لقد خجلت منا منايانا..

وفى الوقت الذى تتزايد فيه أعداد الضحايا من القتلى والشهداء والمصابين المفقودين فى كشمير، وما تطالعنا به كبار الصحف ووكالات الأنباء رغم التعتيم الإعلامى الذى تمارسه وسائل الإعلام الغربية يوضح حجم مأساة إخواننا فى كشمير وفظاعة أعدائهم ووحشيتهم حيث خلفت هذه الهمجية أكثر من نصف مليون عائلة منكوبة لا تجد من يعولها أو يهتم بشأنها أو حتى يمدها بما يقوتها من مواد الإغاثة أو الكساء المطلوب .

وما أظن ذلك قد حدث إلا بسبب ضعف الإيمان فى قلوب المسلمين ، كما أن غالبية الأمة قد فقد الإحساس بخشية الله وأصبحنا نخاف من أنفسنا أكثر مما نخاف من أعداء الإسلام ، وأصبح بأسنا بيننا شديدًا وتبدل حال الأمة إلى أسوأ حال ، وأصبحنا نثق بأعدائنا أكثر مما نثق فى الله ، وأصبحت كل دولة تنظر فى إطارها المحلى الضيق ولا تضع اعتبارًا للبعد الإسلامى ، مما شجع الهند على هذه الممارسات الهمجية وهذا أمر بات من المستحيل السكوت عليه وتتصدى له اليوم فصائل الجهاد المسلح فى كشمير ، وكذلك باكستان ، وعلى الأمة أن تعيد حساباتها وتقف من وراء باكستان وإخوانهم فى كشمير حتى لا تدور عليه الدائرة ، فالعالم الإسلامى اليوم أشبه بقفص الدجاج الذى يفتحه الجزار ويأخذ إحداها ليذبحها بينما ينتظر الباقون الذبح على يد الجزار نفسه ، ولا يدرون ماذا ينتظرهم ، وهكذا الأمة الإسلامية ينتقص الأعداء أطرافها ويباد أبناؤها فى مناطق مختلفة فى هدوء تام ودون أن يتحرك أحد لنجدتهم فى البوسنة وكشمير وفلسطين ولبنان وأريتريا والفلبين وبورما وبورندى وغيرها من بلاد الدنيا .

وعلى الأمة الإسلامية شعوبًا وحكامًا أن ينتبهوا للخطر الداهم الذى لن يفرق بين حاكم ومحكوم فى ظل المستقبل المشئوم الذى ينتظر أمة الرعاع والهمج التى بعدت عن دينها ، ولابد أن تعود إليه لتنال الكرامة وتحفظ وجودها من العدم .

تعاون شيطانى

* التعاون الثنائى الشيطانى بين إسرائيل والهند قد جنى شعب كشمير ثماره المرة فى الإبادة الجماعية والوحشية والهمجية . ما هى خطورة هذا التحالف على مستقبل القضية الكشميرية والأمة الإسلامية؟

لا يخفى على أحد ما لليهود من دلال على شرطى العالم اليوم ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا الدلال ينعكس فى سيطرة زعماء اليهود على القرار الأمريكى وعلى توجهات ما يسمى بالمجتمع الدولى لأن هذا زمن استعلاء بنى إسرائيل ، وبالتالى ينعكس ذلك على تعاون الهندوس مع الصهاينة فى ضغط اليهود لصالح الهندوس مما دفع أمريكا إلى اتخاذ تدابير من شأنها منع باكستان من مناصرة مواطنيها فى كشمير المحتلة ودعا ذلك سفير أمريكا فى باكستان بطلب وقف دعم باكستان للشعب الكشميرى المسلم الراضخ للاحتلال الهندوسى وإلا ستوضع بلاده باكستان على قائمة الدول التى ترعى الإرهاب وبالفعل تم ذلك .

كما أن التعاون الصهيونى الهندوسى حاول مرارًا ضرب البرنامج النووى الباكستانى أكثر من مرة ، ولكن الله خيب آمالهم ، كما أن الصهاينة متواجدون اليوم فى كشمير للإشراف على سحق وإبادة الشعب المسلم وتدريب الهندوس على ذلك ، كما لمس أهالى البوسنة من المسلمين وحشية الغرب وأساليبهم الهمجية الوحشية ، وذلك لوجود أبناء صهيون وراء هذه الأساليب الوحشية ، فاليهود وراء جميع جرائم الإبادة التى يتعرض لها المسلمون ليس فى كشمير وحدها ، بل فى فلسطين ولبنان والبوسنة وأريتريا والفلبين وبورما وغيرها .

* فى ظل الإبادة الوحشية للمسلمين فى كشمير على أيدى الجيش الهندى ، ما هو حكم الإسلام فى استقدام بعض بلاد المسلمين للعمال من الهندوس رغم وفرة البديل من العمالة المسلمة؟

هذا الأمر لا يحتاج إلى إجهاد فكر أو تمحيص ، إن كل درهم أو دينار يتقاضاه هذا العامل الهندوسى ، إنما هو إسهام منا نحن المسلمين فى شراء الأسلحة التى تفتك بإخواننا فى كشمير ، ودعم لاقتصاد الهمجية الهندوسية ، وفى نفس الوقت بعد ذلك تشجيعًا منا لاستمرار الهندوس فى مذابحهم ، وأحرى بنا أن نتوقف عن استقدام العمالة الهندوسية فورًا وأن نستقدم إخواننا المسلمين وأن نوجه الإنذارات والتهديدات للهند بإيقاف الممارسات الوحشية فى كشمير ونقوم بطرد جماعى للهندوس من بلادنا للضغط عليها .

وحكم الشرع واضح فى هذا الوضع حتى لو لم تكن الهند معتدية على إخواننا فى كشمير ، فما بالنا وهى معتدية وتعد عدوة للإسلام والمسلمين ، فلا يجوز بحال من الأحوال استقدام عمالها ولو فى أحقر الأعمال فذلك حرام من الناحية الشرعية وغير مقبول من الناحية المنطقية .

* ماذا يجب على الحكومات الإسلامية تجاه حكومة الهند لنصرة إخواننا فى الهند وكشمير فى الوقت الذى يبلغ حجم التبادل التجارى بين الهند وعالمنا العربى والإسلامى أكثر من ٦٠٪؟

من الواجب على حكومات وأنظمة العالم الإسلامى أن تتخلى عن تبعيتها للغرب الصليبى الحاقد أو الشرق الشيوعى والهندوسى الملحد وأن نمتثل قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾[1] ، فأغلب العالم اليوم الغربى والشرقى عبيد للحياة وللشهوات التى تشعلها الحضارة المادية الجارفة ، ثم إن علينا أن نعود إلى الله ونتمسك بديننا وأن نعمل بجد واجتهاد ، حيث يستحيل أن نجعل كلمة الله هى العليا إذا كانت أيدينا سفلى ولا نملك طعامنا ونستجدى سلاحنا ودواءنا وكساءنا من أعدائنا .

فالأمة الإسلامية كلها آثمة إذا لم تنتج طعامها وسلاحها وتستقل عن عدوها لتخرج من ذلة التبعية والضعف الذى تعيشه أمتنا ويصلى سعيره إخواننا فى كشمير ومن قبله فى البوسنة وفلسطين وغيرهم .

ثم إنه من الممكن أن تتخذ حكوماتنا قرارًا شجاعًا باستخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية والدبلوماسية للهند والتى يمكن أن تزلزل كيانها الاقتصادى وتكبده خسائر اقتصادية وتجارية ضخمة تجعله يراجع نفسه ألف مرة ومرة قبل انتهاك حرمة المسلمين فى كشمير وفى الهند نفسها .

كما أن المنظمات الشعبية فى بلادنا الإسلامية عليها دور كبير فى الضغط على المؤسسات الرسمية لدفعها نحو المقاطعة وتنظيم الحملات الشعبية لجمع التبرعات وتقديم المساعدات للشعب المنكوب فى كشمير وإيقاظ الوعى الجماهيرى بهذه القضية المغيبة عن الضمير الإسلامى ، بسبب التعتيم الإعلامى من ناحية وبسبب بعد المسافة من ناحية أخرى .

* ما رؤيتكم لتصعيد عمليات القتل للمسلمين فى كشمير فى شهر رمضان وما تعليقكم على حادث ضرب المسجد بالصواريخ مؤخرًا؟

هذا الحادث يؤكد حقيقة واحدة ، هى أن الكفر كله ملة واحدة ويسعى للقضاء على الإيمان فى أى مكان ونحن نردد قول ربنا : ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[2] .

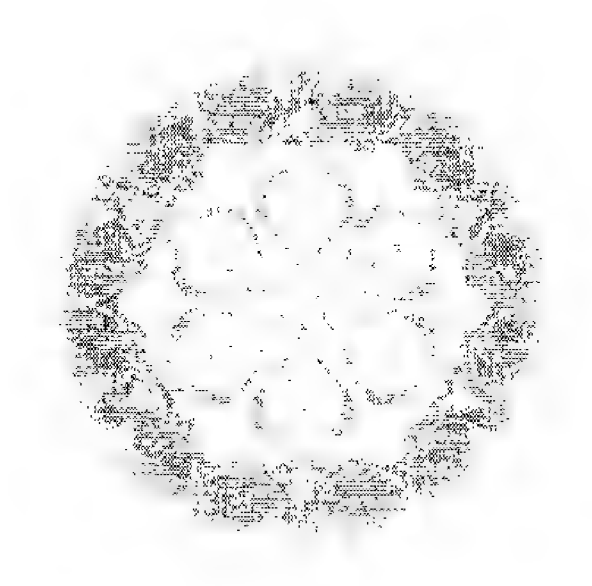
---

(١) الكهف : ٢٨ .　　(٢) التوبة : ٣٧ .

ولكن القضية هى سنة الله فى الأرض والتدافع بين الناس وأن التاريخ قد ذكر أنه من القرن الحادى عشر كان أعداء الإسلام يرون أن نهاية الإسلام قد حانت، مع غزوات التتار والمغول والصليبيين ولكن سرعان ما أكد نفس المستشرقين أن قوة الإسلام لن يقف فى وجهها أى جيش فى نهاية القرن ، لأن الإسلام دين متجدد يمر بفترات ضعف ما تلبث أن تعقبها فترات قوة تعيد بناء ما هدمه الأعداء وتجدد هذا الدين .

وأريد أن أؤكد أنه منذ قتل خمسون مسلمًا بالسلاح الأبيض فى سيرلانكا ، ولم يتحرك أحد بعد نشر الخبر ، ومن بعدها توالت النكبات وتكررت المذابح وأنه لو كان هؤلاء القتلى من اليهود لقامت الدنيا ولم تقعد وتعقبت المؤسسات العالمية وغير العالمية هؤلاء القتلة واقتصوا منهم .

وإننى أعتقد أن سر هزائمنا لا تأتى من قوة العدو بقدر ما تأتى من فوضى وضعف وتشتت أمتنا الإسلامية ، إن المستقبل ملىء بالمفاجآت وأعداؤنا يستكثرون علينا حق الحياة ، ولابد من توحيد صفوفنا فى عالم التكتلات حتى تتوقف جراحنا التى تنزف طوال القرن الماضى ولازالت حتى اليوم ، وما مذبحة كشمير منها ببعيد ولا أنها الأخيرة ، ولازال القدر يخبئ لنا مصائر سوداء نسأل الله أن يعفى إخواننا من غدر الملحدين فى كشمير . . .



الصنم البائد!!..

لم أشعر فى السنين الأخيرة أن التعصب ضد الإسلام قد تراجعت موجته أو انكسرت حدته ، بل على العكس تعددت الوسائل وتوقحت وزادت ضراوة الأعداء . . ومع أن عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر هى الهدف المنشود إلا أن الهجوم يتجه إلى ما يسمى بالإسلام السياسى ، أو إقامة الدولة الإسلامية التى تعيد الحكم بما أنزل الله!! ويتساءل أعداء الإسلام : هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم؟ ونقول : لم لا؟ ولماذا اعتمدت اليهودية نظام حكم فى إسرائيل؟ ولماذا قامت للفاتيكان دولة؟ ولماذا أظلت الوثنية نظام الحكم فى الهند وحمت هدمه للمساجد؟ هل ديننا وحده هو الذى يجب حرمانه من السلطة؟ وتعطيل الأحكام التى جاء بها ومتى يقع هذا؟ فى ظروف تسمح لإسرائيل بالتسلح الذرى وتكديس قنابل تمكن اليهود من إفناء المسلمين كافة؟ إن خطة بناء إسرائيل وضعت على أساس أن تقدر وحدها على هزيمة عشرين دولة عربية!! وهل يعرف العالم الميزانية السنوية للفاتيكان؟ إن خزائنه مفعمة بالمليارات التى تنفق على خدمة الكنيسة وتوسيع رقعة التبشير فى القارات الخمس ، ولديه من الناحية الاقتصادية إمكانات إحدى الدول الأولى فى العالم ، فهل الإسلام وحده هو الذى يحرم من إقامة دولة تحميه وتخدم أهدافه؟ لقد ظل مسجد «بابرى» بضعة قرون فى الهند حتى تذكرت الوثنية بغتة أن أم إحدى الآلهة مدفونة فى ترابه! فهدمته إحياء للصنم البائد! ولم يستطع ١٥٠ مليون مسلم هناك أن يصنعوا شيئًا للدفع عن شعائرهم ، فهل التعليق على هذا أن يتنادى العلمانيون العرب بحرمان الإسلام من السلطة ، ومهاجمة الإسلام السياسى! عجبًا وهل تحترمون الإسلام فى ميدان العبادات أو المعاملات؟ سمعت أحدهم يقول : باريس بلد النور . . القبلات والأحضان فى الحارات والميادين ، فى الترام وفى السيارات ، رائحة الحب فى الجو كله ، كنت أريد أن أقول له : أتحب أن تكون أختك أو زوجتك فى أحضان آخر؟ ولكن سكت لأنى توقعت أن يقول : لا مانع من تبادل المتعة! إن الحرب على الحكم الإسلامى يعلنها أفاكون وقوادون لا يؤمنون بلقاء الله ولا يحترمون له هداية .

ومن منا يستطيع الإفلات من عقاب الله..؟

لو سأل أحد : من ربنا الذى كلفنا بعبادته وسنعود للقائه بعد انتهاء آجالنا فى هذه الدنيا؟ لكان الجواب : ما جاء فى سورة يونس ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[1]؟ إن هذا جواب مجمل يحتاج إلى تفصيل تولته آيات أخرى فى السورة نفسها .

إن هناك ألوفًا مؤلفة من الأفواه القاضمة والبطون الهاضمة .

ترى من هيأ لها أرزاقها ومن حول هذه الأرزاق إلى لحم وشحم وعيون وآذان؟ من جعل العيون تبصر والآذان تسمع ، إن هذه الحواس النفسية أجهزة محكمة معقدة فى كيان واحد ، فكيف صاغتها القدرة فى ملايين من الكائنات؟ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[2] .

إن الفلاح يضع حبة واحدة فى الطين فتخرج له ألف حبة!! من حول الحمأ الكريه الطعم والرائحة إلى قمح أو أرز أو ذرة نستحلى طعمها ورائحتها؟ من حول المخلفات العضوية إلى قصب سكر وإلى أزهار وورود ترف عليها ألوان الطيف ، وتفوح منها أنواع العطور؟ ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[3]؟ والغريب أن بعض الناس بدل أن يسير فى الأرض فيبحث كيف بدأ الخلق انتكس على رأسه ورأى أن يبحث فى ذات الخالق يحاول أن يعرف كنهها . إنه يفر من وظيفته الطبيعية ، ويستر بطالته القبيحة بعمل باطل! وقد كان هذا الانتكاس من أسباب غروب الحضارة الإسلامية وانهزامها العالمى ، ونحن مع التفويض فى فهم آيات الصفات! فإننا نوقن أن الله استوى على عرشه استواء يليق به ، وشرع يدبر بحكمته شئون العالم الذى خلقه من غير شريك ولا معين . . ويستحيل أن يستعين الخالق

(1) يونس : ٣ .
(2) يونس : ٣١ .
(3) يونس : ٣٢ .

بالمخلوق ، والقادر بالعاجز ، وعلى الناس كلهم أن يعرفوا هذه الحقيقة فلا يتجهوا فى دعائهم إلى أحد سواه ، وقد عاب القرآن الكريم على الجهال الذين يفعلون ذلك ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[1] .

والواقع أن البشر - وفى مقدمتهم الرسل - والملائكة وفى مقدمتهم جبريل - عبيد لله عانون لحكمه خاضعون لسلطانه ﴿ **لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾[2] ومع صحة العقيدة تصح العلاقة الإنسانية بالله جل شأنه ، ويكسب المرء الموجود الدائم فى الحياة الباقية ، وتتحول الدنيا إلى ذكريات حسنة ، إن عشرات السنين فى عمر الفرد ، أو عشرات القرون فى تاريخ الدول تتحول إلى أحوال عارضة أو ساعات قلائل ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ . .** ﴾[3] . . لكن ساعة التعارف هذه بعيدة المدى فيما تعقب من أحزان أو أفراح ولذلك يقول ابن القيم :

فحى على جنات عدن فإنها

منازلك الأولى وفيها المخيم!

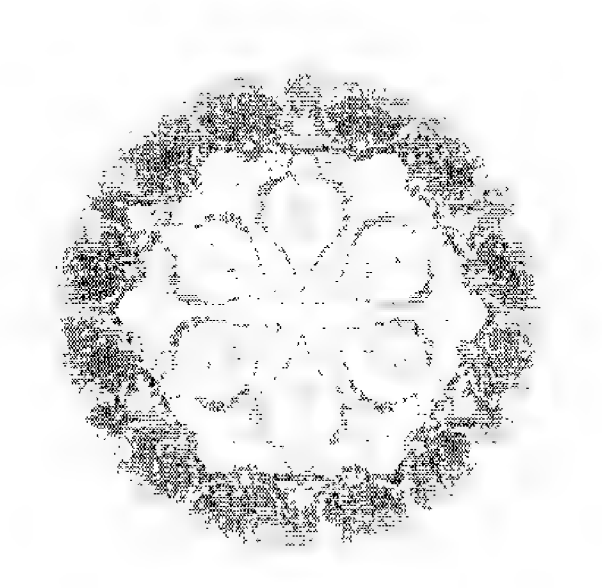
ولما كان عقاب الخطأ قد يطول انتظاره . فإن بعض الناس يحسب هذا الطول إهمالاً لا إمهالا! كان اليهود قديمًا يحيون المسلمين فيقولون لهم : السام عليكم أى الهلاك ، ويحسبون أنهم بذلك بلغوا أملهم ﴿ **. . وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[4] إنهم يستعجلون العقوبة وكلما تأخرت ازدادوا ريبة! ومن قبلهم كان المشركون يكفرون بالله الواحد . ويحادون رسوله ، ولثقتهم فى أنهم صادقون كانوا يتعجلون العقاب على ما يفعلون استهزاء وكفرانًا ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ**

---

(١) يونس : ١٨ . (٢) الأنبياء : ٢٧ - ٢٨ . (٣) يونس : ٤٥ .

(٤) المجادلة ٨ . (٥) العنكبوت : ٥٣ - ٥٤ .

جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(٥) هذا الاستعجال الذى شرحناه هنا هو ما عنته سورة يونس فى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١] وهذا الإنذار يتلاقى مع قوله تبارك اسمه : ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾[٢] لكنه فى هذه السورة يسائل المجرمين : لم الاستعجال؟ وما جدواه عليكم؟ أليس الأولى أن تتوبوا قبل أن تعاقبوا . وأن تستغلوا الإرجاء لما فيه خيركم؟ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٣] هل يستطيع أحد الإفلات من عقاب الله يوم يجىء فى موعده المقدور؟ كيف والأشياء كلها ملك لله؟ ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٤] هذا فيما لا يعقل أما فيمن يعقل فقد قال جل شأنه ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[٥] فإذا كان الكون كله من أشخاص وأشياء مسترقًا لله ، وكان ملكًا محضًا لله سبحانه ، فأين يفر امرؤ بجريرته؟ ومن يجيره؟ ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٦]!! .



(١) يونس : ١١ . (٢) الكهف : ٥٨ . (٣) يونس : ٥٠ ـ ٥١ .
(٤) يونس ٥٥ . (٥) يونس : ٦٦ . (٦) يونس : ٥٣ .

العمل لا العدد..!

قرأت بحثًا لعالم فى الجغرافيا البشرية تحدث فيه عن سكان الأرض منذ تمهدت لآدم وبنيه حتى اليوم ، ثم أتبع كلامه ببحث آخر عن سكان الأرض فى عالمنا المعاصر وعن أعدادهم وأديانهم ، وختم البحث بنبوءة علمية عن الصبغة الدينية التى ستغلب على العالم فى العصر القادم .

يرى الباحث أن الأرض سكنها من بدء الخليقة إلى الآن ثمانون مليارًا من البشر ، ولست أعرف المقدمات التى انتهت به إلى هذه النتيجة! ولم أستكثر العدد ولم أستقله ، كل ما أحسسته أن هذه المليارات الثمانين موجودة لم يلحقها فناء ، وأننا سنلحق بها حتمًا لنزيد عددها على نحو ما قال الشاعر العربى :

لكل أناس مقبر بفنائهم

فهم ينقصون ، والقبور تزيد

ويستيقظ السابقون واللاحقون يومًا ليواجهوا مستقبلاً متفاوت الألوان والدرجات كما جاء فى الكتاب الكريم : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾[1] .

إن القشرة رقيقة جداً بين الموت والحياة ، وفى كل طرفة عين يستخفى من بيننا أقرباء وغرباء كانوا ملء السمع والبصر ، والمدهش أننا نكترث لذلك قليلاً ثم يخطفنا تيار الحياة بعيدًا فننسى كل شىء!!

***

لأترك هذا التفكير ، ولأعد إلى ما يقوله الباحث فى الجغرافيا البشرية عن الأحياء من سكان الأرض ، إنهم خمسة مليارات الآن موزعة على الإسلام والنصرانية والوثنية والشيوعية واليهودية .

ويرى الباحث أن المسيحيين يزيدون على المليار ، وأن المسلمين يقاربونه ، ومع أنى أعلم أن عبثًا كبيرًا يقع فى إحصاء المسلمين إلا أنى لم أهتم به ، وإنما اهتممت بالنبوءة

---

(١) آل عمران : ٩ .

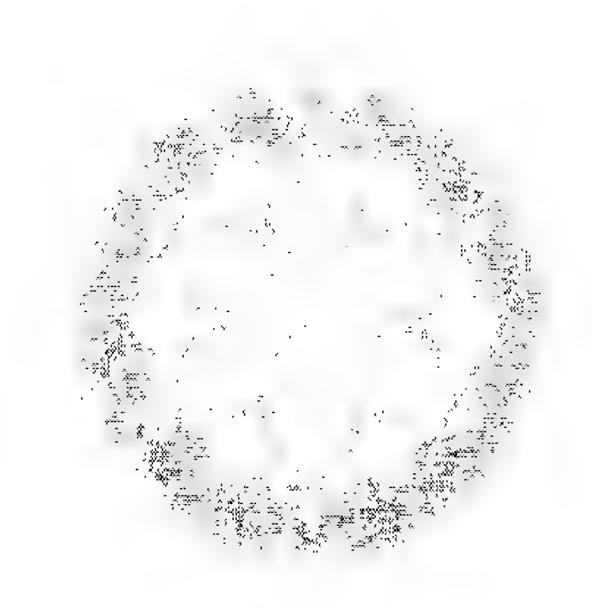
التى سجلها الباحث الجغرافى ـ ولعله كتب مقاله من أجلها ـ فقد قال : إن هناك حرصًا على تقليل النسل فى أوروبا وأمريكا ، وأن تعداد السكان فى أغلب الدول الغربية ثابت ، وقد ينقص قليلاً أو يزيد ، أما فى العالم الإسلامى فالتعداد فى صعود .

ولا أدرى أنسى الكاتب أم أنه تناسى بقايا العفة والطهر فى العلاقات الجنسية بين المسلمين ، وطوفان العهر والتسيب بين جماهير من الأمريكيين والأوروبيين!

إن النساء لا يزيدون مع انتشار «الإيدز» وغيره من العلل النتنة! وقد استخدم غزو الفضاء لبحث جرثومة الإيدز ومحاولة استكشاف علاج يقضى عليها ، أى إن التقدم العلمى يستغل فى تغطية آثار الجريمة الشاذة .

أما كان أقرب من ذلك كله تحكيم وحى الله وتحريم المنكر من العمل والقول؟

ومع ذلك أقول لإخوانى المسلمين بأن زيادة عددهم إلى مليارين لا يفرحنى! فالمهم كثرة العمل لا كثرة العدد .



عظمة الخالق..!

فكرت ساعة فى الأرض التى تضمنا ثم صحت : كم هى ثقيلة! لعلها تزن قناطير تستنفد ما نعرف من أعداد!

أذلك لأن ألوفًا مؤلفة من الناس والدواب والأنعام تعيش فوقها؟ كلا! إن وزن هؤلاء خفيف بالنسبة إلى سلاسل الجبال فى المشارق والمغارب ، ومقادير المياه فى شتى البحور والمحيطات ، وما تجمع التربة من خصب وجدب ، وصحارى وأودية .

قلت : من يحمل هذه الأرض الثقيلة؟ وكان الجواب : تحملها كف الخالق المتعال . . قلت : الحمل ثقيل جداً ، وكان الجواب : إنها على كف القدرة أخف من فقاعة ملأى بالهواء فوق أيدينا . . ولله المثل الأعلى .

وسبح فكرى قليلاً مع هذه الأرض التى تديرها كف القدرة حول نفسها ، وحول الشمس ، فى سرعات رتيبة مضبوطة لا عجلة ولا كسل .

ووثب الفكر إلى أعلى يقرر أن الأرض وحدها ليست المحمولة فى الهواء أو بتعبير أدق فى الفضاء ، إن هناك نجومًا فوق الحصر ، شمس الدنيا هذه واحدة منها ، فكم تحمل كف الرحمن من أجرام ثقال شداد؟ وكان الجواب : ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾(١) .

وتساءلت : ما هذه القدرة الخارقة التى تحمل أرضنا وشمسنا وأرضين وشموسًا أخرى ، يتحدث علماء الفلك عن أبعادها فيذكرون أرقامًا تسابق الخيال ، وتنحسر دونها الأوهام؟

وكان الجواب : ولم القدرة وحدها التى لفتت الانتباه؟ إن القدرة صفة من بين صفات عُلى ، عرفت لذى الجلال والإكرام ، فقد تعد جملة على الأصابع ، وقد تذكر تفصيلاً فى أسماء الله الحسنى .

لكن لماذا جاوزت نفسك وتحدثت عن الكون الكبير؟ إن غلبة الصور المادية عليك ذهبت بك هذا المذهب السحيق ، ومع أنك على حق ، ففى نفسك التى بين جنبيك ما يستدعى تأملاً أعمق .

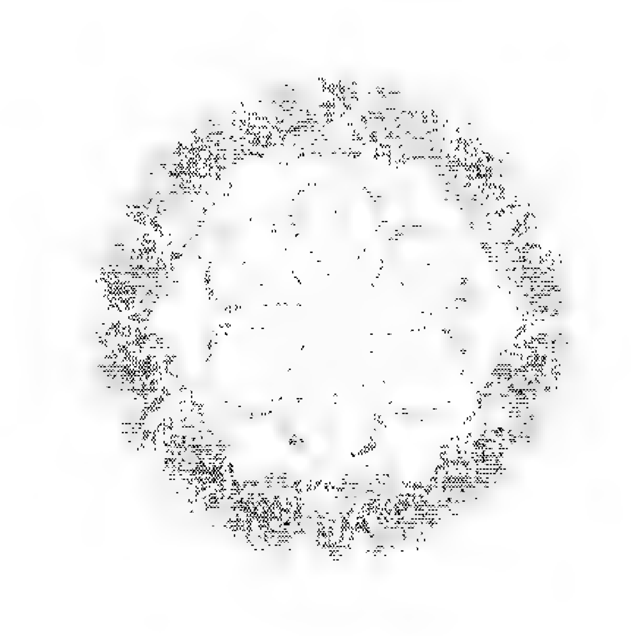
---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

إنك وغيرك من الناس تنامون وتصحون كل يوم ، وما يدرى أحد عن هذا السبات الذى أغلق الأجفان وجمد العقول شيئًا؟ أكثر من خمسة مليارات من البشر ، وأضعاف ذلك من الأحياء تنام ثم يعود إليها الوعى والنشاط . .!!

أين تذهب الأنفس عند الرقاد؟ ومن يردها إلى أجسادها نفسها دون خطأ فى طريق العودة؟ وماذا عن الرؤى الراشدة وعن أضغاث الأحلام؟ وتلوت الآية الكريمة : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾(1) .

لماذا يبرد إحساسنا بهذه الحقائق ، فلا نشغل فى دنيانا إلا بالصغائر؟ أظن الإلحاد أخس وأحقر رذيلة عرفها القدامى والمحدثون!!



(1) الأنعام : ٦٠ .

فى مسألة التعدد:

إنه خير للمرأة والرجل معًا..!

أثار بعض الكاتبين غبارًا حول مبدأ تعدد الزوجات ، وحاولوا تقييد ما أباحه الإسلام من ذلك أو منعه ، محتجين ـ تارة ـ بأن الإسلام لم تثبت فيه هذه الإباحة بصورة حاسمة ، وتارة أخرى بأن تطور الحياة وصالح الجماعة يقتضيان أن يكتفى الرجل بامرأة واحدة لا يعدوها ، وحسبه أن يوفق فى رعايتها وكفالة أولاده منها .

ولاشك أن هذه الأفكار تولدت فى بيئاتنا نتيجة عوامل شتى تحتاج إلى حسن النظر وقوة الرد ، ومنذ سنين حاول خصوم التعدد أن يستصدروا قانونًا بذلك ، ثم توقفت محاولاتهم أمام غضب العلماء وهياج الجماعات المشتغلة بالشئون الإسلامية .

وقد كتبت آنئذ كلمة فى طبيعة التعدد أرى إثباتها هنا بين يدى الموضوع الذى نتحدث فيه لما لها من صلة ظاهرة به .

للحياة قوانين عمرانية واقتصادية ثابتة تفرض نفسها على الناس حتمًا ، عرفوها فاستعدوا لمواجهتها ، أم جهلوها فظهرت بينهم آثارها . . وصلة الرجل الفرد بعدد من النساء من الأمور التى تبت فيها الأحوال الاجتماعية ويعتبر تجاهلها مقاومة عابثة للأمر الواقع ، ذلك أن النسبة بين عدد الرجال والنساء إما أن تكون متساوية ، وإما أن تكون راجحة فى إحدى الناحيتين ، فإذا كانت متساوية أو كان عدد النساء أقل فإن تعدد الزوجات لابد أن يختفى من تلقاء نفسه ، ويكتفى كل امرئ ـ طوعًا أو كرهًا ـ بما عنده .

أما إذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال فنحن بين واحد من ثلاثة . . إما أن نقضى على بعضهن بالحرمان حتى الموت ، وإما أن نبيح اتخاذ الخليلات ونقر جريمة الزنى . . وإما أن نسمح بتعدد الزوجات .

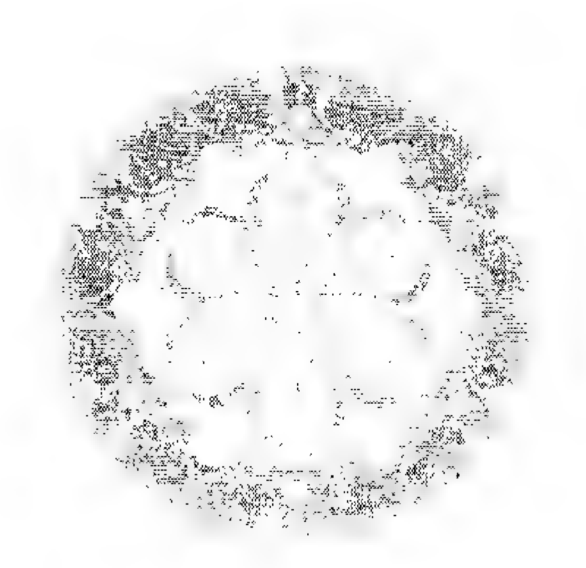
ونظن أن المرأة ـ قبل الرجل ـ تأبى حياة الحرمان ، وتأبى فراش الجريمة والعصيان ، فلم يبق أمامها إلا أن تشارك غيرها فى رجل يحتضنها وينسب إليه أولادها ، ولا مناص بعد إذن من الاعتراف بمبدأ التعدد الذى صرح به الإسلام . . ثم إن هناك اختلافًا كبيرًا بين أنصبة الرجال من الحساسية الجنسية ، فهناك رجال أوتوا حظًا من

كمال الصحة ويقظة الغريزة ونعومة العيش لم يؤته غيرهم ، والمساواة بين رجل بارد المشاعر من نشأته وآخر قريب الاستثارة واسع الطاقة أمر بعيد عن العدالة .

ألسنا نبيح لذوى الشهية المتطلعة مقادير من الطعام لا نبيحها للمعوزين والضعفاء . . فهذه بتلك ، ثم كلمة أخرى : قد تكون الزوجة على حال من الضعف أو المرض أو العقم أو تأخر السن فلماذا تترك لهذه الأعذار . . إن حق العشرة القديمة أن تبقى فى كنف الرجل وأن تأتى إلى جانبها امرأة أخرى تؤدى وظيفة الزوجة أداءً كاملاً .

ومن المبررات الكثيرة للتعدد أن الإسلام الذى أباحه رفض رفضًا باتًا أن يجعله امتدادًا لشهوات بعض الرجال وميلهم إلى المزيد من التمتع والتسلط ، فالغرم على قدر الغنم ، والمتع الميسرة تتبعها حقوق ثقيلة . . ومن ثم فلابد ـ عند التعدد ـ من تيقن العدالة التى تحرسه ، أما إذا ظلم الرجل نفسه أو أولاده أو زوجاته فلا تعدد هناك ، الذى يعدد يجب أن يكون قادرًا على النفقة اللازمة .

وإذا كان الشارع يعتبر العجز عن النفقة عذرًا عن الاقتران بواحدة فهو من باب أولى مانع من الزواج بما فوقها . . إن الشارع يوصى الشباب الأعزب بالصيام ما دام لا يستطيع الزواج ويأمر العاجز عن الواحدة بالاستعفاف ، فكيف الحال بمن عنده واحدة؟ إنه بالصبر أحق والاستعفاف أولى وكثرة الأولاد تتبع عادة كثرة الزوجات والإسلام يوجب رعاية العدل مع الأولاد فى التربية والتكريم ووسائل المعيشة مهما اختلفت أمهاتهم ، فعلى المكثر أن يحذر عقبى الميل مع الهوى ، وكذلك يوجب الإسلام العدل مع الزوجات ، وإن كان الميل القلبى أعصى من أن يتم فيه إنسان ، فإن هناك من الأعمال والأحوال ما يستطيع كل زوج فيه أن يرعى الحدود المشروعة وأن يزن تصرفه بالقسط ، وأن يخشى الله الذى استرعاه من أهل ومال .



الإسلام ومراعاة مشاعر المرأة !

مع ثبوت الخلع فى الكتاب والسنة فقد رأيت جملة من المشتغلين بالفقه يتجاهلونه ويرفضون إنهاء عقد الزوجية به سواء بالفسخ أو بإيقاع الطلاق ، وبعضهم يدخله فى الطلاق للضرر ! ويأبى أن يكون لمشاعر البغضاء عند المرأة وزن .

وقد عاصرت عهدًا كان القضاء الشرعى يأمر بإرسال الشرطة إلى أسرة الزوجة لإرغامها على الذهاب إلى بيت الطاعة كى تعاشر زوجها . وكانت الأسرة تقوم بتهريب الزوجة إلى مكان بعيد فرارًا من تنفيذ حكم القضاء !

وكنت أسأل نفسى : هل هذا هو تفسيرنا لقول الله سبحانه : ﴿ **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا** .. ﴾[1] ؟ .

إن من أبغض الأمور عندى تعريض الإسلام كله للرد والجحد بسبب اجتهاد خاطئ أو تعصب مذهبى ضيق !

وإذا كنا فى عصر تُلتمس العيوب فيه لديننا الحنيف . ويقال عنه : إنه قضى على شخصية المرأة ، واجتاح حقوقها المادية والأدبية ، فلماذا بالله نستبعد حكم الخلع من شريعتنا- وهو حق- ونزعم أن المرأة يقبض عليها لتساق إلى بيت هى له مبغضة ؟

وقد يرجئ القضاء العادل الرحيم إجابة المرأة إلى ما تبغى من خلع إيثارًا لمصلحة الأسرة والأولاد . وقد ينتظر نتيجة تحكيم يتدخل الأهلون فيه ابتغاء الإصلاح ! لكن المرأة إذا أبت إلا الفراق وردت ما سيق إليها من مال ، فما بد من تسريحها والاعتراف بمشاعرها ، وليس لنا أن نسأل عن الأسباب الخفية لهذه الرغبة لنقبلها أو نرفضها .

إن النبى ﷺ عندما رق لزوج بريرة ، وقدر محبته لها ذهب إليها يحدثها فى أن تعود إليه ، فسألته جئت آمرًا أم شافعًا؟ قال : جئت شافعًا ، قالت : فلا أعود ، ولم يتهمها النبى عليه الصلاة والسلام فى دينها ولا فى طاعتها لله ورسوله .

وامرأة ثابت بن قيس لم تتهم زوجها بأنه يشتمها أو يضربها أو يضيق عليها ، وإنما شكت بأنها تكرهه كراهية شديدة وصرحت بأنها ما تعتب عليه فى خلق ولا دين . إنها تكرهه وحسب ، فما معنى الزوجية والحالة هذه ؟ .

وما دخل رجال الشرطة هنا وكيف يحكم الإسلام باستبقاء الزوجة فى بيت تعده سجنًا وتعد صاحبه شخصًا بغيضًا .

---

(١) البقرة : ٢٣١ .

وإذا قدمت ما أخذت من مال فداء لنفسها فلم لا يؤخذ منها وتسترد حريتها؟ وهل تقام حدود الله فى بيت يسوده هذا الجو الخانق؟ وأى شرف للرجل فى هذه السيطرة ؟

إن الذين يتجاهلون الخلع لا يفقهون قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[1] والواقع أن ازدراء عواطف المرأة ، واستخدام القسوة لترضيتها بما لا ترضى ليسا من الإسلام ، ولا من الفقه . .!

إن الإسلام دين العدالة والمرحمة . ومن تصور أنه يأمر باسترقاق الزوجة والإطاحة بكرامتها فهو يكذب على الله ورسوله .

ولا يجوز للرجل أن يحرج امرأته ليكرهها على طلب الخلع ، أى يسىء عشرتها لتطلب الفكاك من أسره بأى ثمن ، قال الشيخ سيد سابق فى كتابه الجليل «فقه السنة» : يحرم على الرجل أن يؤذى زوجته بمنع بعض حقوقها ، حتى تضجر وتختلع نفسها ، فإن فعل ذلك فالخلع باطل والبدل مردود .

وإنما حرم ذلك حتى لا يجتمع على المرأة فراق الزوج والغرامة المالية ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** ﴾[2] والعضل هو التضييق والمنع .

ويرى الإمام مالك أن الخلع ينفذ على أنه طلاق ويجب على الزوج أن يرد البدل الذى أخذه من زوجته .

على أن الإسلام الذى صان كرامة المرأة وأعلى مكانتها يرفض رفضًا شديدًا أن تستغل المرأة ذلك للعبث والنشوز ، فإن البيت المسلم لا ينهض برسالته التربوية والاجتماعية إلا بالتعاون والتراحم وتبادل الحقوق والواجبات .

وإذا كان الرجل يكدح سحابة يومه ليقوم بأسرته فإن على أهله توفير السكن النفسى الذى يريح الأعصاب ويمسح المتاعب .

أما أن تطلب الزوجة الخلع لغير علة إلا البطر والأثرة فهذه جريمة وفى الحديث : «**أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة**» . وفى رواية لأبى هريرة : «**إن المختلعات هن المنافقات**» .

فلنعرف طبيعة شريعتنا وليكن وعينا بأحكامها صونًا لحياتنا الخاصة والعامة .

---

(١) البقرة : ٢٢٩ . (٢) النساء : ١٩ .

بعد مسيرة نصف قرن فى الدعوة.. الشيخ محمد الغزالى يقول:

هذه كلماتى للدعاة الجدد حتى تؤتى الصحوة ثمارها بإذن ربها

الداعية الإسلامى الكبير . . الشيخ محمد الغزالى ، صاحب تاريخ طويل فى مجال الدعوة الإسلامية . . تولى خلالها التدريس فى العديد من جامعات العالم الإسلامى ، وأثرى المكتبة الإسلامية بعشرات الكتب فى شتى شئون المعرفة الإسلامية التى تميزت بالانتشار والذيوع وإقبال الناس عليها بتقدير كبير .

وبعدما يزيد عن خمسين عامًا قضاها الشيخ الغزالى فى هذا الحقل المفروش بالأشواك ، المملوء بالألغام . . جاء هذا اللقاء معه لنسترشد برأيه فى العديد من القضايا الهامة التى تشهدها ساحة العالم العربى والإسلامى على السواء . .

● سألته : فى البداية ، ماذا عن حقيقة الصحوة الإسلامية التى يشهدها عالمنا اليوم ، وما هو مستقبل هذه الصحوة فى ظل الأحداث التى تمر بالعرب والمسلمين الآن؟ فقال :

■ هناك صحوة إسلامية مشرقة ، وإنكار ذلك هو الجحود بعينه ، بل هو خيانة للصديق ، وخدمة للعدو ، ولكنى أطالب دائمًا أن يكون المنتسبون لهذه الصحوة أصحاب آفاق واسعة وعقول ناضجة وثقافة عريضة ، فالإسلام دين تبحرت فيه الحضارة ، وهو دين قائم على العلم ، وإذا لم نكن على مستوى المسئولية التى أرادها الله ورسوله لهذه الأمة فإننا إذن نخادع أنفسنا .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾(١) .

وهذه الصحوة الإسلامية المعاصرة تكتنفها أخطار هائلة ، يشارك فى صنعها منصرون ومستشرقون وساسة وعسكريون وأدباء وإعلاميون ، وملاحدة وكتابيون ، ومصارحون ومداهنون وأناس من جلدتنا وأناس غرباء عنا . .

(١) فاطر : ٤٢ ـ ٤٣ .



ولست أخاف كل هؤلاء يوم يكون رجال الصحوة الإسلامية من معدن إسلامى صاف يجددون سيرة سلفنا الأول فيعملون بعقل مفتوح وقلوبهم ترنو إلى الله وحده .

لقد كادت الدعوة الإسلامية تعلن إفلاسها منذ قرنين تقريبًا ، بل لقد تركت الميدان خاليًا لشتى الملل والنحل تنشر الخرافة وتعلى راية الباطل ، ثم بدت تباشير صبح جديد وتيقظت الثقافة الإسلامية من سباتها تدافع بقوة وتمهد لغد أفضل .

ثقافة عاجزة

● تطرق فضيلتكم إلى اليقظة والوعى الثقافى الإسلامى ، فما هو الدور الذى تضطلع به الثقافة من أجل نهضة الأمة وتقدمها؟

■ فى رأيى أن الثقافة التى آلت إلينا فى القرون الأخيرة كانت ضحلة ، لا فى مجال المعرفة الدينية وحدها ، بل فى مجال الأداء الأدبى كذلك ، وأن هذه الثقافة كانت أعجز من أن تصنع أمة تنهض برسالتها ، وتخدم كتاب ربها وسنة نبيها . . كانت ثقافتنا فى العصور الأولى تصنع أجيالاً ، تحترم الحقائق وتعشق الفضائل . . وقد انخفض العلم الشرعى كغيره من العلوم الأخرى وتقوقع رجاله فى تخصصاتهم الدينية لا يمدون أنوفهم وراءها . . فالفقيه فى العبادات يحيا فى ميدان من الطهارات . . ولا ينطلق لعلوم أخرى دينية وحياتية . . وهكذا .

ولذا أقول : إن العلم بالدين كله لا يتم عن طريق التجزئة ، وأن الصورة الكاملة للإسلام إنما تتم على النحو السلفى الأول ، وأن العقل الإسلامى المعاصر يجب أن يرتفع إلى مستوى الشمول فى القرآن الكريم حتى يستطيع إعادة بناء الأمة الواحدة التى لا تَحُد رقعتها على سطح الأرض خطوط الطول والعرض .

ففى القرآن الكريم يقول الله تباركت أسماؤه : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ** . . ﴾[1] ويقول تعالى أيضًا : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾[2] .

وعرف المسلمون بالبداهة أن أمة العقيدة لا يحصرها مكان ، وأن إخوان العقيدة لا يحدهم جنس ، وأن المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه ، وأن المسلم إذا استبيح دمه على شاطئ المحيط الهادئ فى الفلبين يجب أن يتحرك له أخوه على شاطئ

---

(١) الزمر : ١٠ .

(٢) العنكبوت : ٥٦ .

الأطلسى فى المغرب والسنغال ونيجيريا ، وأن المسلمين كما قال نبيهم : «**تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**» .

هل يفلحون؟

● ما رأى فضيلتكم - فيما يحدث الآن - بالمسجد الأقصى من منع للصلاة فيه ، والحراسة اليهودية الدائمة له؟!

■ أجاب القرآن الكريم عن هذا التساؤل فقال : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا** .. ﴾[1] وأعمال اليهود بأذى المسجد الأقصى شديدة الخطورة ، وتصورها تصور مظلم للعرب والمسلمين جميعًا ، لأن اليهود لا يمنعون الصلاة فحسب ، بل يعدون العدة لهدم المسجد وبناء هيكل سليمان «المزعوم» وهم يصرحون بذلك دون حياء ، وقد تمت عدة محاولات لتنفيذ هذه الجريمة ، ولكن الله هو الذى يحرس حرماته وبيوته . والغريب أن فى «العهد القديم فى سفر حزقيال» إيماء ببناء الهيكل على نحو معين استغرق الوصف فيه قرابة صفحتين! .

ولم نفهم معنى الإشارة

● هل تعتبر قضية المسجد الأقصى ، قضية عربية ، أم قضية إسلامية؟

■ إن قضية فلسطين منذ بداية التاريخ قضية إسلامية ، ومهما كان سكان بيت المقدس فإن القضية لا تتغير ، والتاريخ يحيى أطوارها منذ بدء إنشاء أورشليم و«شليم» هو «سليم» كما ينطق اليهود موسى «موشى» . وظل بيت المقدس يتداول بين اليهود والفاتحين عدة قرون ثم آل إلى العرب منذ خمسة عشر قرنًا إلى منتصف هذا القرن ، وربما استطاع الفرنجة أن يستولوا عليه نحو ٩٠ سنة ولكن المسلمين بقيادة صلاح الدين استردوا القدس فى معركة «حطين» التاريخية المشهورة .

وحلم اليهود أن يستولوا على بيت المقدس وينشئوا دولتهم المزعومة «إسرائيل الكبرى» من الخليج إلى المحيط حتى يستعبدوا العالم أجمع . وهذا الحلم هو محصلة نبوءات كثيرة فى كتبهم الدينية ، ومن هنا قال «وايزمان» : إن «بلفور» عندما أعطانا وعد تملك فلسطين كان يترجم ما فى العهد القديم ؛ لأن «البروتستانتى» يرى أن العهد القديم واجب النفاذ!!

---

(١) البقرة : ١١٤ .

و«بلفور» كان رجل دين أولاً ثم رجل سياسة ثانيًا ، وهذه معلومة لا يفهمها كثير من الناس . . ولكن المسلمين فى نوم عميق وسبات طويل .

النجاة.. فى تصحيح الانتماء

● ذكر ـ فضيلتكم ـ الانتماء الإسلامى . فما هو مفهوم الانتماء؟ وما هو واجب المسلمين نحو قضية الانتماء الإسلامى . . كما ترونها؟

■ من واجبى ـ فى البداية ـ أن أنصف الانتماء الإسلامى ، الذى أُلْحقت به هزائم شتى ، فهذا الانتماء حقيقة شريفة القدر ، ممتدة الأثر ، موصولة بأعظم تراث فى الوجود ، «فالقرآن» هو الوحى من أزل الدنيا إلى أبدها ، وكل ما خالفه مبتور الصلة بالسماء .

و«محمد» هو الإنسان العظيم لأشرف سيرة وأصدق بلاغ ، وهو أعلى قمة فى تاريخ الأحياء .

و«الإسلام» هو المنهج الذى توارث النبيون الدعوة إليه ، وقيادة البشرية نحوه ، فكيف يكون الانتماء إليه خفيض الصوت أو ذليل الجانب أو موضع الإهمال؟ وكيف تتقدمه أو ترجح عليه دعوات وطنية أو نزعات عرقية؟!

إن الاستماع إلى هذه الدعوات والنزعات قطع لأوصال المسلمين ، وجعل الأمة الواحدة أممًا متناكرة ، وتمكين لذئاب الاستعمار العالمى من الانفراد بكل أمة والإجهاز عليها ماديًا وروحيًا .

ولن نستعيد مكانتنا ونصون رسالتنا إلا إذا صححنا انتماءنا ، وأصغينا إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[1] .

إن اليهودى فى أية قارة يرفع رأسه بانتمائه ويقول دون حذر أو خجل : أنا يهودى!! حتى السيخ فى هذه الأيام رأوا أن يكون لهم انتماؤهم الخاص بهم!!

إن العمل للوحدة الإسلامية شرف عظيم ومجد شامخ ، ويجب أن يدرك العرب قبل غيرهم من الأجناس التى تكون الأمة الإسلامية الكبرى هذه الحقيقة ، وأن يكون ولاؤهم لدينهم لا لجنسهم .

● ماذا تقولون من خلال تجربتكم الطويلة فى حقل الدعوة للعاملين الآن فى مجال العمل الإسلامى؟

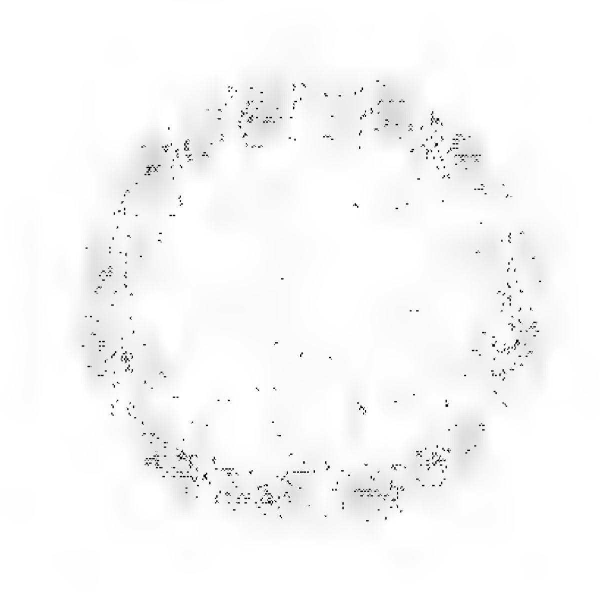
---

(١) الأنبياء : ٩٢ .

■ على الدعاة الجدد فى هذا الميدان أن يتجنبوا النكسات حتى لا يقدموا أرض الإسلام غنيمة باردة للمتربصين بالإسلام . وإننى لا أحب أن أرى الدعاة يبدءون العمل من الصفر ، غير منتفعين بما حدث لإخوانهم الدعاة والعلماء ولا يقبل فى هذا المجال الاعتذار بحسن النية ، وإذا كان الجهل بقوانين البشر لا ينجى من اللائمة فإن الجهل بسنن القدر أسوأ عقبى ، ومن هنا رأينا كيف كان الحساب شديدًا للمنهزمين فى «أحد» ، قيل لهم دون مواربة لما سألوا عن سر الهزيمة ، ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾[1] .

إن أى يقظة إنسانية إنما تنهض بدءًا وختامًا على حدة العقل وصفاء القلب ، والإسلام أنهض العرب وحلق بهم فى الآفاق لأنه أنعش هذه الملكات الإنسانية وأطلقها تسعى .

ومن خلال تجربتى أقول للدعاة الجدد فى هذا الميدان إن الصحوة الإسلامية الحاضرة ينبغى أن ترتسم الخطى الأولى . فإننى أؤمن أن العون الأعلى يظفر به المجتهدون ، فعلينا أن نجتهد فى ترشيد صحوتنا المعاصرة حتى تؤتى ثمارها بأمر ربها .



(١) آل عمران : ١٦٥ .

العبادات ومدلولها الأخلاقى ..!

العبادات التى شرعت فى الإسلام واعتبرت أركانًا فى الإيمان به ليست طقوسًا مبهمة من النوع الذى يربط الإنسان بالغيوب المجهولة ، ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معنى لها ، كلا فالفرائض التى ألزم بها كل منتسب إليه ، هى تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحية وأن يظل مستمسكًا بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف :

إنها أشبه بالتمارين الرياضية التى يقبل الإنسان عليها بشغف ، ملتمسًا من المداومة عليها عافية البدن وسلامة الحياة ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان -بوضوح- عن هذه الحقائق ، فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها فقال : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[1] فالابتعاد عن الرذائل والتطهر من سوء القول وسوء العمل ، هو حقيقة الصلاة ، وقد روى فى حديث يرويه النبى عن ربه : «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب**» ، والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب بل هى -أولاً- غرس لمشاعر الحنان والرأفة وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات .

وقد نص القرآن الكريم على الغاية من إخراج الزكاة بقوله : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾[2] .

فتنظيف النفس من أدران النقص ، والتسامى بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى .

ومن أجل ذلك وسع النبى ﷺ فى دلالة كلمة الصدقة التى ينبغى أن يبذلها المسلم فقال : تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة» .

وهذه التعاليم فى البيئة الصحراوية التى عاشت دهورًا على التخاصم والتمزق تشير إلى الأهداف التى رسمها الإسلام ، وقاد العرب فى الجاهلية المظلمة إليها .

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) التوبة : ١٠٣ .

وكذلك شرع الإسلام الصوم ، فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة ، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة .

وإقرارًا لهذا المعنى قال الرسول ﷺ : «**من لم يدع قول الزور ، والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**»!!

وقال : «**ليس الصيام من الأكل والشراب ، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد ، أو جهل عليك ، فقل : إنى صائم**» .

والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1] .

وقد يحسب الإنسان أن السفر إلى البقاع المقدسة ، الذى كلف به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام ، يحسب الإنسان هذا السفر رحلة مجردة عن المعانى الخلقية ، ومثلاً لما قد تحتوى الأديان أحيانًا من تعبدات غيبية ، وهذا خطأ ، إذ يقول الله تعالى- فى الحديث عن هذه الشعيرة :-

﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾[2] .

هذا العرض مجمل لبعض العبادات التى اشتهر بها الإسلام ، وعرفت على أنها أركانه الأصيلة ، تستبين منه متانة الأواصر التى تربط الدين بالخلق .

إنها عبادات متباينة فى جوهرها ومظهرها ، ولكنها تلتقى عند الغاية التى رسمها الرسول ﷺ فى قوله : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» .



---

(١) البقرة : ١٨٣ .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

هل تعامل المرأة فى بلادنا وفق تعاليم الإسلام؟

الأستاذ محمد الغزالى من العلماء المعروفين بالرأى الجرىء والحجة القوية ، وقد كرس جانبًا كبيرًا من كتاباته للتأكيد على الأبعاد الحضارية للدين الإسلامى والتصدى لأصحاب النظرة الضيقة من المتزمتين والذين لا هم لهم إلا إغلاق أبواب الاجتهاد فى الدين . وهو هنا يطرح قضية تحتاج إلى وقفة طويلة من القراء ، لأنها تمس جانبًا من أهم جوانب حياتنا الحاضرة وتتعلق بوضع المرأة فى العالم الإسلامى .

المحرر

هل عوملت المرأة فى العالم الإسلامى وفق تعاليم الإسلام؟ ما أظن!

إن الحاكم فى مستدركه روى حديثًا موضوعًا حكم العالم الإسلامى أكثر من ألف عام ، يقول هذا الحديث : **لا تعلموا النساء الكتابة ، ولا تسكنوهن الغرف** . . أى إذا كان البيت مكونًا من طبقات لم يجز إسكان النساء فى الطبقات العليا ، حسبهن ظهر الأرض أو تحتها إن أمكن!!

لم يجز إسكان النساء فى الطبقات وتطبيقًا لهذا الحديث المكذوب لم تفتح مدرسة لتعليم البنات فى قرية أو مدينة خلال القرون الماضية ، وأصبح تثقيف النساء من الفضول ، بل من المناكر المحظورة . .!!

وروى عبدالله بن عمر قول رسول الله : «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» ، وفى رواية أخرى : «**ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد**» .

فقال ابنه معترضًا التوجيه النبوى ، إذن يتخذنه دغلاً ـ أى مهربًا لاقتراف المفاسد ـ والله لنمنعهن!!

فوكز عبدالله ابنه فى صدره ، واشتد عليه غضبه ، وقال : أقول قال رسول الله وتقول : لا . . وقاطعه إلى آخر حياته . .

والغريب أن العالم الإسلامى لم يكترث لرواية ابن عمر ـ على صحتها وتبع رأى الولد السيئ الأدب!!

ارتياد النساء للمساجد

ويوجد حظر على ارتياد النساء للمساجد . .

وبعد جهاد سنين طويلة للسماح بصلاة المرأة فى المسجد أمكن فتح أقل من ١٠٪ من بيوت الله لإماء الله ، أما الكثرة الساحقة من مساجد القرى والمدن فهيهات أن يدخلها النساء . .!!

كنت فى دولة الإمارات المتحدة ، وشاركت فى قضية جديرة بالعرض ، نشرتها جريدة الاتحاد على هذا النحو : قال الأستاذ مصطفى شردى : نحن فى إحدى أمسيات الثلاثاء بمسجد سعد بن أبى وقاص . . . انتهى المحاضر من حديثه وبدأ التحاور .

سؤال جاء من الشرفة المخصصة للسيدات ، تقول صاحبة السؤال إنها متزوجة منذ سنوات . . من رجل له أكثر من زوجة . وإن زوجها لا يسمح لها بزيارة أبيها ورعايته بين الحين والآخر ، على الرغم من أن الأب مسن وحيد ويحتاج إلى الرعاية والعناية ، والشعور ببر الأبناء ، فهل تطيع الزوج وتهمل واجب رعاية الأب ، أم تخالف زوجها وتطيع قلبها وتكون بارة بوالدها؟

أثار السؤال الهمس ، ثم سكت الجميع انتظارًا لما سيرد به المحاضر وهو عالم فاضل ، وكان من الواضح أن السؤال مس أوتارًا فى العديد من القلوب ، وأعتقد أن قلب المحاضر من بينها ، حمد الرجل الله وأثنى على الرسول الكريم ، وتحدث عن التزام الزوجة بطاعة الزوج ، وكيف أن الإسلام شدد على الوفاء والتمسك بهذا الالتزام لصلاح الأسرة وسلامة المجتمع ، وطالب الزوجة بأن تضاعف من جهدها لإقناع زوجها حتى يسمح لها برعاية أبيها ، إلا أنه اختتم إجابته برأى محدد . اجتهد فيه فقال : إنه فى حال تمسك الزوج بموقفه القاسى الغريب دون مبرر مقبول ، فإنه على الزوجة أن تبادر إلى زيارة أبيها ورعايته وتقديم حنانها إليه ، لأن النص القرآنى بشأن بر الوالدين واضح وقاطع وصريح ، ولأن لهذا الزوج بالذات أكثر من زوجة تخدمه وترعاه إذا غابت عنه واحدة لأداء واجب البر والإحسان تجاه والد عجوز مريض ضعيف أمرها الله بأن ترعاه وتحسن إليه .

انتهى المحاضر من إجابته فاشتد الهمس وبين الحاضرين عدد كبير من المتزوجين بأكثر من واحدة وقد رأوا فى إجابة المحاضر تحريض للزوجات على عدم الالتزام بأوامر الزوج ، حتى ولو كانت متعارضة المنطق ومتضاربة مع المعقول .

وبدأ فريق من الحاضرين يناقشون الرأى بأعصاب توشك على الانفلات ، فقالوا : إن رأى المحاضر يتعارض مع تعاليم الإسلام! ولابد من التراجع عنه ، لأن طاعة الزوج

واجبة قبل أى اعتبار آخر ، وتمسك المحاضر برأيه وكادت تهب عاصفة من الاحتجاجات بسبب هذا الرأى ، إلى مهاترة لا يسمح بها .

المهم أننا انصرفنا من المسجد والسؤال معلق بين الآراء التى اختلفت عليه!

كان مطلوبًا من الشيخ المفتى أن يغير فتواه ، وأن يحكم بحبس المرأة فى البيت ولو مات أبوها! وأيد ذلك الاتجاه أن متفيهقًا ذكر حديثًا معناه : أن الله رضى عن زوجة بقيت فى بيتها حين توفى والدها فلم تعده فى مرضه الأخير لأن زوجها كان فى سفر فلم يأذن لها بالخروج من البيت . . .

قلت : هذا حديث مكذوب واستغربت أن يطلب من امرأة ما باسم الإسلام أن تعق أباها ، وتقطع صلتها ، وتدعه يموت مستوحشًا لأن هذا حق رجلها! وعندما تفقد المسكين عاطفة البنوة فماذا يبقى من كيانه الإنسانى فى بيت الزوجية؟ إنها ستكون أسيرة فحل يملك أمرها وقهرها . . وحسب!

وفى الأرياف كان أغلب النساء يفقد ميراثه الشرعى ، فتقسم الأرض على الذكور وحدهم ، ويقول الأخوة الذين اجتاحوا الأرض : كيف نترك غريبًا ينال بأرض أبينا؟ يعنون بالغريب زوج أختهم!

فإذا حدث أن طالبت الأخت بنصيبها الشرعى قاطعها إخوتها إلى الأبد . . والأسر الشريفة لها تقليد عجيب - أعنى الأسر التى تدعى الانتساب إلى البيت النبوى - فالمرأة تموت عانسًا بائسة إذا لم يجئها الكفء من الأشراف ، أما الرجل فله حق الزواج من الأوروبيات والأمريكيات!

ليست دعوة إلى تقليد الغرب

وروى البخارى عن الرُّبيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبى ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة .

ويبدو أن هذا التقليد كان قصير العمر جداً ، فاستخفى فى أيام الحرب والسلم على سواء . . وتعتمد المستشفيات فى العالم الإسلامى اليوم على الممرضات الأجانب ، وإذا كان النساء قد منعن المساجد أفكان يؤذن لهن بالذهاب إلى ميادين القتال؟

ولا أريد أن يفهم غر أنى راغب فى نقل معالم الحضارة الغربية إلى مجتمعاتنا ، فهذه الحضارة تجمع خليطًا من التقاليد الحسنة والتقاليد الرديئة .

وإنما أريد إعمال النصوص المكتوبة والمفهومة من سيرة الرسول ﷺ ، وسلفه الأول ، وهذا مسلك يعجز عنه أصحاب الخبل والشذوذ . . لقد رأيت فى قضية المرأة أحاديث موضوعة ، وأحاديث واهية صححها الغرض المدخول ، وأحاديث صحيحة حرفت عن موضوعها .

واستغربت وأنا أقرأ لبعض الفقهاء أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام أو المسجد النبوى!

وقلت : لو كان الأمر كذلك فلم أشرف الرسول على تنظيم صفوفهن فى مسجده ، ولم جعل لهن بابًا خاصًا بهن ، ولم ذهب إليهن فعلمهن وحثهن على الصدقة ، ولم حذر «البعض» من أن يحرص على القرب من صفوفهن؟؟

الواقع أن المرأة أولى بها أن تصلى فى البيت إذا كانت مسئولية التغذية أو التربية تفرض عليها ذلك ، أما إذا تخففت من هذه الواجبات لسبب أو لآخر فلا يمنعها بشر من الذهاب إلى المسجد ليلاً أو نهارًا ، أى إن صلاة الجماعة ليست مؤكدة فى حقها كالرجال ، وليس يفيد ذلك فرض حصار قاتل على حياتها العملية والعبادية ، وتحويلها إلى مسخ لا مكان له فى دنيا ولا دين ، كما انتهت بذلك الأوضاع الاجتماعية فى العالم الإسلامى .

عندما فتح النبى ﷺ مكة خرج النساء لمبايعته ، وتلقى تعاليم الإسلام منه ، ولم يحتبسن فى بيوتهن قعودًا عن هذا الفرض ، أى إن علاقة المرأة بالحياة العامة كانت قائمة ، وكانت ـ من الناحية العملية ـ تسير فى خط يحاذى علاقة الرجل ، ولا يتطابق معه . .

وقبل فتح مكة اهتدت نساء كثيرات إلى الإسلام ، ورفضن البقاء مع أزواجهن الكفار فقررن الهجرة إلى المدينة .

وحدث ذلك فى وقت كان المسلمون فيه ملزمين برد كل من يلحق بهم من مكة فارًا بدينه ـ تنفيذًا لمعاهدة الحديبية .

ولكن القرآن نزل يستثنى النساء من ذلك الحكم فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ . . ﴾(١) .

---

(١) الممتحنة : ١٠ .

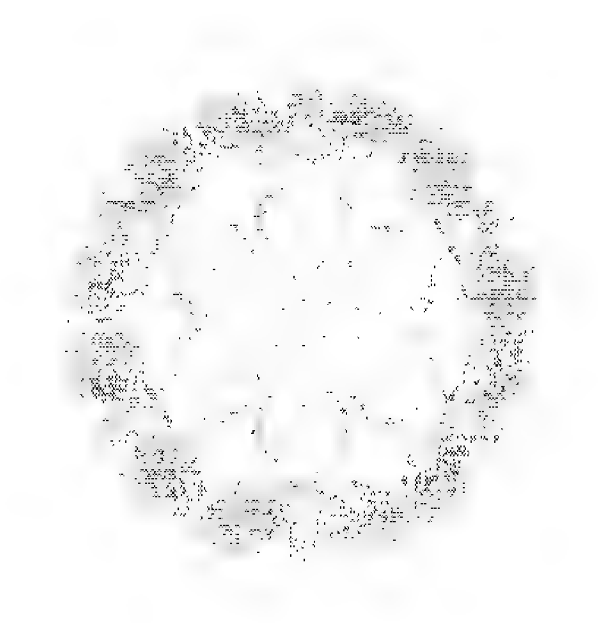
شخصية مستقلة..

وورد أن عمر بن الخطاب كان فى ذلك الامتحان يحلف المرأة المهاجرة : «بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض! وبالله ما خرجت من بغض زوج! وبالله ما خرجت التماس دنيا! وبالله ما خرجت إلا حبًا لله ورسوله . .» .

ماذا ترى فى هذا القسم؟ وفيمن أدته؟ ألا ترى شخصية مستقلة واضحة الوجهة محترمة المسلك ، تحارب وتسالم وتقيم أو تسافر وفق ضميرها وتفكيرها؟ .

أين هذه الشخصية التى واثقت الرسول فى مكة ، والتى هاجرت إليه فى المدينة ، من شخصية المرأة المسلمة فى القرون الأخيرة؟

المرأة التى لا تعرف كتابًا ولا إيمانًا ولا صلاة ولا ثقافة عامة ، بل التى يعتبر من العيب الفاضح أن يعرف بها اسم ، أو يبدو لها شبح؟؟ لأنه لا وظيفة لها إلا إعداد الطعام ، وإرضاء البعل . .!



المسلمون اليوم ليسوا على مستوى رسالتهم!

الشيخ الغزالى أحد الدعاة المعروفين والمفكرين البارزين الذين أسهموا إسهامًا حقيقيًا فى العمل الإسلامى ، فللشيخ جهوده التى تعددت وتنوعت عبر ساحة الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامى ، من أجل تأصيل كثير من المفاهيم لعل فى مقدمتها الطريقة الصحيحة لفقه الإسلام بتوازن وشمولية وعقل ووجدان . وفى هذا السياق قدم الغزالى كتابه : «كيف نفهم الإسلام» . ولأنه من الذين يؤرقهم مستقبل الأمم الإسلامية فقد كتب : «المسلمون يستقبلون القرن الخامس عشر» . . وقد رأى الشيخ أن من أسباب تخلف المسلمين عدم استيعابهم لحياة رسول الله ﷺ ، وتعاملهم معها دون فقه ، فأخرج كتابه : «فقه السيرة» الذى طبع عشرين طبعة . ووقف الغزالى على أخطاء المسلمين البدعية الكثيرة فى حق دينهم ، فكتب كتابه : «ليس من الإسلام» . كذلك فإن للشيخ جهوده فى مواجهة الزحف التنصيرى ، وأيضًا مواقفه الجريئة ضد الغزوات الفكرية والدعوات العلمانية والشيوعية . لهذا وغيره فإن الحوار مع الشيخ محمد الغزالى يضعك فى مواجهة نصف قرن من العمل الدعوى والجهاد الفكرى ، ضمها أكثر من (٣٨) مؤلفًا ، حملت ملامح الفكر الإسلامى واستشرف صاحبها مستقبل الأمة الإسلامية الذى يظل هو محور فكر واهتمام الرجل . . إن ثمة آراء كثيرة للشيخ الغزالى فى : «وسائل الدعوة» ، وفى «التعليم الإسلامى» ، وفى طريقة عرض الإسلام على الآخرين ، وفى قضايا أخرى متصلة بالدين والحياة ، يتناولها الحوار التالى مع فضيلته ، وهى من قبيل (هموم داعية) تصدر عن غيرة حميدة ، وعقل متفتح ، وفقه أصيل بالإسلام .

أمراض الأمة ومحاولات العلاج

● فى بداية اللقاء أثرنا مع الشيخ ما تعانيه الأمة من أوضاع متردية وأمراض مستعصية لم تفلح معها كل محاولات العلاج ، وقد سألنا الشيخ عن أسباب هذه الأوضاع وعن عوامل الفشل فى مواجهة علل الأمة ، فأجاب بقوله :

■ الأمراض التى نشكو منها والتى أصابت أمتنا على امتداد مساحتها الجغرافية ترجع إلى رافدين :

* رافد قريب منا ونحن الأساس فيه وهو ما انحدر إلينا من مواريث فكرية سيئة عبر تاريخنا الإسلامى الطويل الذى يتأرجح خطه البيانى بين الصعود والهبوط ، ففى عصور الانحدار الحضارى والثقافى فى تاريخنا تكونت تيارات آسنة استطاعت أن تبقى بين طبقات من الأمة ، وأن تظل تنحدر حتى تصل إلى عصرنا هذا ، تاركة موجات فكرية رديئة وأحوالاً نفسية سيئة .

* والرافد الآخر : هو سوء اقتباسنا من الحضارة الحديثة ، التى استطاعت أن تصبغ العالم كله بصبغتها ، ويظن عدد كبير من الناس أن التحضر والتمدين أن يسكن الواحد فى ملابس هذه الحضارة أو يأكل بالطريقة التى يأكل بها أولئك المتحضرون ، أو أن يسرف فى الملذات على النحو الذى يسرفون به على أنفسهم!!

والتقى الرافدان معًا فى أيامنا هذه فوجدنا المتناقضات ، وجدنا من لايزال يحارب المعتزلة ووجدنا من ينقل من هوليود أسوأ ما فيها!

إن هذه المتناقضات فى الأمة الإسلامية تحتاج إلى يقظة فكرية عند من يعالجون أمرها ، والأمر يحتاج إلى أن نحسن التشخيص فنعرف ما كان من مواريثنا ونحاكمه إلى كتابنا (القرآن الكريم) فإن هذا الكتاب جاء شفاء للناس ودواء لعللهم ، وليكون طريق حضارة استطاعت أن تسود العالم كله عدة قرون ، وعندما لم نفهم هذا ولم نعمل به تخلفت الأمة واشتد بها البأس .

كذلك لابد أن ننظر إلى ما نقتبسه من الآخرين ، ولنعلم أن أوروبا لم تنتصر بملابسها ولم تنتصر بمآكلها ، إنما انتصرت بالتجربة والاستقراء والتأمل والملاحظة للكون والتسخير لقواه والالتفات لما فيه من خير ، ولابد أن نستفيد من تجارب الآخرين ، ونتعامل مع الكون على هذا الأساس .

إن الأمة الإسلامية مصابة بأمراض متناقضة ومتضادة ولذلك يجب أن يكون التشخيص دقيقًا ، وإذا عرفت العلة عرف العلاج .

نحن لم نحسن التشخيص

● ولكن . . هل يدل استمرار هذه الأمراض واستفحالها على أنها أقوى من العلاج وكل الحلول المطروحة؟

■ الذى حدث أن عددًا كبيرًا من الناس لم يحسن التشخيص ، فجسم الأمة يشكو من شدة الألم ، لكن لا يدرى عن الجراثيم التى حملت إليه العلة ، ونحن نتألم من

مصابنا لكننا لم تكن لدينا القدرة على مصارحة النفس ومراجعة الذات ، ولم نعترف بخطأ موقفنا من مواريثنا ولا نبالى أن ننقل من أيام الانحدار ما يزيدنا انحدارًا فى هذه الأيام .

كذلك لم نفرق بين الغث والسمين فى الحضارة الحديثة ، ولم نحسن الاستفادة من خيرها ، وتجنب شرها .

توحيد الأمة..أولى القضايا

● من بين ما تعانى منه أمتنا من مشكلات وهموم : عدم ترتيب أولويات القضايا المطروحة ، فما القضية التى يتوجب أن يوليها المسلمون اهتمامهم بالدرجة الأولى؟

■ نحن المسلمين يجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا ، لقد حملنا رسالة الحياة لأنفسنا وللخلق كلهم ، فلماذا فرطت هذه الأجيال فى الرسالة الخالدة؟ ولماذا تفرق المسلمون وأصبحوا ليسوا على مستوى رسالتهم؟ فى اعتقادى أن أول شىء نلتقى عنده ونجمع القوى عليه هو الرغبة فى توحيد الأمة الإسلامية وراء رسالتها الأولى ، مع طرح الخلافات الجانبية والمطالب الجزئية والأفكار الثانوية ، فلا حل ولا علاج لمشكلات الأمة بدون تحقيق هذا الهدف الذى نلتقى عليه ونحاول أن نصل إليه .

وأريد أن أنبه المسلمين إلى أمر هام وهو أن طالب الحياة يستطيع أن يتغاضى عن بعض العراقيل الموجودة فى الطريق ؛ لأنه حريص على حياته وعلى ما يوفر لها البقاء والامتداد . والمشكلة أننا نحن الذين نضع العراقيل بأيدينا ، فنتقاتل على قضايا ثانوية ، وتشغلنا الأفكار التافهة والفروع الفقهية والحواشى العقائدية . . وكل هذا من الممكن أن يتلاشى من نفسه لو أننا استشعرنا جلال الهدف الكبير الذى يشد قوانا كلها إليه ، وهو الرجوع إلى الحق وإحياء لرسالتنا وتوحيد كلمتنا .

عواطفنا فى غياب العقل

● أثبتت الأحداث الجارية أن الدول الإسلامية تعالج قضاياها المصيرية وفقًا لرصيد العاطفة المخزون لديها ، فهل يمكن لأمة أن تنتصر بتحكيم عواطفها فقط؟!

■ العاطفة شىء لابد منه فى الكيان الإنسانى ، وإنما تعاب العاطفة يوم تكون متحركة فى غياب الفكر العقلى ، أما أن يكون العقل متحركًا وليست وراءه عاطفة فسيكون عقلاً آليًا ولن يتجاوز مكانه .

نحن نريد أولاً أن نفحص بعقولنا ما يسود من أفكار وما يسيطر على حركاتنا من تيارات ، فإذا أمكننا أن نعرف الصواب أحببناه وحشدنا له ما لدينا من مشاعر ، إن اليهود ، وهم شعب لا يوصف بأنه عاطفى ، ربطوا أنفسهم بحائط المبكى استثارة للمشاعر والنزعات الإنسانية الدفينة نحو ماض وأمجاد يدَّعونها ويريدون استعادتها كما يخططون لذلك .

نقول إنه إذا تحركت عواطفنا نحن المسلمين وراء عقولنا ووراء فكر ناضج يحدد لنا أهدافنا ، فنعمّا هذه العواطف ونحن نريدها ونسر بها ، أما العواطف الصبيانية أو التلقائية الَتَى تولد لأن بعض الرغبات المادية أجيبت أو بعض الأهداف القريبة تحققت ، فإنها عواطف لا خير فيها .

التحدى الحضارى وكيف نواجهه؟

● القضية المطروحة على العقل المسلم بإلحاح هى كيف يواجه المسلمون التحدى الحضارى المفروض عليهم فى هذا العصر؟ وهل أسهمت كتاباتكم فى تحديد أطر هذه القضية؟

■ إننا نعيش الآن فى القرن الخامس عشر للهجرة ، وهذا يعنى أن ديننا قطع فى مسيرته التاريخية زمنًا طويلاً وقد كنا فى موقع «أولى الأمم» خلال خمسة قرون تقريبًا ، وانفردنا بهذه الأولية خلال هذه المدة ، ثم شاركتنا فيها دول أوروبا خلال الحروب الصليبية تقريبًا ، فكانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم وكانت القوى متكافئة ، ثم استطاع الأتراك أن يقودوا الحركة الإسلامية وكانت قيادتهم إسلامية فى أول الأمر ، فنجحوا فى دخول القسطنطينية وتحويلها إلى عاصمة إسلامية ، كما نجحوا فى الوصول إلى «فيينا» وسط أوروبا . . لكن سرعان ما سرت فى كيان الدولة عناصر الهدم فسقطت وكان سقوطها بسبب خارجى وهو انقضاض الغرب على هذه الدولة ، وسبب داخلى وهو الفجوة التى كانت موجودة بين العرب والترك ، ففى اعتقادى أنه لا يمكن لأمة أن تنجح بقوة عسكرية فقط ، وإنما لابد من وجود القوة الروحية إلى جانب القوة العسكرية والثقافية والعقلية . لقد نشر المسلمون الأوائل الإسلام مع عروبته ومع حضارته ومع قوته المادية والأدبية . أما الأتراك فإن انعزال العرب عنهم جعلهم يعتمدون على القوة العسكرية فقط ، ولذلك كان انسحابهم من مواقعهم انسحابًا عسكريًا لم يترك وراءه شعوبًا تناضل وتدافع عن حقها بالجبروت الذى كان ينبغى أن تعالج نفسها به كما حدث فى أفريقيا وفى بلاد الهند والسند .

من هنا تخلفنا ، فقد بدأ تخلف الأمة منذ سقوط الخلافة الإسلامية ، والعصر الذى نعيشه يشهد تخلفًا حضاريًا واضحًا فى شئون الدنيا والشئون الإنسانية والاجتماعية ، ويكاد غيرنا يكون أقدر منا على تدبير أمره بالشورى وبالفكر ، وأقدر منا فيما يسمى حماية حقوق الإنسان .

ومع ذلك فإن الأمة التى تعيش فى قاع تاريخها لا تنسى أمجادها الأولى ولا تريد أن تبقى فى الوحدة التى انحدرت إليها ، فهى تسعى إلى أن تعود إلى ما كانت عليه ، تسعى إلى أن تستعيد ما فقدت وقد تصل قريبًا أو بعيدًا وفق نشاطها ووفق تحديد الهدف الذى تريد أن تصل إليه .

وأظن أن ما كتبت إلى جانب ما كتبه الآخرون يسهم فى إيقاظ العقل المسلم الغافل ويرد إليه رشده ، فلا أبخس نفسى ولا أبخس الآخرين حقوقهم فى أنهم يبذلون الآن جهودًا حسنة فى إعادة الأمة إلى صوابها أو إعادة الصواب إلى أمتنا حتى تسترجع ما افتقدته .

التجديد فى الدين يحتاج إلى ضبط

● يتصل بالقضية السابقة سؤال حول موضوع التجديد فى الدين ، فهل تنطوى هذه القضية - فى رأيكم - على محاذير؟ وماذا يعنى التجديد فى الدين إن لم يكن يعنى التغيير؟ ومن هو المجدد فى نظركم؟

■ كلمة التجديد تحتاج إلى ضبط ، فإذا كان المقصود بالتجديد إعادة الإسلام إلى ما كان عليه بغسله من الشوائب التى علقت به ، فهو تجديد محمود ، وإذا كان المقصود بالتجديد الإتيان بقطع غيار أخرى من أنظمة أخرى لكى تحل محل أنظمة معطوبة عندنا فهذا مرفوض . . فالإسلام دين اكتمل وتم فيه كل شىء بإرادة الله :﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[1] .

لكن الذى يحدث - كما ذكرت ذلك فى بعض كتبى - هو أن الوحى الإلهى ينزل من السماء كما ينزل المطر فى المجرى الأعلى للنهر نقيًا لا غبار فيه ولا كدر ، ثم إذا شق طريقه فى الأرض حمل الأتربة والشوائب والأخلاط بحيث يكون تعاطى الماء مع هذه الشوائب ضارًا ، ولا يمكن أن يكون حسنًا وشافيًا وناقعًا للغُلة إلا إذا عاد سماويًا كما كان وانتفت عنه الشوائب الأرضية التى التصقت به .

(١) الأنعام : ١١٥ .

التجديد فى الوسائل

من هنا فأنا أؤكد أن التجديد الذى ينفى الزيف والخلط عن الإسلام مطلوب ، هذا أولاً . ثانيًا : قد يكون التجديد فى الوسائل : الجهاد حق ولكن ما وسائله؟ التجديد فى الوسائل هنا فريضة فإن الأيام التى كان فيها السيف أصدق أنباء من الكتب انتهت وحل محل السيف الصاروخ والطائرة المنقضة ، وحلت القذائف محل النبل والرمح ، فالتجديد فى الوسائل لابد منه ، هذا فى الوسائل العسكرية ، أيضًا التجديد فى الوسائل المعنوية . . الشورى حق . لكن ، هل الشورى تعنى أن أجمع بعض الناس وأن أتحدث معهم ، أم أن يكون هناك نظام يختار ألمع العقليات ويبحث عن العبقريات ويلتقطها ثم يجعل الأمر بين يديها ثم يختار ما وصلت إليه من نتائج لتنتفع الأمة بهذه النتائج؟

هذه وسائل تتجدد وهى وسائل حسنة . . ويؤسفنى أن أقول إن المسلمين فى شئون الدنيا أموات! لقد قال لنا نبينا صلى الله عليه وسلم : «**أنتم أعلم بشئون دنياكم**» . . وشئون دنيانا من تجارية وزراعية وصناعية ونواح مدنية وعسكرية كثيرة . . كل هذا برع فيه غيرنا براعة كبيرة ، أما نحن فقد جمدنا دنيانا ظنًا منا أن الانصراف عن الدنيا والبخس منها يكون موضع رضى عند الله ، وهذا جهل كبير .

الشورى بين الأمس واليوم

● إذن التجديد لا يعنى التخلى عن الأصول أو استبدالها كما يظهر من بعض الكتابات؟

■ هذا لا يمكن لأنه يعتبر ارتدادًا عن الدين فلا يمكن باسم التجديد أن أبتر شيئًا من أركان الإسلام أو أحكامه أو أغفل عن شىء من أهدافه التى ظهرت فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

إنما التجديد فى طريقة العرض . . فى طريقة الخدمة . . فى طريقة النقل إلى الناس ، أو كما قلت فى الوسائل التى لا تثبت على مر الزمان ، وهى ليست من أصل الدعوة أو من صلب الرسالة ، فمن صلب رسالة الإسلام الشورى . . لكن كيف يكون ذلك ، كانت سقيفة بنى ساعدة هى المثل الأعلى يومئذ : يُجمع الناس فى مكان يلتقى فيه الحكماء ويقررون ما يقررون . لكن الآن لا أستطيع أن أجمع الناس على صعيد واحد وفى عاصمة من العواصم أو بلد من البلاد ثم أقول : أنا استشرت . الأمر

يحتاج إلى أن أدرك مواهب الآخرين وعبقرياتهم المبعثرة وأجمعها فى ظل نظام معين لكى نستفيد من مواهبهم وعبقرياتهم .

أقول إن المجددين ناس فقهوا الإسلام فقهًا حسنًا ثم احتالوا فى توصيل معانيه إلى الخلق بطرق جديدة غير ما ألف الأولون .

أما المجدد الذى يتصور أنه يقول لأمته : لقد عشنا بديننا مدة فلم نصل إلى مرتبة عظيمة فلنجرب أديانًا أخرى أو أنظمة أخرى ، فهذا ارتداد وليس تجديدًا!

الغزالى ومنهج النقد الذاتى

● اعتبر الكثيرون الشيخ الغزالى صاحب منهج النقد الذاتى لحركة الإحياء الإسلامى ، فما بواعث وجود مثل هذا المنهج؟

■ أعود للتأكيد على أن الإسلام فى حاجة إلى تجديد ، خاصة بعد أن رأينا الأمة قد تبلدت والدنيا تتغير ، فالتجديد على النحو الذى ذكرناه مطلوب وله ما يؤكده ويقويه ، وإن كان التجديد فى حد ذاته له محاذيره .

- إننا نريد أن نتحدث للآخرين عن ديننا ، وهؤلاء الآخرون لهم عيون ولهم ألسنة فإذا رأوا عيوبنا فلاشك أنهم قائلون : لماذا تقدمون لنا بضاعتكم وأنتم أولى بالانتفاع بها؟! فإذا كان فيها الخير فلماذا تقدمونها لنا؟! وهذا ما سجله الشاعر من قديم عندما قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم؟

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا

كيما يصحّ به وأنت سقيم!

لهذه الأسباب وغيرها ولكثرة الأعداء الذين يتربصون بنا ، أقوم بالتنقيب دائمًا فى صفوفنا وفى أحوالنا وفى حركاتنا وسكناتنا وعرضها على دين الله وعلى العهد الأول من الإسلام ، فماذا سنجد؟

سنجد أن ربع قرن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم استطاع فيه أن يكون الجيل الذى فتح العالم ، فالرسول كما نعلم مات قبل أن تخرج الرسالة من جزيرة العرب ، أما الذين فتحوا العالم ونقلوا الإسلام عبر الأطلسى والهندى والهادى فهم التلاميذ النجباء الذين تربوا وتعلموا على يديه ﷺ .

نحاكم ما يجدّ إلى ما كان!

فأنا أحاكم ما يجدّ إلى ما كان ، ولذلك لابد من التأمل فى الذات ولابد من النظر إلى النفس بشىء من النقد ، ثم هناك ما لابد أن نعرفه . . لقد كان العرب أذكياء وذكاؤهم لم يمنعهم من أن يعبدوا الأصنام حتى فطمهم الرسول عنها بعد جهد شديد . . العالم الآن له أمراض أخرى غير الوثنية التى عاش بها هؤلاء . فعالم اليوم عالم الأذكياء وقد بلغ من ذكائه أنه غزا الفضاء ووضع قدمه على القمر ، فإذا كنت أتعامل معه على أساس أننى الأرفع وهو الأدنى وأنا العارف وهو الجاهل دون أن أقدر ما لديه من ذكاء فطرى ومعلومات ودون أن أقدر فى نفس الوقت ما وصلت إليه أنا من بعض الهزائم الثقافية نظرًا لعدم قيامى بما يجب ، ففى هذه الحالة لن أنجح فى التعامل مع الآخر وتقديم نفسى ورسالتى له .

إذًا ، قبل أن نقدم أنفسنا للآخرين لابد من نقد الذات ولابد من محاسبة النفس ، حتى نستطيع أن نصل بديننا إلى أهدافه المرجوة ، وقد كان بعض الصحابة يسألون الرسول ﷺ عن الشر فى الوقت الذى يسأله الناس عن الخير ، هكذا كان يفعل حذيفة فيقول : كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن أقع فيه ، وكان الرسول ﷺ يجيبه على أسئلته . . هكذا حتى نعرف ما لنا وما علينا ، ما نأمله وما نخاف على أنفسنا منه .

فقه الدعوة وفقه الواقع

● من بين إنتاجكم الوافر فى مجال التأليف سلسلة كتب تناولت فقه الدعوة ، فهل من تلاقٍ بين فقه الدعوة وفقه الواقع ، خاصة أن بعض الدعاة يُسقطون فقه الواقع من حركتهم؟

■ كتبت فى فقه الدعوة عدة كتب بلغت نحو خمسة كتب ، وأنا أريد أن يعلم الناس أن الدعوة علم ، علم فى فهمها وفى تبليغها وفى تعهُّد من بلغناهم حتى نعرف إلى أين وصلوا وعلى أى نحو استجابوا . وهناك الآن دعوات عالمية تأخذ فى السوق الإنسانية نشاطًا ملحوظًا ، فأنا لست وحدى التاجر الذى يعرض ما عنده . . هناك تجار يعرضون كثيرًا مما عندهم ، لهذا فأنا مكلف بأن أعرف ما عندى وما عند غيرى ، وأن أعمل على كسب السوق بكل الطرق التى يكسب بها التاجر الماهر السوق .

إن الدعوة الإسلامية إلى الآن مجروحة من ناحيتين : الناحية الأولى : تقصير القائمين على أمر هذه الدعوة ، والناحية الأخرى : أن الذين جهلوا الإسلام ، وهم

كثيرون ، تحركوا وقدموا للناس مناهج يسيرون عليها فى غياب المنهج الصحيح وهو منهجنا الإسلامى ، ولعل هذا ما يعنيه جبران خليل جبران عندما قال : الناس رجلان : رجل نام فى النور ورجل استيقظ فى الظلام .

إن الذين استيقظوا فى الظلام لهم حركة لكنها فى الظلام ، فأهدافها غير واضحة ، ونحن الذين نمنا فى النور ، عندنا نور لكن لم يجد من يحمله إلى عيون الآخرين حتى يضىء لهم الطريق .

الإسلام لا يصادم العقل والفكر

فإذا كنا ندعو فلنعلم أن الدعوة لها أعباؤها ولها تكاليفها ، ولها جهادها . . وجهاد الدعوة فى هذا العصر ألزم للمسلمين فى رأيى من جهاد السيف ، لأنهم فى جهاد السيف مقصرون أو منهزمون عسكريًا ، فهم ليسوا بجاهزين أو مهيئين لجهاد السيف ، وأهم ما يجب أن نفعله أن نقدم الإسلام للعالم وننتهز حرية الفكر وانفتاح الأبواب لنشرح لهم الإسلام شرحًا حسنًا ، فإذا قدمنا الإسلام بالطريقة الحسنة فإن الناس سيقبلون عليه ، فالإسلام أنصف المرأة وردّ لها حقوقها وعدها إنسانًا وجعل النساء شقائق الرجال . . وإذا قُدّم الإسلام للناس على أساس أن المرأة دون الرجل إنسانية ومكانة ، وأنها ليس لها إلا البيت تقعد فيه ، فإذا خرجت منه فإلى القبر . . فإن تقديم المرأة على هذا النحو فى عالم وصلت فيه المرأة إلى مراتب عليا ومناصب كبيرة ، ليس فى مصلحة الدعوة الإسلامية ، ودخولنا فى هذا المعترك وبهذا الفهم يلحق الهزائم بالحركة الإسلامية .

لقد سمعت بعض الناس يتكلم عن العقل باستنكار مع أن الإسلام دين العقل . . وقال لى أحدهم : أتقدم العقل على النص؟ قلت له : ليس هناك خلاف بين النص والعقل حتى أقدم هذا على ذاك أو ذاك على هذا . . أنتم مساكين تظنون أن العقل يخالف النص والنص يخالف العقل أو يصادمه ، وهذا مستحيل فإن كتابنا الذى قال فيه ربنا : ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** . . ﴾[1] الآية ، وقال سبحانه : ﴿ **أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ** . . ﴾[2] . وقال : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ** ﴾[3] . . لقد تكررت مادة العقل ما يقرب من خمسين مرة فى كتاب الله الحكيم ، مثل : ﴿ **أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾[4] . . ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[5] . . ﴿ **إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[6] . . ﴿ **أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ** ﴾[7] وهكذا . .

---

(١) النمل :٦٤ . (٢) الأنعام : ٥٠ . (٣) النساء : ٨٢ . (٤) البقرة : ٤٤ .
(٥) البقرة : ٧٣ . (٦) الشعراء : ٢٨ . (٧) يس : ٦٢ .

فالقرآن الكريم حرك العقل الإنسانى ، فاعتقاد البعض أن القياس (استخدام العقل) ينهزم أمام النصوص الأخرى هذا بحث آخر ، وكون القياس له مكانة فى الإسلام أو ليس له مكانة فهذه مسألة فقهية محدودة ، لكن العقل العام لابد من احترامه ، وكونك تقدم الإسلام على أنه شىء يخالف العقل أو يصادمه فهذا افتراء على الله وافتراء على كتابه وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ولاشك أن من يفعل ذلك من الدعاة يعرض نفسه لهزيمة هو أهل لها عندما يقدم دينه على هذا النحو .

التخصص فى علوم الدين مطلوب

● يصنف بعض الشباب ، العاملين فى الحقل الإسلامى إلى دعاة ومفكرين ووعاظ ومحدثين ، ويفرقون بينهم عند الأخذ عنهم . . فما الخطوط التى تجمع بين هذه المجالات؟

■ أما أن التخصيص فى العلوم الدينية مطلوب فهذا أمر لابد منه ، ولكن الداعية يجب أن يأخذ من كل بستان زهرة ومن كل واد ثمرة ، ومن الخير أن يكون عندنا دعاة لديهم مجموعة من الثقافات العامة التى تضمن لهم منطقًا سليمًا وتضمن للدعوة أدوات صالحة .

أما التخصص فى دراسة السنة فله رجاله ، وكذلك التخصص فى الفقه وفى علوم اللغة والبلاغة وغير ذلك ، فلكل فرع من هذه الفروع رجاله ، ونحن محتاجون إلى هؤلاء جميعًا .

نعود فنقول إن الداعية ليس من الضرورى أن يكون راسخ القدم فى علوم السنة ، وليس من الضرورى أن يكون فقيهًا كأبى حنيفة ومالك وابن حنبل ، إنما المهم أن يكون عنده قدر من الصحة العقلية وعلم بأوليات الفقه والسنة وسور القرآن وأوليات اللغة العربية بحيث يجعله كل هذا يحسن خدمة الإسلام والدعوة ، فإذا اقتضى الأمر الدخول فى أمور تخصصية أرجع الأمر إلى أهل الذكر .

نرفض هذه الفتوى!!

● بهذه المناسبة ، ما رأيكم فى الفتوى التى صدرت عن الشيخ ناصر الدين الألبانى ، والتى أباح فيها . لعرب الأراضى المحتلة ترك أراضيهم للعدو الصهيونى؟

■ عندما كنت فى الأردن لحضور واحدة من الندوات الفكرية ، وجدت الناس يتحدثون ويتناقشون حول فتوى للشيخ ناصر الدين الألبانى ، فقد أفتى الرجل بوجوب هجرة أهل فلسطين المقيمين فى الأراضى المحتلة وترك ديارهم ووطنهم لليهود! وحجته فى ذلك أن أهل فلسطين يتعرضون للأذى فى دينهم وأعراضهم وأموالهم على يد إسرائيل ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هاجر من مكة وتركها للكفار .

والحقيقة أننى عندما سمعت بهذه الفتوى شعرت معها بالانزعاج الشديد وبالقلق على مستقبل الإسلام ، فقد أدخل الألبانى نفسه - وهو من كبار المتخصصين فى السنة - فى ميدان الفقه السياسى ، وعندما سئلت فى هذا الموضوع قلت : «إن دعوة أهل فلسطين إلى الهجرة من ديارهم هى قرة عين إسرائيل ، وإن تشبيه أهل فلسطين بأهل مكة هو تشبيه فى غير مكانه ، ولا يجوز لأحد أن يعقد مثل هذا التشبيه وأنا بين حالتين متباينتين» .

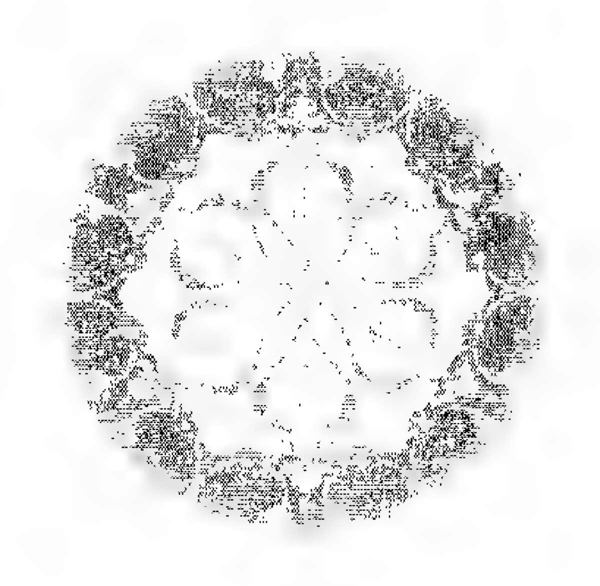
أؤكد أن فتوى الشيخ الألبانى خطيرة وغير مقبولة لا عقلاً ولا نقلاً ، والجهل فى هذا الكلام واسع ، ولا أدرى كيف صدرت هذه الفتوى .

من هنا فإننى أريد التنبيه إلى أخطاء المتخصصين فى ناحية من العلوم وليست لهم قدرات على النبوغ فى فروع أخرى من علوم الدين! وهؤلاء يجب أن نحتاط من فتاواهم ، ونحذرهم فى نفس الوقت من المضى فى هذا الطريق .

قد يكون هناك رجل متخصص فى السنة ، ولكن علمه بالرجال شىء ، وعلمه بواقع الأمة الإسلامية والمرض الذى يحتاج إلى علاج شىء آخر ، فتكون النتيجة أن يسبب مثل هؤلاء للأمة حرجًا كبيرًا .

إن فهم نص واحد أو تأويل موقف واحد ـ من غير استحضار النصوص الشرعية ومعرفة السياسة الشرعية وفقه الواقع ـ لا يعطى الحق لأى أحد للقول فى دين الله والفتوى بغير علم .

كذلك من اشتغل بالفقه وليست له بالسنة بصيرة ، فإنه يجب أن يرجع إلى السنة وأن يتعرف عليها وأن يراجع كتبها ؛ حتى يكون على بصيرة من سنة رسول الله ﷺ ؛ فإن صاحب الرسالة ليس رجلاً عاديًا فهو نبى مرسل ، وإذا كانوا يعتبرون لكلام بعض الفلاسفة قيمة ، فكيف بأعظم البشر الذى ظهر فى الأزل والأبد . . كيف لا نعتبر لكلامه قيمة وهو يحدثنا وحيًا عن الله ويشرح بكلامه كتاب الله؟!



الشيخ الغزالى
يشرح مضمون وأسباب بيان الأزهر

تحدث فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، فى مؤتمر الأزهر الأخير الذى عقد فى الشهر الماضى ، ما يقرب من ساعة كاملة ، ولم تذع أجهزة الإعلام من حديثه سوى خمس دقائق فقط !!

وفى أول تعليق له على ردود أفعال المؤتمر الذى عقد بالأزهر ، وأثار تعليقات واسعة النطاق ، وحضره بالإضافة إلى الغزالى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والشيخ محمد الطيب النجار ، وغيرهم من كبار العلماء ، أكد الداعية الإسلامى الشيخ الغزالى بأن التيار المتطرف ظهر مع غياب التيار المعتدل قسرًا ، ومع خلو البلاد من موجهين راشدين تتوفر لهم حرية الأداء والكلمة ، والمسئولون عن ذلك معروفون ، قد يكونون مرتدين كارهين للإسلام ، وقد يكونون عبيد مآربهم الشخصية .

وانتقد الداعية الإسلامى الكبير أسلوب معاملة الدولة للمتطرفين وقال : إن هذا الأسلوب المتبع لأكثر من ثلاثين سنة يشبه أسلوب اليهود فى معالجة أشبال الانتفاضة الفلسطينية : تعذيب واستباحة ووحشية!! ولقد بلغت الوحشية حداً حسب فيه البعض أن الأمر ليس قمعًا للتطرف ، وإنما هو منع للإسلام ذاته ، وتحت لهيب السياط قيل للجلادين : لستم مسلمين! ثم دارت المعركة بين جاهلين بالإسلام وجاحدين له !!

وقال الشيخ الغزالى : (نحن لا نفقد وعينا فى هذه الفتن العمياء ، وإنما نقدم الإسلام الصحيح لنلزم به الحاكم والمحكوم ، وإذا قلنا إن دين الله أشرف من أن يؤخذ عن أفواه الحمقى فدين الله كذلك أسمى من أن يؤخذ من ذوى البطش والجبروت) .

وقال الداعية الإسلامى الكبير : إن هناك من يكره التيارات الإسلامية كلها المعتدل منها والمتطرف!! ويشن حروبًا خفية أو جلية على الإسلام ، ويتناول تعاليمه بالغمز واللمز والتضييق ، ووجود هذه الطائفة لا يستغرب مع الوجود الاستعمارى الطويل فى العالم العربى ، ومع إلحاح الغزو الثقافى على بلادنا إلى اليوم ، بل إن سماسرة هذا الغزو ، زادت ضراوتها مع ترادف المحن على المسلمين ، ومع ما قد يقع فى الحقل

الإسلامى نفسه من أخطاء ، ونحن لا نطلب فى مواجهة هؤلاء ، ومن وراءهم بأكثر من حرية الكلمة ، وما نفكر فى حمل العصا للخصوم ، كل ما ننشده أن تتاح لدعاة الإسلام المساحة الزمانية والمكانية التى تتاح لخصومه ، وأنا موقن بأن حبل الباطل قصير ، وأن تبجحه لا يعود إلى تماسك به ، وإنما إلى مساندة خبيثة وراءه .

وأكد الشيخ الغزالى أن تغيير المنكر فى تسعة أعشار الساحة يمكن تمامه بضمان الكلمة الحرة وإطلاقها ، فنحن نثق فى قوة الحق ، وقدرة القلم واللسان على عمل الكثير فى ظل الحرية .

الداء والدواء

واستطرد الشيخ الغزالى فى حديثه إلى (الشعب) قائلا : إن أمتنا تأبى بقوة أن تترك عقيدتها وشريعتها ، فلا تفريط فى حرف من كتاب الله ، ولا تهاون فى أى حكم من أحكام الشريعة ، وعلاقتنا بربنا تبارك اسمه تقوم على مبدأ ﴿ **سمعنا وأطعنا** ﴾ ولكن على المسلمين أن يعلموا الطريق الصحيح لإعادة البناء .

لقد تعرض العالم الإسلامى منذ قرن أو يزيد لاستعمار حاقد أذلنا سياسيًا وعسكريًا ، واستطاع أن يحتل الأراضى والعقول ، وأن يجتاح مواريثنا الدينية والأدبية ، وقد اشتبكت معه القوى المؤمنة ، واستطاعت أن تحرر التراب وهى فى طريقها إلى تحرير القانون والتقاليد العامة وتخليص تراثنا من كل غزو أجنبى . . .

والأمر يحتاج إلى رؤية وتنظيم ، فإن البيت إذا انهدم اتجه الجهد كله إلى إعادة البناء وإقامة الدعائم والمعالم . . أما المعركة على أثاث البيت قبل إتمام البناء فحماقة .

إن ديننا يبنى الإيمان على العلم بالكون والقدرة على الإفادة منه ، ومناهجنا فى هذا المجال مؤسفة ولم تطو إلا أشبارًا قليلة من مسافة التخلف الحضارى الواسعة ، ونكاد نكون عالة على غيرنا! وقصتنا مع رغيف الخبز تثير الخجل ، فكيف بما هو فوقه من شئون الحياة ؟

فإذا تجاوزنا العقيدة إلى الأخلاق وجدنا صدوعًا هائلة فى بنائنا الأخلاقى كيف نتجاهلها ، وضعف الأخلاق من وراء العجز الإدارى وضعف الإنتاج وفوضى السلوك من كل ناحية ؟

ثم إن بلادة الإحساس بحقوق الإنسان وقيمة الحريات جعل العالم الإسلامى مسرحًا للطواغيت التى تفترس الضعاف ، وتفتح المعتقلات ، وتكمم الأفواه وتنشر

القلق ، وأى دين يبقى مع بقاء هذه الطواغيت؟ إن شعب الإسلام تبلغ سبعين شعبة ، وهناك أولويات في إحيائها والحفاظ عليها كلها ، وهذا ما يجب أن يستحوذ على نشاطنا واهتمامنا .

وحول المنكر ومحوه من المجتمع قال الشيخ الغزالى : إن الوثنية كانت المنكر الأكبر! فماذا صنع النبى عليه الصلاة والسلام معها! إنه لم يهدم صنمًا حول الكعبة التى نصلى إليها حتى بلغ الحادية والستين من عمره أى قبل وفاته بعامين- كان يغير المنكر بلسانه ، ويعد الأمة لتغييره باليد فى أول فرصة سانحة ، وقد سنحت هذه الفرصة عند فتح مكة ، وقبلها بعام واحد طاف فى عمرة القضاء بالكعبة وحولها الأصنام فلم يكسر منها صنمًا ولم يوعز إلى أحد أصحابه بشىء من ذلك . . كان مشغولاً بإعداد الأمة التى تطهر الأرض من الشرك ، وإعداد القوة التى تخرس كل أفاك ، إنه لم يكن يلهو وحاشاه عليه الصلاة والسلام! ونحن الآن لا نتبع سنته فى التنوير والتربية والتدريب والإعداد .

لقد فررنا من الواجب الثقيل فى الاكتفاء الذاتى والارتقاء إلى مستوى حضارى محترم وإبراز الإسلام ديمقراطية حقيقية تنفى الوثنيات السياسية ، وتصون الكرامات المادية والأدبية ، واكتفينا بالصياح أو البكاء فكانت الهزائم .

الشيخ الغزالى.. بقلمه !

والدى رحمه الله- كان يحب شيخ الإسلام أبا حامد الغزالى ، وكان عاشقًا للتصوف يحترم رجاله ويختار من مسالكهم ما يشاء ، لأنه كان حافظًا للقرآن ، جيد الفهم لنصوصه ، ويروى أبى لأصدقاء الأسرة أن تسميتى «محمد الغزالى» جاءت عقب رؤية منامية وبإيحاء من أبى حامد (رضي الله عنه) ، وأيًا ما كان الأمر فإن التسمية اقترنت بشخصى ولكنها لم تؤثر فى تفكيرى فأنا أنتفع من تراث أبى حامد الغزالى صاحب «تهافت الفلاسفة» كما أنتفع من تراث خصمه ابن رشد صاحب «تهافت التهافت» وإذا كان الغزالى يحمل دماغ فيلسوف وابن تيمية يحمل رأس فقيه فإننى أعتبر نفسى تلميذًا لمدرسة الفلسفة والفقه معًا .

ولدت سنة ١٣٣٦ هـ الموافق سنة ١٩١٧ م ونشأت فى بيئة متدينة بين إخوة سبعة وكنت أكبرهم ووالدى كان تاجرًا صالحًا وهو الذى وجهنى إلى حفظ القرآن بل إن من فضله على أن باع ما يملك لكى يذهب بى أو يذهب معى إلى أقرب مدينة يقع فيها معهد أزهرى ، حيث هاجر من قريته «نكلا العنب» بمحافظة البحيرة إلى الإسكندرية كى أنتسب إلى الأزهر وعمرى عشر سنوات .

وطفولتى كانت عادية ليس فيها شىء مثير وإن كان يميزها حب القراءة . فقد كنت أقرأ كل شىء ولم يكن هناك علم معين يغلب على . . بل كنت أقرأ وأنا أتحرك ، وأقرأ وأنا أتناول الطعام .

أهمية القراءة:

وللقراءة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله بل هى الخلفية القوية التى يجب أن تكون وراء تفكير الفقيه والداعية ، وضحالة القراءة أو نضوب الثقافة تهمة خطيرة للمتحدثين فى شئون الدين وإذا صحت تزيل الثقة منهم .

إن القراءة ، أى الثقافة هى الشىء الوحيد الذى يعطى فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشئونه ، وهى التى تضع حدودًا صحيحة لشتى المفاهيم وكثيرًا مايكون قصور الفقهاء والدعاة راجعًا إلى فقرهم الثقافى .

والفقر الثقافي للعالم الديني أشد في خطورته من فقر الدم عند المريض وضعاف الأجسام . . ولابد للداعية إلى الله أن يقرأ في كل شيء ، يقرأ كتب الإيمان ويقرأ الإلحاد ، يقرأ في كتب السنة ، كما يقرأ في الفلسفة ، وباختصار يقرأ كل منازع الفكر البشرى المتفاوتة ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها المتعددة .

تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزرقاني الذى كان مدرسًا بكلية أصول الدين وهو صاحب كتاب «مناهل العرفان فى علوم القرآن» وكان عالمًا يجمع بين العلم والأدب وعباراته فى كتابه المذكور تدل على أنه راسخ القدم فى البيان وحسن الديباجة ونقاء العرض .

وفى معهد الإسكندرية الدينى تأثرت بالشيخ إبراهيم الغرباوى والشيخ عبد العزيز بلال وكانا يشتغلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية من العبادة والتقوى ، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية لأن للألقاب العلمية طنينًا ربما ذهب معه الإخلاص المنشود فى الدين .

وقد تأثرت أيضًا بالشيخ محمود شلتوت الذى أصبح فيما بعد شيخًا للأزهر ، إذ كان مدرسًا للتفسير ، وله قدرة ملحوظة فى هذا المجال إلى جانب رسوخ قدمه فى مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالاً ، وقد كان رحمه الله شخصية عالمية بارزة يلتف حولها الكثيرون .

أما تأثرى الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد حسن البنا وكان عالمًا بالدين كأفقه ما يكون علماء العقيدة والشريعة . وكان خطيبًا متدفقًا ينساب الكلام منه أصولاً لا فضولاً وحقائق لا خيالات ، وكان حسن البنا يدرك المرحلة الرهيبة التى يمر بها الإسلام بعدما سقطت خلافته وذهبت دولته ونجح المستعمرون شرقًا وغربًا فى انتهاب تركته ، فكان الرجل يعارض هذا الطوفان المدمر عن طريق تكوين الجماعات التى تعتز بدينها وتنشبث بالحق مهما واجهت من متاعب أو عوائق أو ويلات .

حسن البنا كان صديقًا لكل من يلقى من أهل الإيمان ، فتغمرك بشاشته عندما تراه وتشعر كأنك أصبحت صديقًا أثيرًا لديه وكان يضن بوقته على اللغو فما تمر ثانية ولا أقول دقيقة إلا وهو يخدم الإسلام بكلمة أو توجيه أو عمل نافع أو دعابة لطيفة تربط بين القلوب .

وذاكرة حسن البنا كانت حديدية وكأنها شريط مسجل يستوعب الأسماء والمعانى ، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا ، أو ذكرت له اسم إخوتك مثلاً ثم لقيته بعد ذلك ببضع سنين لبادرك بالسؤال عن إخوتك وناقشك فى القضية التى طرحتها عليه منذ سنين واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب .

والحق أن الرجل كان يحب عن إخلاص لا عن تكلف وربما عانق عاملاً يلبس بدلة الشغل الملوثة بشحوم الآلات وسوائلها فما يحجزه شيء من ذلك عن ترجمة حبه . وحسن البنا له عبقريات منوعة يحتاج الكلام فيها إلى كتاب منفرد .

مدرستى الخاصة:

المدرسة التى أعتبر نفسى رائدًا فيها أو ممهدًا لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية فى التاريخ الإسلامى ، كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية فى علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة .

إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذى ينبغى تقريره لا يتم إلا مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء وربما كان أسلافنا القدامى قد رزقوا من سلامة الفطرة وحدة الذكاء ما يجعلهم قادرين على حسن الفهم والحكم ، ولكننا فى هذا العصر لا نصل إلى مستواهم إلا بعد دراسات مضاعفة كما يستعين صاحب النظر القصير بالمناظير المقربة حتى يعرف ما يقرأ أو حتى يدرك من بعيد ما لا يستطيع رؤيته بالعين المجردة .

تجاربى فى الدعوة:

تخرجت من الأزهر سنة ١٣٦٠ هجرية الموافق سنة ١٩٤١ م ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل فى خدمة الإسلام دعوة وتدريسًا .

وفى رأيى أن الدعاة إلى الله ، فى هذا العصر غيرهم فى العصور الماضية . . قديمًا كانوا يدركون حظاً من النجاح بمعرفة محدودة وتقوى ظاهرة .

أما فى هذا العصر فإن أعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم ونمت أحقادهم وكثرت العقبات التى وضعوها فى طريق الدعاة ، واستطاعوا استغلال التفوق الحضارى لوقف الزحف الإسلامى فى أقطار كثيرة ، بل ولعلهم استغلوا ثراءهم وقدرتهم فى فتنة طوائف من المسلمين فى أفريقيا وآسيا وأوروبا ، ولذلك لا يكفى أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية بل لابد أن تكون من ورائها خدمات شتى اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية . . .إلخ .

شروط الداعية:

والدعوة إلى الله لا يصلح لها بداهة أى شخص . . إن الداعية المسلم فى عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية ، بمعنى أن يكون عارفًا

للكتاب والسنة والفقه الإسلامى والحضارة الإسلامية ، وفى الوقت نفسه يجب أن يكون ملمًا بالتاريخ الإنسانى وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التى تتصل بشتى المذاهب والفلسفات .

ويجب على من يدعو إلى الله أن يتجرد لرسالته التى يؤديها فتكون شغله الشاغل وعليه أن يعامل الناس بقلب مفتوح فلا يكون أنانيًا ولا حاقدًا ولا تحركه النزوات العابرة ولا ينحصر داخل تفكيره الخاص فهو يخاطب الآخرين وينبغى أن يلتمس الأعذار للمخطئين وألا يتربص بهم بل يأخذ بأيديهم إذا تعثروا .

ويحتاج الداعية المسلم فى هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف منازعهم سواء أكانوا ملحدين ينكرون الألوهية أو كتابيين ينكرون الإسلام .

وقد لاحظت أن هناك أصنافًا من الناس فى ميدان الدعوة تسىء إلى الإسلام أشد الإساءة ، منهم الذى يشتغل بالتحريم المستمر فلا تسمع منه إلا أن الدين يرفض كذا وكذا دون أن يكلف نفسه أى عناء لتقديم البديل الذى يحتاج إليه الناس . . وكأن مهمته اعتراض السائرين فى الطريق ليقفوا مكانهم دون أن يوجههم إلى طريق آخر أرشد وأصوب .

وهناك دعاة يعيشون فى الماضى البعيد وكأن الإسلام دين تاريخى وليس حاضرًا ومستقبلاً ، والغريب أنك قد تراه يتحامل على المعتزلة والجهمية مثلاً وهو محق فى ذلك ولكنه ينسى أن الخصومات التى تواجه الإسلام قد تغيرت وحملت حقائق وعناوين أخرى .

وهناك دعاة آخرون لا يفرقون بين الشكل والموضوع أو بين الأصل والفرع ، أو بين الجزء والكل فهم يستميتون فى الإنكار بأى شكل من الأشكال ويبددون قواهم كلها فى محاربة هذا الشكل ، أما الموضوع فهم لا يدرون ماذا يصنعون إزاءه ولهؤلاء عقلية لا تتماسك فيها صور الأشياء بنسب مضبوطة ؛ ولذلك قد يهجمون شرقًا على عدو موهوم ويتركون غربًا عدوًا ظاهرًا بل ربما حاربوا فى غير عدو . .

وهؤلاء وأولئك عبء على الدعوة الإسلامية يجب إصلاحهم كما يجب إصلاح الذين يدخلون ميدان الدعوة بنية العمل لأنفسهم لا لمبادئهم ، فإن العمل الذى يستهدف القيم الإسلامية غير العمل الذى يدور حول المآرب الشخصية .

تبين لى بعد أربعين سنة من العمل فى الدعوة الإسلامية أن أخطر ما يواجه العمل الإسلامى هو التدين الفاسد أى استناد النفس إلى قوة غيبية وهى تعمل للخرافات والأوهام ، أو هى تعمل للأغراض والمآرب . .

الدين مثلاً يقظة عقلية ، وهؤلاء يعانون تنويمًا عقليًا متصلاً والدين قلب سليم وهؤلاء استولت على قلوبهم علل رديئة . .

والأمر فى كشف التدين الفاسد يحتاج إلى تفاصيل للتعامل مع الآفات النفسية والعقلية التى تسبب هذا البلاء ، وقد خصص أبو حامد الغزالى جزءا ضخمًا من كتابه (الإحياء) فى علاج هذه الآفات والتحذير منها كما وضع ابن الجوزى كتاب «تلبيس إبليس» للكشف عن صور التدين الفاسد وإبعاد العامة والخاصة عنه .

وقد ألفت بعض كتبى وأنا مستغرق فى محاربة هذا الجانب من التدين المعلول سواء أكان رسميًا أو شعبيًا مثل كتاب «تأملات فى الدين والحياة» وكتاب «ليس من الإسلام» وكتاب «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» وأخيرًا كتابى «الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر» .

والحقيقة أن التدين الفاسد سر انحراف كثير من العقلاء لأنهم ينظرون إلى الدين من خلال مسالك بعض رجاله وآثارهم فى الحياة العامة ، والواقع أن بعض المتدينين كانوا فى القديم والحديث بلاء على الدين .

بدأت الكتابة منذ الشباب الباكر وكانت هواية عندى ورغبة أجد راحة فى تحقيقها ولم أتوجه إلى الكتابة الدينية إلا بعد أن اشتغلت بالدعوة الإسلامية . . وقد سلكت فى الكتابة الدينية منهجًا يجمع بين العلم والأدب مع عرض الثقافة الإسلامية عرضًا ممزوجًا بقضايا العصر الحاضر ، ويمكن القول إن هناك عدة محاور أساسية دارت حولها كتبى الخمسة والثلاثون التى وضعتها فى الأربعين عامًا الماضية : «الإيمان والعقل والقلب» و «الإسلام والطاقات المعطلة» .

تفسير جديد للقرآن الكريم:

وأحب أوقات الكتابة إلى بعد صلاة الفجر . . عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكرى ويقظة أعصابى وقدرتى على إفراغ ما فى نفسى فوق الصفحات ويغلب أن تكون الكتابة الأولى هى الأخيرة ، وقلما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة فى ذلك ، كمناقشة له أو حوار حوله .

وأتمنى أن أكتب التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ، فكل سورة من القرآن وحدة متماسكة تشدها خيوط خفية تجعل أولها تمهيدًا لآخرها وآخرها تصديقًا لأولها وتدور السورة كلها على محور ثابت وأتمنى وضع كتاب جامع فى ذلك .

من مواصفات الداعية

■ ماهى المواصفات المطلوبة فى الداعية المأمول والمطلوب الذى يستطيع أن يخاطب الشباب ويستطيع أن يصل إلى عقولهم فى يسر وإلى وجدانهم فى رقة عبر معطيات العصر ؟

- بدأ فضيلة الشيخ الغزالى الإجابة على هذا السؤال بقوله : هناك أمران لابد منهما . . أول الأمرين قد يبدو سهلاً ولكنه فى حقيقته صعب . . الأمر الأول هو أن ندرك أن فاقد الشىء لا يعطيه . . فإذا لم يكن الإنسان موصولاً بالله فإن دعوته إلى الله لا تثمر ولا تنفع . . ولقد سمع الحسن البصرى رجلاً يدعو وكان فصيح اللسان ، ويتكلم بطلاقة . . ولكنه لا يترك أثرًا فى النفس فقال له : يا أخى . . إن بقلبى شيئًا أو بقلبك .

إذن لابد من الإخلاص لله . . وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . . لابد أن يكون فعلاً عاشقًا لدينه ولربه ولنبيه وللصالحين من العباد . . ومحبًا لنقل الخير إلى الناس بعشق ورغبة شديدة . . أما الصناعة فإنها قد تصلح فى كل شىء إلا فى الدعوة إلى الله . . وهناك أناس يمثلون ويعيشون على التمثيل لكن هذا لا يعطى شيئًا قط ، فلابد أولاً من إخلاص لله . . ومن يؤمن بالله يهد قلبه . . فإذا صدق الإيمان يكون هذا بداية الخير . . وصدق الإيمان ليس دعوة . . فقد يقال للإنسان إذا تكلمت فستعاقب . . فيقول : بغير اندفاع أو جرأة : ما عند الله أبقى .

إذن الداعية أساسه أن يكون مؤمنًا بالله ومخلصا له . . وإذا ضاع هذا الأساس فلا قيمة لشىء . . وقد يكون لَسِنًا ويتكلم ويترك بعض الآثار لكن لا بركة فيما قال أو يقول . . إذن فإن الاعتماد على الله والاستناد إلى الله هذا أول شىء .

والشىء الثانى : لابد للداعية من ثقافة إسلامية لا حدود لها . . فالمدرس قد يكون مدرس فقه ، أو مدرس نحو ، أو مدرس تفسير ، أو بلاغة أو لأى مادة . . ولكن الداعية إلى الله لابد أن يوطن نفسه على أن يكون نابغًا فى هذه المجالات كلها . . لأنه لن يكون مدرسًا لفرقة بل سيكون مدرسًا للشعب كله وفى وجه الجماهير . . لذلك لابد أن يكون دارسًا لعلوم الدين دراسة واعية يعرف التفسير ويعرف الحديث وألا يوقع نفسه فى حديث مكذوب لا أصل له .

وقال فضيلة الشيخ الغزالى : عندما كنت مديرًا للمساجد جاء شخص يخبرنى بأن هناك مقالا مكتوبا ضدى . . كتبه محام يدعى محمد سليمان خميس وعنوان المقال «مدير المساجد يكذب رسول الله» . . وقد نشر هذا الحديث فى جريدة «منبر الشرق» . . وعندما علمت بذلك فزعت وأرسلت في طلب هذا المقال فورًا وقرأته ، وبعدما قرأته شعرت بالراحة لأن الرجل كان جاهلاً مسكينًا . . وقد بنى المقال كله على أنه قرأ للشيخ الغزالى كلامًا يقول فيه إن من أسباب تأخر المسلمين حبس المرأة وإننى كذبت حديثًا يقول : «**إن فاطمة سألت رسول الله : ما هو أفضل شىء للمرأة فقال الرسول : ألا ترى رجلاً وألا يراها رجل!**» فدعوت هذا الرجل وقلت له : أمامك شهر كامل لتبحث عن هذا الحديث . . فى البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى ، وابن ماجه ، وأحمد بن حنبل ، والطبرانى وغيرهم . . وعاد الرجل فعلاً بعد شهر وهو يشعر بالخجل وقال إنه قرأ الحديث منشورًا فى كتاب يجمع ما بين الجد والهزل ونشر فيه أن جبريل قد نزل وعقد قران على بن أبى طالب على فاطمة بنت رسول الله . . هذه خرافات .

ثم سألته : بعقلك أنت كمحام يزن الأمور : كيف يقول الرسول ذلك وهو الذى فتح المسجد للرجال والنساء؟ . . وفتح بَابًا فى المسجد للنساء . . وهو الذى رق قلبه عندما سمع بكاء طفل يبكى مع أمه عند صلاة الفجر فاختصر صلاة الفجر حتى تحتضن الأم طفلها ويتوقف بكاؤه . . المهم أن هذا المحامى نفسه بعد أن تصادقنا وجدت فتاة تدير له مكتبه ! .

وقال الشيخ : المهم أننى أكره أن تكون البيوت فارغة من النساء لأن البيت أساسه المرأة . . والمرأة للبيت قبل كل شىء وبعد كل شىء .

وقال : ويأتى بعد العلوم الدينية التى يجب أن ينهل منها الداعية العلوم الإنسانية . . علم النفس- علم الاجتماع- علم السياسة- علم التاريخ- علم الاقتصاد . . . إلخ .

ويقول : أنا قرأت ألف ليلة وليلة كلها . . وقرأت كتبًا شتى فى كل المجالات حتى أننى قرأت كتبًا فى العلاقات الجنسية لكاتب مسيحى اسمه حبيب موسى وكان كتابًا علميًا جيدًا .

وقال : لابد للداعية المسلم أن يكون خبيرًا فى الديانات الأخرى . . إن عليه أن يقرأ فى علم مقارنة الأديان وعلم الملل والنحل ولابد للداعية المسلم أن يكون محيطًا بعلل

قومه الذين يعيش بينهم وأن يكون خبيرًا بالمكان الذى يذهب إليه . . لابد أن يكون لديه ثقافة واسعة . . فإذا قلت لى يكفى ألف كتاب أقول : والله يمكن أن يكفوا . . لكن الأفضل له أن يقرأ ألفى كتاب . . إذن لابد من العلم الكثير مع الإخلاص الكبير .

والأمة عليها واجب:

وقال فضيلة الشيخ الغزالى : ويبقى أن أقول إن الأمة عليها واجب نحو الداعية . . لأن الحديث يقول : «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه**» . . والمجتمع الإسلامى له تقاليده التى تقوم على أساس أن الكبير يرحم الصغير ، والصغير يوقر الكبير ، والكل يحترم العلماء . . هذا حقًا كان موجودًا منذ زمن . . لكن الآن قل الأمران . . فقد قل وجود العلماء وقل احترام الناس لهم . . نحن نعيش الآن محنة كبيرة فى العالم الإسلامى .

وظيفة تحتاج إلى تخصص:

وقال : إن الدعوة إلى الله وظيفة تحتاج إلى تخصص . . وقد شاء الله وهو الذى يرسم أقدار الناس أننى وعندما كان عمرى عشر سنوات التحقت بالأزهر الشريف . . حيث التحقت به فى عام ١٩٢٨ وتخرجت فى عام ١٩٤١ . . ومضى علىّ حتى الآن خمسون سنة وأنا أعمل فى مجال الدعوة وعرفت أن التجربة هى التى تصقل الإنسان . . وإذا توفر العلم والإخلاص والذكاء لابد من توفر الأخلاق . . أى لابد أن تكون الأخلاق بين العقيدة والذكاء . . فلابد أن يكون الداعية صادقًا حييًا وعفيفًا وشجاعًا . . وعلماؤنا يعرفون هذا كله .

وقال أبو يوسف تلميذ أبى حنيفة : «أيها الناس أريدوا الله بأعمالكم فوالله ما أردت غير الله يومًا إلا خُذلت» . . وأبو يوسف كان قاضى القضاة يوصى الناس بالإخلاص لله . . وكان يعظ الخليفة ويقول له : يا هارون . . كيت . . كيت . . كيت . . وقد كان هو هارون الرشيد . . فمع احترامه للحاكم ومحبته له إلا أنه كان يؤدى حق الله عليه .

إذن واجبات الدعاة كثيرة . . وفى اعتقادى أنه من الأفضل لو أعطى للداعية شىء من الحصانة حتى لا يجبن وحتى لا يقلق على مستقبله . . لأننا بشر ونخاف .

وقال : كنت خطيبًا فى مسجد عمرو بن العاص وكان يصلى فيه الجمعة حوالى ٣٠ ألف مسلم . . ثم فوجئت- وأنا مدير عام للدعوة وبدرجة وكيل وزارة - بصدور قرار يقضى بمنعى من دخول الوزارة والمسجد . . وهمت على وجهى فى القاهرة بدون

عمل . . وأثناء سيرى فى أحد شوارع القاهرة قابلنى شخص كان تلميذاً لى فى كلية الشريعة ، وسألنى عن حالى فأخبرته بما حدث فقال : هل تقبل أن تدرس لأولادك فى كلية الشريعة فى مكة؟ فوجدت نفسى أوافق على الفور . . وفعلاً سافرت وبقيت هناك سبع سنوات متواصلة .

ولكن لماذا يأتى حاكم ليقول لوزير : افصل هذا الداعية . . وأنا لم أكن فى أى يوم هجامًا . . كانت مهمتى وما زالت هى أن أشرح الإسلام . . لكن إذا كُلفت بما يناقض دينى وخلقى أتوقف .

إذن أمام الداعية هناك عجز شعبى وعجز حكومى وهو بين الاثنين يضيع . . ولكن هناك تجربة فقد تعلمنا أن التوكل على الله لابد منه وأن من توكل على الله لقيه فعلاً . . علم درسناه والتجربة التى خضناها صدقت هذا العلم عدة مرات فيستحيل أن واحدًا يعتمد على الله ويخذله الله . .

ولا بأس من أن توجد متاعب . . فقد جاع الأنبياء . . فقد كان النبى الكريم يحب أن يأكل وأن يشبع . . ولكننا نرى السيدة عائشة تقول : «**كان الهلال تلو الهلال تلو الهلال يمر بأبيات رسول الله وهى تسع فما توقد نار تحت قدر . . إنما هما الأسودان : التمر والماء**» . . ثلاثة شهور لا يأكل فيها الرسول إلا التمر . . لكنه كان مضطرًا وتحمل وكانت النتيجة أنه ملَّك الأمة أرض الروم وأرض فارس .

أحوال المسلمين والصحوة الإسلامية:

■ أسمع فضيلتكم وأنت تقارن بين أحوال المسلمين بالأمس وأحوالهم اليوم . . وأراك شديد التأثر إلى الدرجة التى تغلبك فيها دموعك . . فهل معنى ذلك أن هناك خوفًا على الصحوة الإسلامية التى بدأت تظهر بوضوح فى السنوات الأخيرة . . أو أن هذه الصحوة قد أصابها الفتور أو التراجع ؟ .

فضيلة الشيخ الغزالى : أرى أن الذين يطلقون على أنفسهم أصحاب الصحوة الإسلامية جهال . . ليست لديهم المعرفة السياسية الواعية . . لديهم شرور ولا تنقصهم الشجاعة أبدًا . . فمثلاً أنا عشت فى الجزائر خمس سنوات عشت فيها وأنشأت جامعة هناك بتكليف من الرئيس الشاذلى بن جديد . . وكان يقول : نحن نريد أن نعود إلى الإسلام والنظام الإسلامى وما إلى ذلك . . وهو رجل مسلم حقًا ويصلى الفروض الخمسة بانتظام شديد . . وكان يناقشنى فى أمور الدين وفيما أعلنه

من آراء فى الدين . . وكان بينى وبينه ود حقيقى . . وهو الذى سمعته يقول : ما دام هناك حزب شيوعى لابد من حزب إسلامى . . وتكون فعلاً الحزب الإسلامى . . فهل من الرشد ومن الحياء والوفاء أن أول ما يفعله الحزب الإسلامى هو طلب إقصاء الشاذلى بن جديد ؟ .

ثم ما دخلكم أنتم بأعضاء الحزب الإسلامى . . السياسة واسعة . . وفرنسا قوية جداً . . وخير الجزائر جاء من الله والعالم الإسلامى ومنهم عبد الناصر قد أمدهم بكل ما يملك . . وخسرت مليوناً ونصف مليون شهيد . . والآن ماذا تريد الجزائر؟ . . الجزائريون فقراء وأكثر فقرًا من مصر وحالتهم العامة سيئة . . وأسأل الأخ أبا الحاج وغيره . . إذا أنشأت حكومة إسلامية الآن ماذا ستفعل مع فرنسا ومع أوروبا ومع أمريكا؟ ستزداد الحالة سوءاً حتى إذا منعوا الأدوية أو قطع الغيار . . الجزائر تعبانة فعلاً . . وحالتها تستدعى التأنى فى نقل الشعب من مرحلة إلى مرحلة أخرى . . وما يطلقون على أنفسهم بالإسلاميين لا يعترفون بذلك . . لأن بهم بعضًا من غباء .

وقال فضيلة الشيخ الغزالى : عندما أنشأت الجامعة كان ثلثها من البنات . . والنظام الإسلامى فيه الحجاب الذى يعنى تغطية الجسم فيما عدا الوجه والكفين . . ولكنى فوجئت بجماعة يأتوننى ويقولون : لابد من النقاب . . قلت لهم : ومن أين جاءت «لابد» هذه؟ هل ستعلموننى الإسلام؟ وعليكم بآية من القرآن أو حديث نبوى يقول لابد من تغطية الوجه .

وقلت لهم : وليس فى الإسلام أيضًا أنه لابد أن يكون تناول الطعام باليد . . وأن الأكل بالملعقة بدعة . . من أين أتيتم بهذا الكلام؟ وسمعت بالحاج وكيل جماعة الإنقاذ يخطب ويقول : لا عمل للمرأة إلا ولادة الرجل . . وهل هذا عمل؟ إن هذا الكلام يمكن أن يجعل المرأة الجزائرية تكفر بالإسلام وهى ترى المرأة الشيوعية وزيرة والمرأة غير المسلمة رئيسة لوزراء بريطانيا لمدة عشر سنوات . . تكفر لأنها تعلمت وتوظفت وأنت تريد أن تحبسها فى بيتها . . ورغم أنها تعلمت وتوظفت يبقى البيت هو الأساس وولادة الأولاد هى عملها الأول ، والمرأة راعية فى بيتها وكل راعٍ مسئول عن رعيته . . إلخ .

ويقول : مختصر الكلام أن لديهم جهلاً عميقًا وتعصبًا لهذا الجهل وجرأة ، وهذا بلاء .

وقال : إذن الصحوة الإسلامية لم تأتِ لأن أهلها جبناء . . ولكنهم شجعان ولكن

بغير عقل كالدبة التى قتلت صاحبها . واجبنا هو أن نرشد هؤلاء ولا يجوز أن يكون الإسلام بين الإفراط والتفريط ، فهراء أن يقول أحد لا انغلاق فى الدين ونريد أنظمة عالمية وحضارة عالمية . . أو يقول آخر الدين قميص يلبس ولحية تطلق . . فلماذا نضع للإسلام شارة «قميص ولحية» وصاحب الرسالة يقول : البس ما شئت «**ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ، دع الإسراف ودع الخيلاء والبس ما تشاء**» . .

إذن ليس للإسلام زى معين . . فصاحب الرسالة كما قال البخارى قد لبس جبة رومية ضيقة الأكمام . . والمعروف أن الملابس تحكمها البيئات . . فنحن نلبس ملابس واسعة . . لأن بلادنا حارة . . وحيث تكون المناطق باردة تكون الملابس ضيقة وسوداء أو ملونة وليست بيضاء كما فى الدول المجاورة .

وقال الشيخ الغزالى : دعيت من قبل جامعة حلوان لأشارك فى مناقشة رسالة فرأيت هناك طالبًا أتى به العميد إلىّ كان يلبس جلبابًا ضيقًا ومطلقًا لحية غير منضبطة وغير مرتبة . . فسألته : ما هذا؟ قال لبس الإسلام . . قلت : من قال لك ذلك؟ . . ثم قلت له : أنت فى كلية التجارة ونريدك أن تتخرج نافعًا فى مجال الاقتصاد الذى نحن مهزومون فى ميدانه . . ونريدك أن تنصر الإسلام فى هذا الميدان . . لكن ما تفعله هو فرار من العلم ومن الميدان وليس من الإسلام فى شىء . . والمهم أننى عندما سألته : ماهذا الجلباب؟ قال : إنه جلباب إسلامى . . وكان الجلباب ضيقًا وهو بدين جداً الأمر الذى جعل منظره كئيبًا! .

وقال : إن المتطرفين يوجهون أكبر إساءة للإسلام والمسلمين .

وأضاف : جاءتنى الخطبة الأخيرة لبابا الكنيسة الكاثوليكية يوحنا بولس وعندما قرأتها وجدت عباراتها منتقاة موزونة بموازين الذهب وكل كلمة مضبوطة وفى غاية الرقة . . وماذا يحدث عندما يشكو هذا الرجل ويقول إن المسلمين حرقوا لى كنيسة أو كنيستين فى إمبابة بمصر؟ . . ماذا نرد ونقول له وهو الذى يتحدث إلى المسلمين بغاية اللطف . . بينما المسلمون يحرقون كنائسه . . فهل هذه طريقة؟ .

وقال : لا يجوز أن يتولى الأطفال قيادة الراشدين . . فالأم الجادة هى التى يقود الكبار فيها الصغار .

والشاعر الجاهلى قال من قديم :

والبيت لايبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن | بلغوا الأمر الذى كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم | ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تمضى الأمور بأهل الرأى ما صلحت | فإن تولت ففى الأشرار تنقاد

وقال : إذن الصحوة تريد نورًا شديدًا لتمكن الطلبة من استذكار دروسهم جيدًا وأن يتعلموا جيدًا وينفعوا وطنهم كما يجب . . وينظروا كيف أن الأقباط يربون أبناءهم الآن فى الكنائس بدون ضجة ودون أن يشعر بهم أحد بينما نحن نعمل «هيصة» بدون فائدة ونصرف معها أولادنا عن التعليم . . ولدينا الأسوة الحسنة فى كل مجال .

الدعاة موظفون حكوميون :

■ ألا يمكن أن يكون السبب فيما آل إليه حال الدعاة فى عالمنا الإسلامى هو أنهم قد تحولوا إلى موظفين حكوميين ؟ .

– الشيخ الغزالى : أنا أرى إذا كان لما تقوله دخل فإن نسبته لا تتعدى العشرة فى المائة . . أنا عملت إمام مسجد لمدة أربع سنوات فى مسجد بمنطقة العتبة بالقاهرة وكنت أؤدى واجبى وليس لأحد أى سلطان على . . ولا يوجد خوف إلا ما يتصوره الإنسان خوفًا . . فلم يحدث لى أى شر طوال هذه الفترة وكنت موظفًا لدى الدولة .

وفى مرة كنت أخطب الجمعة وهاجمت الشيوعية . . وكان مفتش المساجد موجودًا وكان يعمل إمامًا فى نفس المسجد من قبل ولكنه كان غير محبوب وهاله هذا الإقبال الكبير على سماع خطبتى . . فلما انتهت الصلاة قال لى : ماذا فعلت؟ لماذا تتحدث فى السياسة؟ عليك أن تأتى إلى الوزارة للتحقيق معك . . فذهبت إلى الوزارة وكان مدير المساجد حينذاك الشيخ سيد زهران الذى وجه حديثه إلى المفتش قائلاً له : ماذا فعل . . ألم يهاجم الإلحاد فعلاً؟! . فقد كنت داعية موظفًا ، وكنت أقول ما يمليه علىّ ضميرى الإسلامى ولم يضرنى أحد . . لأن الجبن هو من الداخل ولا شىء يمكن أن يجعل الإنسان جبانًا .

وقال : القضاة لديهم الحصانة التى تجعل القاضى يحكم بالعدل ويكون نزيهًا إلى أقصى درجات النزاهة . . ولكن هناك منهم من يجبن ويحيد عن قول الحق . . فهذا القاضى قد أتاه الجبن من داخله هو . . وليس لأنه موظف فى الحكومة .

وأضاف : إذن رجال الدعوة ورجال الإرشاد فى كل مكان فى استطاعتهم أن يقولوا الخير الكثير ولكنهم قد يجبنون جبنًا من داخلهم وليس خوفًا من الله . . وهذا هو الخطر . . والكثيرون لديهم الشجاعة والإخلاص لله وهم موظفون بالحكومة ولا يهمهم غير مرضاة الله .

وهناك حديث يقول : «**من أغضب الناس فى إرضاء الله رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أسخط الله فى إرضاء الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**» .

وقال : إن قول الحق لا يحتاج إلى كلام سيئ أو أسلوب سيئ . . إنه يمكن أن يصل إلى الناس بأسلوب لطيف . . فليست مهمة الدعاة أن يسبوا ويجرحوا فى الغير أيًا كان هذا الغير . . فقد رأينا الله سبحانه وتعالى وهو خالق السموات والأرض يقول لموسى : ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾[1] . . وقال : إذن مهمة الدعاة هى أن يقولوا ما يرضى ضمائرهم بأدب ولطف .

■ **ماهى البدع التى يرفضها الدين الإسلامى :**

اختراع أية بدعة فى الدين مرفوض كأن أقول إن الأكل باليد سنة . . هذه بدعة . . ليست دينًا ولكنها مجرد عادة من العادات . . إذن المرفوض أن أجعل من العادة عبادة . . والدين له من يشرعه . . له الله . . وأى شىء يستحدثه الناس ويجعلونه دينًا فهو ابتداع . . وعندما قال أحد خطباء المساجد أن الدعاء أثناء الوضوء بدعة وضلالة فهو مصيب ومخطئ . . مصيب لأنه لا يوجد أثناء الوضوء دعاء حقيقة . . وهى بدعة صغيرة . . وقد قسم العلماء البدعة إلى أربعة أقسام : أصلية وفرعية ، كلية وجزئية ، حقيقية وإضافية . . وهذه البدعة بالذات هى بدعة إضافية مثل الصلاة على النبى بعد الأذان . . والصلاة على النبى فى حد ذاتها دين . . لكن تخصيص هذا الوقت وهذا المكان لم يرد . . فإذا أتيت بشىء ليس فى الدين وتجعله دينًا فهذا من عندك . . لكن إذا كنت تنوى العبادة به فهذا لا يجوز . . وذلك كله يأتى رغبة فى إغلاق الباب فى إزعاج الناس بالزيادات ؛ لأن الإسلام إذا فتح باب الزيادة سيصير كبيرًا ومزعجًا للناس ؛ لأن الله إذا كان قد جعل الدين كيلو واحد فالزيادة ستجعله مائة كيلو وقد تتركه الناس .

ويبقى أن أقول إن الخطيب المشار إليه كان مخطئًا عندما قال إن ذلك ضلالة ولكنه يبقى أن الدعاء أثناء الوضوء بدعة وليس ضلالة .

■ حدث مؤخرًا نقاش وخلاف فى الرأى حول الأصل فى تعدد الزوجات . . فقال البعض إن الأصل فى أن يتزوج الإنسان بواحدة . . وآخرون قالوا إن الأصل فى التعدد فما هو رأى فضيلتكم فى ذلك؟ . – فضيلة الشيخ الغزالى : الأمر للإباحة . . والذى لا

(١) طه : ٤٤ .

يجد زوجة إذا لم يكن قادرًا على مئونتها فإنه يصوم . . فإذا كان متزوجًا بواحدة فلماذا يتزوج الثانية وهو غير قادر على مئونتها؟! إذن التعدد هنا ممنوع وليس جائزًا . . والخراب ليس في الإسلام . . الخراب موجود في عقول من يفتون وهم ليسوا أهلاً للإفتاء . . الإسلام هذا كائن حي له عقل وأعضاء وقلب . . إلخ . . وهؤلاء المخربون للإسلام ليس لديهم العقل ولكنه الشعر النابت فوق الجسم . . ويعتقدون أن العقل مسألة جزئية وبعيدة . . وهؤلاء أخلوا بالدين وجعلوا من رجليه رأسه ومن رأسه رجليه . . وهؤلاء ليس لهم وزن . . وبيني وبينهم حرب مستمرة في كتاباتي .

■ البعض يمنعون الدعاة من الإفتاء على مذهب أبي حنيفة ؟ .

- هذا نوع من العمى . . لأن أبا حنيفة مثل ابن حنبل . . وابن حنبل مثل أبي حنيفة . .

■ هناك ضجة الآن في الصحف الهندية هدفها التجريح في الإسلام وتقوم على أساس أن النبي (ﷺ) تزوج السيدة عائشة وعمرها تسع سنوات ؟ .

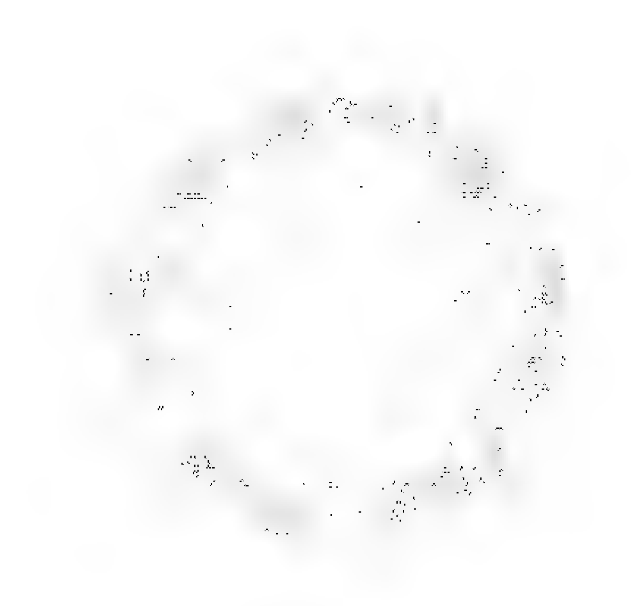
- الشيخ الغزالي : السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل أن يتزوجها النبي وذلك نظرًا لما كانت تتمتع به من نضج كبير . . وعندما تزوجها كانت أهلاً للزواج . . وهي كانت ناضجة جداً عندما تزوجها الرسول . . رغم صغر سنها وليس صحيحًا أن عمرها كان تسع سنوات وإنما كانت في حدود الثانية عشرة من عمرها . . ثم إن التقاليد وقتها كانت تسمح بذلك . . وهناك في الغرب بنات يحملن سفاحًا ويلدن وهن في سن الثانية عشرة نظرًا لنضوجهن فيكن غير طبيعيات . . وبعض الفتيات «يبلغن» في سن التاسعة .

منهج لتخريج الدعاة :

■ كيف يتسنى لنا أن نضع منهجًا لتخريج الدعاة الذين يؤمنون بالله ويحملون الصدق والإخلاص للعقيدة فعلاً . . سواء على القطاع الرسمي أو القطاع الأهلي ؟ .

- فضيلة الشيخ الغزالي : إن عملية وضع المنهج عملية سهلة . . فأنا أستطيع أن أضع منهجًا له أصول من الكتاب ومن السنة ومن التاريخ الإسلامي ، ومن أصول الفقه ، ومن تاريخ الشريعة الإسلامية ، ومن علم الملل والنحل ، ومن مقارنات الأديان ، ومن علوم النفس والاجتماع وما إلى ذلك . . ومن خلال التدريب على الخطابة ، وبعبادات دورية مثل البقاء في مسجد معًا على مدى أسبوع كامل نصلي الخمسة فروض جماعة ونسمع دروسًا ، ونناقش في حوار مفتوح وما إلى ذلك . . هذا ممكن .

أريد أن أقول إننا فاشلون فى تخريج الدعاة بينما غيرنا ناجحون . . فوضع منهج ليس معجزة ولكننا نحن المقصرون . . وأرجو ألا يكون عقابنا شديدًا . . وأنا أتوقع حقيقة أن الأمة الإسلامية والعربية بالذات ستواجه الكثير من المآسى خلال السنوات القادمة . . لأن إسرائيل سائرة نحو تحقيق استراتيجيتها أو هدفها وهو «الدولة التى تمتد من النيل إلى الفرات» . . وهى تعد الآن العدة لذلك . . وهل يعقل أحد أن الأربعة مليون سوفيتى الذين هاجروا إليها سيعيشون داخل إسرائيل . . هذا غير ممكن . . ونحن أمام مشاكل عويصة ولن ينقذنا منها إلا العودة إلى الإسلام ، والعودة إلى الإسلام تحتاج إلى دعاة مربين شجعان يقودون الجماهير قيادة راشدة وليست قيادة فاشلة .



عالمية الرسالة ووظيفة الأمة الإسلامية

كان الوحى الإلهى قديمًا يتخير بقاعًا من أرض لينزل بها كما ينزل الغيث فى مكان دون مكان .

لكن بعثة محمد عليه الصلاة والسلام كانت نقلة جديدة بالعالم كله ، وتحولاً فى حركة الوحى الإلهى على ظهر الأرض ، إذ جاءت الرسالة الأخيرة لكل بشر بعقل وبسمع ، ثم هى قد صحبت الزمان فى مسيرته ، فإذا انتهى جيل من الناس فإن الجيل الذى يليه مخاطب بها مكلف أن يمشى فى سناها .

والإجماع معقود بين المسلمين على عموم الرسالة وخلودها . ونريد أن نلقى نظرة على الآيات التى دلت على عالمية الرسالة لنستخلص منها حكمًا محددًا . .

قال تعالى فى سورة التكوير : ﴿ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾[١] .

وقال فى سورة القلم :

﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢)** ﴾[٢] .

وقال فى سورة سبأ :

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٣] .

وقال فى سورة الفرقان :

﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾[٤] .

وقال فى سورة الأنبياء :

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[٥] .

---

(١) التكوير : ٢٦ ـ ٢٨ . (٢) القلم : ٥١ ـ ٥٢ . (٣) سبأ : ٢٨ .
(٤) الفرقان : ١ . (٥) الأنبياء : ١٠٧ .

وقال فى سورة يوسف :

﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(١) .

وقال فى سورة الأنعام :

﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾(٢) .

وقال أيضا فى السورة نفسها :

﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ** ﴾(٣) .

وهذه الآيات كلها مكية ، أى إن عالمية الرسالة تقررت منذ بدأ الوحى ، وفى الأيام التى كانت الدعوة فيها تعانى الأمرين .

كان القرآن يقرر أنه رسالة للعالم كله فى الوقت الذى كان فيه أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد ﷺ رسولاً لهم وحدهم !!

ولم تنزل بالمدينة آية تتحدث عن هذه العالمية ، اكتفاء بما تمهد فى صدر الدعوة إلا آية واحدة من سورة الأحزاب هى قوله جل شأنه ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾(٤) .

محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين والقارات الست لن يطرقها من السماء طارق إلى قيام الساعة .

وختم النبوة تقرير لهذه العالمية ، فإن القارات الست إلى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق ، ولن يجيئها من عند الله رسول ، وسيبقى محمد ﷺ وحده صوت السماء بين الناس إلى أن يحشروا للحساب فيقال لهم : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾(٥) .

---

(١) يوسف : ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٢) الأنعام : ١٩ .
(٣) الأنعام : ٩٠ .
(٤) الأحزاب : ٤٠ .
(٥) الروم : ٥٦ .

وآية ختم النبوة صدقتها الأيام المتتابعة ، فها قد مضت أربعة عشر قرنًا وما نزل من السماء وحى .

وقد حاول الاستعمار الأوروبى أن يضع يده على مخبول فى الهند ، وآخر فى إيران ليصنع منهما أنبياء يكابر بهما نبوّة محمد ﷺ ، وهيهات هيهات فإن الأوروبيين أنفسهم احتقروا الرجل الذى صنعوه ، فما تبع أحدهم نبى الهند ولا نبى العجم ، وبدأت اللعبة تنكشف ويفرّ عنها المستغفلون !!

إن الصباح العريض الذى بزغ مع رسالة محمد ﷺ سوف يظل وحده النور الذى يغمر العالم ويملأ الأفق إلى أن يأذن الله بانتهاء الحياة والأحياء .

وإنما لفتنا النظر إلى أن الآيات الناطقة بعالمية الرسالة مكية كي ندحض فرية لبعض المستشرقين الذين زعموا أن محمدًا ﷺ بدأ عربى الرسالة معنيًا بقومه وحدهم ، فلما نجح فى إخضاعهم أغراه النجاح بتوسيع دائرة الدعوة ، فزعم أنه للخلق كلهم .

وهذا تفكير متهافت بيِّن السخف ، فقد رأيت بالاستقراء أن عالمية الرسالة تم التصريح بها فى أوائل ما نزل من الوحى . !!

ثم نسأل : متى تم خضوع العرب لمحمد ﷺ ، حتى يغريه النجاح بمزيد من التوسع؟ إن مكة التى طاردته لم تفتح له إلا قبل الممات بسنتين اثنتين ، فأين استقرار النصر ، والتطلع إلى إخضاع الدنيا ، وهو لم ينته من الجزيرة العربية؟!

إن هذا الكفر الاستشراقى لم يلق حفاوة من عاقل ، ولذلك نخلص منه لنقرر حقائق أخرى نابعة من هذه الحقيقة المؤكدة ، إن محمدًا ﷺ رسول العالم من رب العالمين . . .

وأول ما نقرره أن هذه الصفة انفرد بها محمد عليه الصلاة والسلام ، فكل الأنبياء من قبله محليون ، رسالتهم محدودة الزمان والمكان ، ابتداء بآدم إلى عيسى عليهما السلام .

والنصارى يرون أن رسالة عيسى عليه السلام عالمية ، وينطلقون بها فى كل مكان ليبلغوها وينشروها ، ونحن نحب نبى الله عيسى عليه السلام ونعتقد أنه رسول حق إلى بنى إسرائيل خاصة :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[1] .

---

(١) الصف : ٦ .

على أن النصرانية التى تشيع بين الناس اليوم ، وتساندها قوى كثيرة ، تخالف رسالات السماء كلها ، إذ هى فلسفة تجعل من عيسى عليه السلام إلهًا أو شبه إله ، إلهًا يرسل الرسل ، وينزل الكتب . ويغفر الذنوب ويحاسب الخلائق!! والنصرانية بهذا المفهوم المستغرب ، لا يعنينا أن تكون عالمية أو محلية ، لأنها شيء آخر غير ما نزل به الوحى على سائر الرسل . قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[1] .

إن هذه النصرانية الجديدة لا تتصل بعيسى الذى مهد لمحمد عليهما الصلاة والسلام . كما لا تتصل بعيسى الذى بلغ تعاليم إبراهيم وبنيه- عليهم السلام- ومن ثم فهى فى نظرنا منهج بشرى مستقل بأفكاره عما قبله وعما بعده . . . ورسل الله يصدق بعضهم بعضًا ، ويمهد السابق للاحق ما استطاع . ورسالة محمد ﷺ أقامت مفهوم العالمية فيها على أن الدين واحد من الأزل إلى الأبد ، وأن الأنبياء إخوة فى التعريف بالله والدلالة عليه واقتياد البشر إليه . إن القرآن الكريم جمع فى سياقه الباقى كل ما تناثر على ألسنة النبيين من عقائد وفضائل . ولذلك فإن الإيمان بهم جميعًا مطلوب ، والكفر بأحدهم انسلاخ من رسالة محمد ﷺ نفسه .

ومن الطبيعى أن تبدأ الرسالة عملها فى بقعة ما من أرض الله ، وقد شرع النبى العربى المحمد يعلم الأميين من عبدة الأوثان ، ويرشد الحائرين والجاحدين من أهل الكتاب ، وبعد تسع عشرة سنة من الدعوة الدائبة استطاع أن يظفر من الوثنية الحاكمة بحقه فى الحياة وحق من يتبعونه فى العيش بدينهم والتجمع عليه .

عندما نال هذا الحق فى معاهدة الحديبية وأصبح له موضع قدم يستقر فيه ويدعو منه ، أخذ يرسل إلى أهل الأرض ، يبلغهم الحق ، ويفتح عيونهم على سناه .

ومن أهل الأرض يومئذ؟ الروم غربى الجزيرة وشمالها ، والفرس فى الناحية المقابلة ، وحكام آخرون يعيشون فى جوارهم أو يدورون فى فلكهم !

هل كان وراء الرومان من يفهمون الخطاب شمالى أوروبا أو وسطها؟ أو وسط إفريقية وجنوبها؟

كانت هناك قبائل الجرمان والسكسون والغال والوندال ، وقبائل أخرى مشابهة لها فى إفريقية ، وكانت هناك وراء الفرس شعوب وصفها ذو القرنين بأنهم لا يكادون يفقهون قولاً ، على أية حال إن النبى المبعوث للعالم أرسل إلى إمبراطور الروم وملك

(١) الأنبياء : ٢٥ .

الفرس ، وحاكم مصر ، ونجاشى الحبشة ، وإلى الأمراء المنتشرين حول الجزيرة يدعوهم إلى توحيد الله واعتناق الإسلام .

لعله بدأ بالجيران الذين يلونه ، فبلغ أمر ربه حتى إذا أتم هدايتهم تجاوزهم إلى من يلونهم من أجناس البشر . أو لعل الفكر البشرى فى هذه الآونة لم يبلغ درجة الوعى وأهلية الخطاب إلا فى هذه البقاع المتحضرة التى ظهرت فيها جمهرة الرسالات السماوية من قديم .

على أية حال فإن اليقظة الإنسانية التى بدأت فى جزيرة العرب ما كانت نهضة جنس متفوق ، ولا طمح زعيم متطلع ، بل كانت حركة قبيل من الناس اختارتهم العناية العليا ليربطوا جماهير البشر بالله الواحد ، وليسيروا فى هذه الدنيا وفق هداه لا وفق هواهم .

﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾(١) .

وأكذب الناس على الله وعلى عباده من يزعم الإسلام طورًا من أطوار البعث العربى .

إن هذا الكلام لا يساويه فى الرخص والفقاقة إلا ما تضمنه من إفك وتضليل ، فإن محمدًا عليه الصلاة والسلام ، رفض رفضًا باتًا أن يكون للعرق ، أو اللون ، أو الثورة رجحان فى موازين الكرامة الإنسانية ، والمحور الذى دار عليه الإسلام هو التوحيد فى العبادة والتشريع والوجهة والولاء .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٢) .

وقد قلنا ولا نزال نقول : إن الله ربى محمدًا ﷺ ، ليربى به العرب ، وربى العرب بمحمد ﷺ ليربى بهم الناس ، فرسالة العرب أن يكونوا جسورًا لهدايات السماء ، وأن يعلموا الخلق ما تعلموه من الخالق .

وإذا كانوا تلامذة لخاتم الرسل ، فهم- بما درسوا- أساتذة للشعوب الأخرى ، تتلقى عنهم وتستضىء بهم . وهذه المكانة للأمة العربية مكانة عالية حقًا ، بيد أنها لا تقوم على الدعوى ، بل على البلاغ ، ولا تقوم على البطالة بل على التضحية .

---

(١) إبراهيم : ١ - ٢ .

(٢) الأنعام : ١١٥ .

وتوضيحًا لرسالة المسلمين العالمية ، وتحديًا لموقفه المتميز بين الناس ، يقول الله تعالى لهم : ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾(1) .

وفى موضع آخر يقول سبحانه : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾(2) .

ونلحظ أن شهادة المسلمين على الناس تقدمت فى نص وتأخرت فى نص آخر ، وسواء تقدمت أم تأخرت فالمقصود ما قلته بإيجاز فى أحد كتبى : «إن الله ربى محمدا ليربى بـه العرب ، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس كافة » .

ولا ريبة فى أن محمدًا عليه الصلاة والسلام قام بما فرض الله عليه ، وأنه أنشأ من العرب المعزولين عن حضارات العالم أمة لا نظير لها فى سناء المعرفة ، وزكاة الأخلاق ، وشرف الحضارة ، وأن هذه الأمة التى صاغها محمد فى قالب جديد أضاءت المشارق والمغارب ، وأعادت الحياة المادية والأدبية لجماهير من البشر ظلت ترسف دهرًا فى الجهالة والعبودية . . ونحن نشهد بذلك بعد بضعة عشر قرنًا من بعثته ، كنا أصفارًا ثم صرنا شيئًا مذكورًا! فهل يشهد لنا العالم بما نشهد به نحن لمحمد؟

أو بعبارة أخرى : هل وصّلنا للناس القول كما وصّله هو إلينا ، ونقلناهم بالوحى كما نقلنا هو به؟ إن سلفنا الأول أدى ما استطاع من واجب البلاغ وعبء التعليم والتربية ، ثم شرع الأخلاف ينطوون على أنفسهم أو يشتغلون بشئونهم وينسون أنهم شهداء على الناس وهذا التقصير بدأ ضئيلاً ثم تنامى على الأيام . والمسلمون الآن بين خمس العالم أو ربعه ، وأغلب سكان القارات لا يدرى شيئًا عن رسالة الحق ، أو يدرى عنها ما لا يشرفها ، وما لا يغرى بالنظر فيها بله اتباعها .

لقد أتاح الله للعرب كل الإمكانات لتبليغ دعوة الله إلى الناس ولذلك فمسئوليتهم كبرى وسؤالهم أمام الله عن البلاغ عظيم .

إن المسلمين- والعرب خاصة- مسئولون أمام الله عن هذه الجهالة السائدة ويخيل إلى أن ناسًا من أستراليا وأمريكا عندما يوقفون أمام الله يوم القيامة ليسألهم : لماذا لم تعرفونى معرفة صحيحة ، وتعملوا لى عملاً صالحًا ، وتستعدوا لهذا اللقاء؟ فإنهم سيقولون لله : إن العرب الذين ورثوا دينك حبسوا نوره ، أو أطفئوا مصابيحه ، وتركونا وتركوا أنفسهم فى ظلام !!

(1) الحج : 78 .

(2) البقرة : 143 .



وأترك الحديث عن قصور الدعوة وعطل أجهزتها إلى أمر آخر أخطر وأنكى ، إن غشًا واسعًا تسلل إلى ثقافتنا الإسلامية ونال من جوهرها ومظهرها . . إن أكذوبة الغرانيق التى بسطها الطبرى فى صفحات ، وأسهب فى الحديث عنها محمد بن عبد الوهاب ، هذه الأكذوبة مثل لاضطرابات فكرية وسياسة مبتوتة العلاقة بالدين ، نريد أن ننحيها عن ديننا كما نُنحِّى القذى عن الوجه الجميل لتبدو له وسامته .

والحمد لله أن القرآن الكريم مصون ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾[1] وأن السنة المطهرة يعرفها الحفاظ والفقهاء ، وأنها تعد فى جملتها تراثًا صادقًا لم يعرف التاريخ نظيرًا له فى النقاء .

ونحن عندما نعرض الإسلام على الناس إلى آخر الدهر- يعيننا على نشر عقائده وقواعده أمران مهمان :

الأول : مواثيق الفطرة التى أخذها الله على الناس من ظهور آدم ، فنحن أصدقاء هذه الفطرة ، نعتمد على سلامتها ، ونرد المنحرفين إليها ﴿ **لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾[2] .

واحترامنا للعقل قائم ، ونزولنا على منطقه حتم ، وعدونا فى هذه الحياة التقليد البليد والتعصب الأعمى ، وسلاحنا العتيد ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾[3] ، وفى كل معركة تشتجر فيها الأدلة لا بد أن يخرج الإسلام منتصرًا . ومن ثم لا نشعر ونحن نخوضها بأى قلق .

الأمر الآخر : لفت الإنسان ـ بعد نفسه ـ إلى ما حوله! ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾[4] وفى المعارف الكونية والإنسانية ألف سائق إلى الله الحق .

وكل تقدم علمى هو دعم لرسالتنا ، مهما كانت البيئة التى ظهر فيها ، قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[5] .

---

(١) فصلت : ٤٢ . (٢) الروم : ٣٠ . (٣) الأنبياء : ٢٤ .
(٤) الأعراف : ١٨٥ . (٥) فصلت : ٥٣ .

التعتيم على حقائق الإسلام تبذل فيه جهود هائلة ، ويشارك فيه شياطين الشرق والغرب معًا .

وإن كنا يخامرنا الأسى لحال المسلمين فى القرون الأخيرة ولمستواهم العلمى الهابط ، ولغيابهم عن المجامع العلمية الناشطة ، وقد كان من أثر الغياب أن ألف بعض الأوروبيين رسالة عن أثر «ألف ليلة وليلة فى التشريع الإسلامى»! والتعتيم على حقائق الإسلام تبذل فيه جهود هائلة ، ويشارك فيه شياطين الشرق والغرب ، حتى ليكاد الدين الصحيح يستخفى من دنيا الناس ، فماذا نعمل للنهوض بأعباء المنصب الكبير الذى اصطفانا القدر له بعدما أورثنا القرآن الكريم؟ وكلفنا أن نتعلمه ونعلمه للآخرين ؟

قبل الإجابة المفصلة عن هذا السؤال أود أن أقرر أمورًا ذات بال !

أولها : أن دار الإسلام لم تنصف الوحى الذى شرفت به ، ولم تحسن القيام عليه .

ثانيها : أن العالم- بعيدًا عن ديار الوحى وفى غياب تعاليمه- لم يقف مكتوف الأيدى ، بل خط لنفسه مناهج عديدة من عنده ، اختلط فيها الصالح والطالح .

ثالثها : أنه منذ سقوط بيزنطة ، وافتتاح المسلمين للقسطنطينية ، اكتشف الأوروبيون أمريكا ، واستولوا على الأندلس ، وبدأ عصر الإحياء ، ووقعت طفرة علمية لم تعرف الدنيا شبيهًا لها منذ بدء الخليقة ، كما استقرت نظم اجتماعية وسياسية كثر الحديث فيها عن حقوق الإنسان وكرامات الشعوب !

وأخيرًا كان الوجود الإسلامى خلال هذا التحول العالمى يتقلص ويتراجع حتى أمسى أطلالاً بالية مع مرور القرن الرابع عشر للهجرة !!

وقد اضطررت- وأنا أتحدث إلى الأخلاف الحيارى- أن أضع عشرة تعاليم جديدة تنضاف إلى التعاليم العشرين التى وضعها رجال سبقونا إلى الله وكانوا أئمة فى ميدان الدعوة والإصلاح لترميم العالم الإسلامى وتصحيح فهمه لدينه وعمله به ، والواقع أن الجهاد العلمى فى معركة البناء فريضة لازمة ، وإذا لم ننتصر فيه فسيكون عقابنا شديدًا .

ولا بأس أن أعيد هنا المبادئ العشرة التى اقترحتها[1] ترشيدًا لمسيرة الإصلاح عندنا . . . . !

١ - النساء شقائق الرجال ، وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وللنساء- فى حدود الآداب الإسلامية حق المشاركة فى بناء المجتمع وحمايته .

(١) دستور الوحدة الثقافية .

٢ - الأسرة أساس الكيان الخلقى والاجتماعى للأمة ، والمحضن الطبيعى للأجيال الناشئة ، وعلى الآباء والأمهات واجبات مشتركة ، لتهيئة الجو الصالح بينهما ، والرجل هو رب الأسرة ، ومسئوليته محدودة بما شرع الله لأفرادها جميعًا .

٣ - للإنسان حقوق مادية وأدبية تناسب تكريم الله له ، ومنزلته الرفيعة على ظهر الأرض ، وقد شرح الإسلام هذه الحقوق ودعا إلى احترامها .

٤ - الحكام - ملوكًا كانوا أم رؤساء - أجراء لدى شعوبهم ، يرعون مصالحها الدينية والدنيوية ، ووجودهم مستمد من هذه الرعاية المفروضة ، ومن رضا السواد الأعظم بها ، وليس لأحد أن يفرض نفسه على الأمة كرهًا أو يسوس أمورها استبدادًا .

٥ - الشورى أساس الحكم ، ولكل شعب أن يختار أسلوب تحقيقها ، وأشرف الأساليب ما تمحّص لله ، وابتعد عن الرياء والمكاثرة والغش وحب الدنيا .

٦ - الملكية الخاصة مصونة بشروطها وحقوقها التى قررها الإسلام ، والأمة جسد واحد ، لا يهمل منها عضو ، ولا تُزدرى فيها طائفة ، والأخوة العامة هى القانون الذى ينتظم الجماعة كلها فردًا فردًا ، وتخضع له شئونها المادية والأدبية .

٧ - أسرة الدول الإسلامية مسئولة عن الدعوة إلى الله ، وذود المفتريات عنها ودفع الأذى عن أتباعها حيث كانوا وعليها أن تبذل الجهود لإحياء الخلافة فى الشكل اللائق بمكانتها الدينية ، فهل نقوم بهذا الواجب؟

٨ - اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء ، وإنما تنشب الحروب إذا وقع عدوان ، أو حدثت فتنة ، أو ظُلمت فئات من الناس .

٩ - علاقة المسلمين بالأسرة الدولية تحكمها مواثيق الإخاء الإنسانى المجرد ، والمسلمون دعاة لدينهم بالحجة والإقناع فحسب ، ولا يضمرون شرًا لعباد الله .

١٠ - يسهم المسلمون مع الأمم الأخرى- على اختلاف دينها ومذاهبها- فى كل ما يرقى ماديًا ومعنويًا بالجنس البشرى ، وذلك من منطلق الفطرة الإسلامية ، والقيم التى توارثوها عن كبير الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

تلك هى المبادئ العشرة التى أقترح إضافتها .

ولمن شاء أن يقبل أو يرفض .

ولنذكر هنا أن من الأخطاء التاريخية التى أساءت إلينا طويلاً جهلنا بغيرنا وقصورنا عن إدراك أحوالهم العامة ، وقد يكون هذا الغير خصمًا ضاغنًا أو عدوًا مزعجًا .

ولذلك ننبه هنا إلى عدة أمور جديرة بالاهتمام ليكون عملنا وفق تخطيط محكم وهذه الأمور هى :

إن أكثر الغارات التى قَوَّضت بنياننا الحضارى كانت تشبه الزلازل المباغتة ، لا يعرف لها وقت أو تتخذ لها أهبة!! وقد سقطت لنا عواصم ، وضاعت من دار الإسلام أقطار ، والمسلمون فى غفلات أول الليل التى يقول فيها الشاعر :

يا نائم الليل مسرورًا بأوله

إن الحوادث قد يطرقن أسحارًا

كذلك طاحت الأندلس ، وكذلك تطيح لنا اليوم أرضون فى آسيا وإفريقية وأوروبا .

كانت دراستنا للآخرين صفرًا ، مع أن الآخرين كانت تغلى مراجلهم ، ولا يفتئون يفكرون فى النيل منا والإتيان على ديننا من القواعد !

أكنا نتدبر الآية الكريمة : ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾[1] .

وإذا كنا نسينا هذا النذير الإلهى ، فكيف ننسى أحداث تاريخ طويل ترادفت مآسيه علينا ، ولا تزال تنذر بالويل والثبور؟ إننا جزء من عالم موار بالحركة ، وقد تحولت خطاه إلى وثبات فسيحة فى هذا العصر ، وأعداؤنا يصارحون بكراهيتهم العميقة للإسلام ، وتخطيطهم للإتيان عليه .

فحتى متى نجهل ما حولنا ؟ يجب أن نندم على هذا الخطأ ونتحرز بعد من الوقوع فيه . . . وأرى أن يتكون جهاز ذو نشاط مزدوج ، كلاهما يضارع الآخر فى القدرة واليقظة .

النشاط الأول يقوم على الأسس الآتية :

(أ) سبر الارتقاء الثقافى والإحاطة بالآماد التى بلغها غيرنا حتى نعرف من نخاطب ، وماذا نقول ؟

(ب) إدراك المستوى العمرانى والصناعى والحضارى الذى يسود العالم من حولنا ،

(١) البقرة : ٢١٧ .

فإن من الهزل أن تعرض الإسلام أمم متخلفة ، ينظر إليها غيرنا شزرًا ، ولا تستطيع أن تساند حقها بدعائم مادية أو علمية .

(جـ) دراسة التيارات السياسية والقوى العسكرية التى حظى بها غير المسلمين ، وتقدير ما نقدمه للأديان والمذاهب الأخرى من دعم ، ووضع ذلك تحت أنظار المسئولين .

- أما النشاط الثانى فهو داخلى يتحرك فى دار الإسلام ويقوم بما يأتى :-

(أ) محاربة الغش الثقافى والانحراف الفكرى اللذين أبعدا الأمة الإسلامية عن كتاب ربها وسنة نبيها ، وجعلاها صورة مشوهة للدين الحق ، وأعجزها عن نصرته .

(ب) إعادة بناء الأمة الإسلامية على أساس أن الوحى حياة ، وأن دراسة الكون أهم ينابيع الإيمان ، وأن حسن استغلاله سلاح اقتصادى وعسكرى خطير .

(جـ) كرر القرآن فى أربعة مواضع السمات الأولى لرسالة محمد ﷺ ، وهى تلاوة آيات الله على أنها منهاج العمل ، وتربية الأمة على الأخلاق المتينة والتقاليد الطاهرة ، وهذه هى التزكية التى لا نكاد نعى منها شيئًا طائلاً ـ وتعلم الكتاب والحكمة . ونحن للأسف بعيدون عن الحكمة فى أغلب شئوننا ، ولا نرتبط بمعانى الكتاب وأهدافه . . ولكى يكون انتماؤنا للإسلام واقعًا ملموسًا لا بد من إبراز هذه السمات الثلاث ماديًا ومعنويًا .

(د) غربلة التراث الإسلامى الذى آل إلينا فى هذا العصر لاستبقاء ما يوافق الكتاب والسنة واستبعاد ما عداه ، ونحن أصحاب وحى معصوم ، وفى تاريخنا العلمى قمم وأئمة ، قد تختلف أفهامهم فى الفروع الثانوية ولكنهم قلما يختلفون فى الأصول والغايات .

من الضرورى تكوين جهاز راصد كشاف يرقب العالم والعالم الإسلامى وتكون مهمته وشغله الشاغل حراسة الرسالة الخاتمة وعلاج ما يساورها من عطب والتنبيه إلى ما يهددها من كيد ، وتحذير الأمة مما يدبر لها ثم لفت الأجهزة والإسلامية الكثيرة كى تؤدى واجبها .

ومن الممكن جمع شتات العالم الإسلامى مع صدق النية وسعة الأفق . ذلك والجهاز الذى أقترحه ينبغى أن يعمل بعيدًا عن الأضواء مكتفيًا بنظر الله إليه ، كما ينبغى أن يكون مساعدًا لجميع الأجهزة الإسلامية القائمة ، مثل مجمع البحوث فى مصر ورابطة العالم الإسلامى فى السعودية .

للشيطان جهود قديمة فى صرف الناس عن الحقيقة ، قد تظهر فى إبعادهم عنها وتجرئتهم عليها ، وذلك بالعصيان السافر أو الخافت أو بمنهج آخر أسوأ هو تشويه الحقيقة نفسها والأخذ من أطرافها أو من صميمها .

إن البدعة قد تكون أقبح من المعصية!!

والدين منذ آدم ونوح ومن بعدهما تعرض للنوعين معًا ، فالأصنام التى حاربها نوح شمالى الجزيرة العربية- فى أعلى العراق عادت إلى الجزيرة نفسها ، فكان من العرب من يتسمَّى : عبد «ودّ» وعبد «يغوث» . . وقد بنى إبراهيم الكعبة حصنًا للتوحيد ، ومثابة للركع السجود ، وسرعان ما حوَّلها العرب إلى موئل للأصنام تقصد من دون الله ، أو معه !!

وموسى الذى استنقذ قومه من حكم الفراعنة تحوَّل قومه إلى فراعنة ، وتحوّل التوحيد فى ديانته إلى تجسيد وخرافة ، كما تحوّل فى ديانة عيسى إلى تثليث وقرابين ، واختفت معالم التوحيد النازل على إبراهيم وموسى وعيسى ، فلا يعرف لها وجود . وفى الصحف المنسوبة إلى أولئك النبيِّين خلط هائل وشرود بعيد . . ومع أن رسالة محمد نجت من هذا البلاء الماحق ، ومع أن أصولها بقيت نقية محفوظة ، إلا أن الشيطان لم ييأس من إلحاق قذى بها يظهر فى تفسيرات بعض القاصرين ، وتطبيقات بعض ذوى الأهواء . . وقد رأيت من يستميت فى تقرير أن الإسلام توسع بالسيف وأكره شعوبًا على الدخول فيه بالقوة !

وفى سبيل ذلك يلغى أو ينسخ أكثر من عشرين ومائة آية أولها قوله تعالى ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . .** ﴾[1] .

ورأيت من يجادل بغضب فى إقامة الحكم على الشورى ، ويرى أن الشورى نافلة ، يرجع إليها الحاكم إذا شاء ، وأن الإسلام لا يكترث لأجهزتها ولا لضماناتها ، وينظر إلينا ونحن نتحدث على أننا مسحورون بالأنظمة الغربية ، نريد نقلها إلى أرض الإسلام .

وغنى عن البيان أن هؤلاء أعوان الفرعونية الحاكمة أو ممهدو الطريق أمامها . وهناك نفر من الناس ينهمك بمحاربة السنة إذا قلت : إن للفلك حسابًا محكمًا يمكن أن نعرف به مولد الهلال ومغيبه ، وهو ينظر إلى قصة رواد القمر على أنها من الإسرائيليات الملفقة .

---

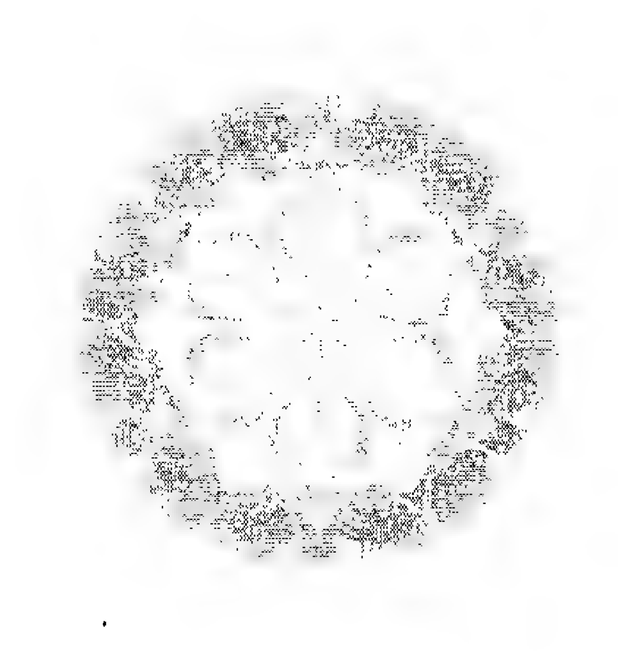
(١) البقرة : ٢٥٦ .

إن العـقـيـدة- فى المنطق الإسـلامى- لا تثـبت إلا من نص قطعى الدلالة والثبوت[1] . والمرويات الأحـادية يقـبلهـا من يقـبلهـا ، ويأباها من يأباها ، ويؤولهـا من يؤولها ، فما معنى استحيائها فى هذا العصر وشغل الأذهان بها . . أهى فتنة للناس؟!!

من أجل ذلك نريد أن ننظر فى ثقافتنا الإسلامية- المعاصرة لنعيدها إلى قواعدها الأولى . .

وكتابنا معصوم جملة وتفصيلاً ، والسنة فى جملتها ثابتة ، ضبطها الفقهاء ، والعلماء الثقات بما ينفى عنها الأوهام ، ويجعلها ضميمة إلى القرآن الكريم ، لا تندُّ عنه ، ولا تبعد عن هداه . .

ولا ريب أن للسنن المتواترة حكم القرآن نفسه .



(١) ما نقرره هنا هو مذهب جماعة المسلمين ، ولا اعتبار للشواذ .

لاسنة بغير فقه

إن جو الفقه والفتوى وتربية الأمة وتبصير أولى الأمر شأو يستبعد منه قصار الباع والهمة والفكر ، ويستحيل أن يحيا فيه المتطاولون الذين يحسنون الهدم ولا يطيقون البناء . . . نقول ذلك كله لنلفت الأنظار إلى خاصة بارزة فى ثقافتنا القديمة هى أن عمل الفقهاء أكمل جُهد المحدثين وضَبَطَهُ وأحسن تنسيقه ويسَّر الإفادة منه . ومن ثم قاد الفقه حضارتنا التشريعية فى أغلب العصور . .

والتأمل فى الآثار الواردة يجعل وظيفة الفقهاء لا محيص عنها ، ويجعل الاستقصاء المباشر من السنة صعبًا على العامة ومن فى منزلتهم من ذوى النظر القريب ، ذلك أن هناك قضايا وردت فيها آثار متقابلة ، وقضايا أخرى لا ينفرد بالبتِّ فيها حديث فذ . .

«روى مالك قال : بلغنى أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تكارى أرضًا فلم تزل فى يديه حتى مات !

قال ابنه : فما كنت أراها إلا لنا من طول ما مكثت فى يديه! حتى ذكرها لنا عند موته وأمرنا بقضاء شىء كان من كرائها ، ذهب أو ورق» . وهذا الحديث يجيز استئجار الأرض لزراعتها .

وروى الشيخان عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ إلى أرض وهى تهتز زرعًا فقال : «لمن هذه ؟» .

قالوا : اكتراها فلان ، قال : **«لو منحها إيَّاه كان خيرًا من أن يأخذ عليها أجرًا معلومًا»** .

وفى رواية عن رافع بن خديج : سألنى رسول الله ﷺ : **«كيف تصنعون بمحاقلكم؟»** قلت نؤاجرها على الربع ، وعلى الأوسق من التمر والشعير! قال : **«لاتفعلوا ، ازرعوها- يعنى بأنفسكم- أو أزرعوها- أى امنحوها غيركم- أو أمسكوها !** قال رافع : قلت سمعًا وطاعة . .!

وللفقهاء كلام فى هذه المرويات ، فمنهم من رفض الإيجار حيث تجب المواساة والتراحم ، وأباحه فى الأحوال العادية ، ومنهم من رفضه إذا كان هناك غبن أو غرر ، ومنهم من أبطل المزارعة! ومنهم من أباحها! وكلاهما غلب بعض النصوص على بعض آخر لملحظ ما ، وليس هنا مكان التفصيل !

وقبل أن نورد نماذج أخرى ننبه إلى أن العقائد والعبادات الرئيسية والسنن العملية جاءت كلها عن طريق التواتر القاطع ، وأن أصول الدين وأركان الطاعات وقواعد السلوك لا يرتقى إليها لبْس أو تفاوت ، وإنما يحدث الخلاف فى أمور ثانوية لا يضخمها إلا أصحاب الفكر المختل !

ما قيمة أن يشرب امرؤ قائمًا أو قاعدًا؟ لقد جاءت مرويات شتى فى ذلك !

صح عن الخمسة ـ ماعدا أبا داود ـ عن ابن عبَّاس رضى الله عنهما قال : سقيت رسول الله ﷺ من ماء زمزم فشرب وهو قائم .

«وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشى ، ونشرب ونحن قيام» أخرجه الترمذى وصححه .

وعن مالك أنه بلغه أن عمر وعثمان وعليًا كانوا يشربون قيامًا . . . وظاهر من هذه المرويات جواز الشرب عن قيام . ومع ذلك فقد روى مسلم عن أنس بن مالك قال : نهى رسول الله عن الشرب قائمًا ، بل روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يشربن أحدكم قائمًا! فمن نسى فليستقئ . . !»** .

ويرى الفقهاء أن الشرب عن قيام مباح ، وأنه عن قعود أفضل ولا حرمة فيما لو شرب قائمًا . . ويخيل إلىَّ أن الأحوال التى تكتنف المرء هى التى تحدد طريقة شربه ، فلا عزيمة فى القعود ولا جريمة فى القيام ، وإن كان بعض الفارغين يريد أن يجعل من الحبة قبة ، وأن يكثر حولها اللغو !!

ومن المرويات التى تحدثت فيها إحدى الإذاعات أخيرًا ما جاء فى الأمور التى تبطل الصلاة ، فقد تعلمنا ونحن صغار أن الصلاة لا يقطعها شىء ، وأن مرور إنسان أو حيوان أمام المصلى لا يفسد صلاته . وقد أخرج الستة– ماعدا الترمذى– عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنازة فإذا أراد أن يوتر أيقظنى فأوترت . . .

وروى أبو داود والنسائى عن الفضل بن العباس رضى الله عنهما قال : زارنا النبى ﷺ فى بادية لنا ، ولنا كليبة وحمارة فصلى بنا العصر وهما بين يديه فلم يزجرا ولم يؤخرا !!!

وظاهر من هذه الأحاديث صحة الصلاة فى الأحوال التى وصفتها! ومع ذلك فقد روى مسلم أن الصلاة ـ من غير سترة ـ يقطعها الكلب الأسود والمرأة والحمار ، وأن الكلب الأسود شيطان! وقد استنكرت عائشة هذا الكلام ، واستغربته ، وذكرت ما يردّه!!

وأغلب الأئمة أن الصلاة لا يقطعها شيء ، وهم يتجاوزون حديث مسلم ولا يأخذون به !

وهناك من أخذ به وبنى عليه مذهبه . . وقال لى أحدهم : إن السيدة عائشة لم تكن مارة بين يدى المصلى حتى تبطل صلاته!! فقلت ضاحكًا : مرور المرأة أمام المصلى يبطل صلاته ونومها أمامه لا يبطلها!! والأمر عندى أهون من أن تثور حوله معركة . . ولكن الذى رفضته أن يتصدى أحد أولئك المبطلين لعلم الأحياء ، ويهاجم مقرراته ليقول : إن الكلب الأسود شيطان وليس كلبًا كبقية بنى جنسه !! قلت : حديث رفض العمل به جمهور الفقهاء ، ولم يروه البخارى ، وهو يعالج الموضوع ، فكيف ندخل به معركة ضد العلم باسم الإسلام والمسلمين!! إن التعصب المستغرب لوجهة نظر فرعية لا يبلغ هذا الشطط ، ولكنه للأسف مسلك ملحوظ على عدد ممن يشتغلون بأحاديث الآحاد .

ومن نماذج المرويات المتقابلة ما جاء فى طريقة البول ، فقد وردت آثار بجوازه عن قيام ، وجاءت أخرى بمنعه ، وروى عن ابن مسعود : إن من الجفاء أن يبول الرجل قائمًا! قالوا : الجفاء خلاف البر واللطف .

والذى أراه أن ذلك يتبع الأحوال التى تكتنف الإنسان ، وفى الأمر سعة ، على أن الأمر المثير للقلق أن تجد بعضهم يعرف أطرافًا من المرويات ، يكترث بها وحدها ويذهل عن غيرها ، ثم يذهب يتحدث عن الإسلام دون فقه أو رويَّة .

روى أحدهم حديث : «**ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النَّار**» ثم حكم على الألوف المؤلفة من عباد الله أنهم من أهل جهنم! قلت له : إن إسبال الإزار كبرًا رذيلة ، وقد كان فى الجاهلية الأولى شارة الرياسة والملك ، وقصة الأمير جبلة بن الأيهم معروفة ، أما طول الإزار حتى الكعبين أو دونهما قليلاً لستر الجسم وتجميله دون اغترار ولا استكبار فهو لايدخل النَّار! فأبى المتحدث أن يستمع إلى شرحى ، وعدَّنى من علماء السوء الخارجين عن السنة . .!

ونظرت إليه وهو كميش الثوب ، بالغ الاعتداد برأيه ، وقلت له : إذا كان الكبر بطر الحق وغمط الناس- كما عرَّفه الرسول الكريم ﷺ - فأنت متكبر ، ولو ارتديت ثوبًا إلى الركبتين !!

ورأيت نفرًا من هؤلاء يغشَوْن المجامع مذكرين بحديث أن أبا الرسول ﷺ فى النار! وشعرت بالاشمئزاز من استطالتهم وسوء خلقهم !

قالوا لى : كأنك تعترض ما نقول؟ قلت ساخرًا : هناك حديث آخر يقول : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ فاختاروا أحد الحديثين . . . قال أذكاهم بعد هنيهة : هذه آية وليست حديثًا! قلت : نعم جعلتها حديثًا لتهتموا بها ، فأنتم قلما تفقهون الكتاب !!

قال : كانت هناك رسالات قبل البعثة ، والعرب من قوم إبراهيم وهم متعبدون بدينه . .!

قلت : العرب لا من قوم نوح ولا من قوم إبراهيم وقد قال الله تعالى فى الذين بعث فيهم سيد المرسلين : ﴿ **وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ** ﴾[1] .

وقال لنبيه الخاتم :﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[2] .

كل الرسالات السابقة محلية ، مؤقتة ، وإبراهيم وموسى وعيسى كانوا لأقوامهم خاصة !!

وللفقهاء كلام فى أن أبوى الرسول ﷺ فى النار ، يردُّون به ما تروون . . لقد أحرجتم الضمير الإسلامى حتى جعلتموه ليستريح يروى أن الله أحيى الأبوين الكريمين فآمنا بابنهما ، وهى رواية ينقصها السند ، كما أن روايتكم ينقصها الفقه ، ولا أدرى ما تعشقكم لتعذيب أبوين كريمين لأشرف الخلق؟ ولِمَ تنطلقون بهذه الطبيعة المسعورة تسوون الناس ؟

إن المرويات تتعارض فى ظاهر الأمر ، وهنا يدخل علماء الفقه والأثر للتنسيق والترجيح ، وقد يصح السند ولا يصح المتن ، وقد يصحان جميعًا ويقع الخلاف فى المعنى المراد ، وهذا باب واسع جداً . . ومنه نشأ ما يسمى بمدرسة الأثر ومدرسة الرأى ، والأولون أقرب إلى الفقه الظاهرى ، وإن خالفوه كثيرًا . . والآخرون أوسع دائرة وأبصر بالحكمة والغاية ، وكلاهما إلى خير إن شاء الله !!

وعندما يخالف أثر صحيح ما هو أصح منه يسمى شاذًا ويرفض ، وعندما يخالف الضعيف الصحيح يسمى متروكًا أو منكرًا ، وقد رأيت ناسًا يبنون كثيرًا من المسالك على هذه المتروكات والمناكر باسم السنة ، والسنة مظلومة مع هؤلاء الجهال . .

(١) سبأ : ٤٤ .

(٢) القصص : ٤٦ .

ضرورة العناية بالقرآن الكريم:

ولست أقرر جديدًا فى هذا الميدان ، والذى أرانى مضطرًا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه ، فإن ناسًا أدمنوا النظر فى كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورًا ، فنمت أفكارهم معوجة ، وطالت حيث يجب أن تقصر ، وقصرت حيث يجب أن تطول ، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس ، وبردوا حيث تجب الثورة! نعم مِنْ هؤلاء مَنْ ظن الأفغانيين من أتباع أبى حنيفة لا يقلون شرًا عن الشيوعيين أتباع كارل ماركس ، لماذا؟ لأنهم وراء إمامهم لا يقرَون فاتحة الكتاب (!) .

والذهول عن المعانى الأولية والثانوية التى نضح بها الوحى المبارك لا يتم معه فقه ولا يصح دين . . ذكر أبو داود حديثًا واهيًا جاء فيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تركب البحر إلا حاجًا أو معتمرًا أو غازيًا فى سبيل الله ، فإن تحت البحر نارًا ، وتحت النار بحرًا**» هذا الحديث الضعيف المردود خدع به الإمام الخطابى ، وعلل النهى عن ركوب البحر بأن الآفة تسرع إلى راكبه ولا يؤمن هلاكه فى غالب الأمر . .!! والكلام كله باطل ، فقد قال المحققون : لا بأس بالتجارة فى البحر ، وما ذكره الله تعالى فى القرآن إلا بحق . قال عز وجل : ﴿ **وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[1] .

إن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور فى إدراك معانيه القريبة أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية لا يداويها إدمان القراءة فى كتب السنة ، فإن السنة تجىء بعد القرآن ، وحسن فقهها يجىء من حسن الفقه فى الكتاب نفسه . وقد ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعى قال : «كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن» فكيف يفقه الفرع من جهل الأصل ؟

إن الوعى بمعانى القرآن وأهدافه يعطى الإطار العام للرسالة الإسلامية ، ويبين الأهم فالمهم من التعاليم الواردة ويعين على تثبيت السنن فى مواضعها الصحيحة . . .

فالإنسان الموصول بالقرآن دقيق النظر إلى الكون ، خبير بازدهار الحضارات وانهيارها ، نير الذهن بالأسماء الحسنى والصفات العلى ، حاضر الحس بمشاهد القيامة وما وراءها ، مشدود إلى أركان الأخلاق والسلوك ومعاقد الإيمان ، وذلك كله وفق نسَب لا يطغى بعضها على بعض وعندما يضم إلى ذلك السنن الصحاح مفسِّرة للقرآن ومتممة لهداياته فقد أوتى رشده .

---

(١) فاطر : ٢ .

والمسلم الذى يحترم دينه وأمته لا يرى الصواب حكرًا عليه فيما يعتنق من وجهات النظر ! قد يرى الصمت وراء الإمام عبادة ، ولكنه لا يزدرى أو يخاصم من يرى القراءة عبادة! وقد وسعت جماهير الأمة هذه السماحة من عصور طوال ، وقامت مذاهب كثيرة متحابة ، حتى جاء من يرى فى الحديث رأيًا ، خطأ كان أم صوابًا ثم يقول : هذا هو الدين ، لا دين غيره !!

لقد خامرنى الخوف على مستقبل أمتنا لما رأيت مشتغلين بالحديث ، يتحولون إلى أصحاب فقه ، ثم إلى أصحاب سياسة تبغى تغير المجتمع والدولة على نحو مارَوَوْا ورأَوْا . .!!

إن أعجب ما يشين هذا التفكير الدينى الهابط هو أنه لا يدرى قليلاً ولا كثيرًا عن دساتير الحكم وأساليب الشورى ، وتداول المال وتظالم الطبقات ، ومشكلات الشباب ومتاعب الأسرة وتربية الأخلاق . . ثم هو لا يدرى قليلاً ولا كثيرًا عن تطويع الحياة المدنية وأطوار العمران لخدمة المثل الرفيعة والأهداف الكبرى التى جاء بها الإسلام .

إن العقول الكليلة لا تعرف إلا القضايا التافهة ، لها تهيج وبها تنفعل ، وعليها تصالح وتخاصم !

هزرت رأسى أسفًا وأنا أرمق مسار الدعوة الإسلامية !

إن الرسالة التى استقبلها العالم قديمًا استقبال المقرور للدفء ، واستقبال المعلول للشفاء . . هانت على الناس فلم يروا فيها ما يستحق التناول ، وهانت على أهلها فلم يدروا منها ما يرفع خسيستهم ، ويحمى محارمهم . . !

ويبدو أن الهبوط عم الدين واللغة معًا ، فهان الأدب هوان الإيمان ، ورسب المبنى والمعنى جميعًا فى قاع بعيد القرار . . .

كنت أقرأ صحيفة «الجزيرة» فاستوقفنى عنوان عن القلق والإبداع والأدب المعاصر . وأدهشنى وأنا أقرأ أن المتنبى ذكر اسمه فى سياق واحد مع نزار قبانى . . . المتنبى الحكيم يقول فى تصوير المجد وتكاليفه :

لا يـدْرِكُ المَجْـدَ إلا سَيِّـدٌ فَطِـنٌ ... لما يَشُـقُ على السَّادَاتِ فَعالُ..!

لا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا كَسَبَتْ ... ولا سؤولٌ بِغَيْرِ السيفِ سـأل !

والقبانى يقول فى رثاء امرأته :

السيف يدخل لحم خاصرتى وخاصرة العبارة !

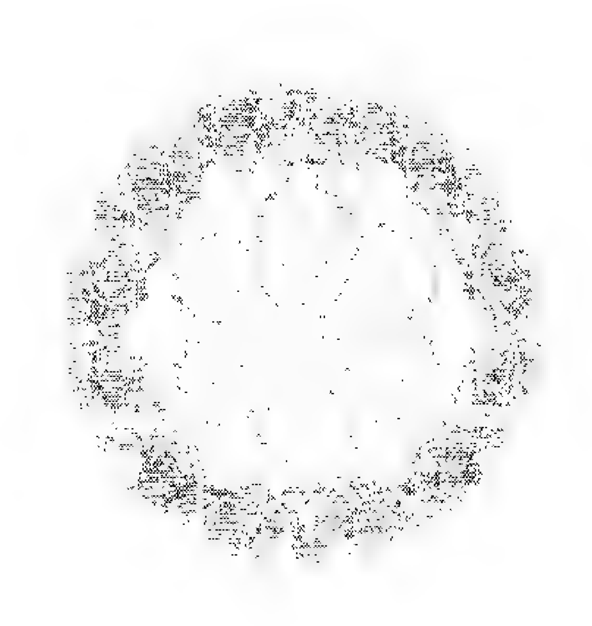
كل الحضارة أنت يا «بلقيس» . . . والدنيا حضارة !

الحق أنى استنكرت الجمع بين الحكمة والقمامة ، بين الأدب فى الأوج والأدب فى القاع !

بيد أنى عدت إلى نفسى أقول : إن ما وقع فى ميدان الشعر والنثر صورة مساوية لما وقع فى ميدان الدعوة ، أليس مضحكًا أن يدخل داعية فى مسجد ، فينظر إلى المنبر ثم يقول : بدعة!! لماذا؟ لأنه من سبع درجات ، ويرى أن يقف على الثالثة لا يعدوها . . ثم يرى المحراب فيقول أيضًا : بدعة . . لماذا؟ لأنه مجوف فى الجدار ، ثم ينظر إلى الساعة ويقول : بدعة . . لماذا؟ لأنها تدق كالجرس . . وأخيرًا يتكلم فيخوض فى موضوع غث ، لاينبه غافلاً ولا يعلم جاهلاً ، ولا يكيد عدواً . . المهم عنده الاستمساك بالسنة . . .!!!

أى سنة تعنى؟ إن النبى العربى المحمد ﷺ قدر بسنته على إحياء أجيال بدلت الأرض غير الأرض ، وحطمت إمبراطوريات ذاهبة فى الطول والعرض ، إنه ﷺ أنعش بسنته جماهير كانت فى غيبوبة ، وأطلقها تسعى بعد ما أضاءها من الداخل فعرفت المنهج والغاية!!

إننا بحاجة إلى شعاع على مسار الدعوة ، وحقيقة السنة ، فكم ظلمت السنة ممن يتشدقون بها .



الفكر الإسلامى بين التقوقع المعجز والانفلات الضال

الإسـلام دين مـعصوم . الكتـاب كـما قال منزّله : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[1] . والسنة فى جملتها معصومة ، فيها الخير كله ، وفيها السند الذى تحتاجه الإنسانية لتسير فيه .

معنى أن الكتاب معصوم وأن السنة معصومة أن أى مخالفة للكتاب أو جحد لما فيه خروج عن الإسلام ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[2] .

إذا أمر الله :

خرسـت لأمــر اللــه أنفسنـا	لمـا تكلـم فـوقها القــدر

إذا قال الله فلا كلام لأحد ، متى ثبت للرسول كلام خضعنا له ، هذا هو الإسلام .

أما الفكر الإسلامى ، وهو عمل العقل فى فهم النص ، عمل العقل الإنسانى فى فهم النص الدينى كتابًا كان أو سنة ، فهذا العمل أو هذا الفكر ليس بمعهود ، فقد يخطئ الإنسان عندما يفكر ، وقد يجتهد ويحيد عنه الصواب . والمجتهدون من فقهائنا اختلفت وجهات نظرهم أو بالمصطلح العام : «اختلفت مذاهبهم لأسباب» . فقد يختلفون مثلاً لطبيعة اللغة العربية . خذ مثلا حرف الجر :

﴿ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾[3] هل الباء للإلصاق كما يقول الأحناف ، فربع الرأس يكفى . . إلصاق اليد ، هل هى للتبعيض فشعرات الرأس تكفى ، هل الباء زائدة كما يقول مالك ، فلا بد من مسح الرأس كله . . ليكن . . وجهات نظر . . الخلاف موجود . . الفكر الإسلامى هنا قائم . حقيقة أو مجازًا ﴿ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ هل اللمس حقيقة أو مجازًا عن نوع معين من اللمس . . اختلاف . . الخلاف الذى لفت نظرى وفيه شىء من الطرافة ؛ جمهور الفقهاء كما درسنا مذاهبهم ، يرى أن «الظهار» فيه عتق رقبة أو صيام شهرين أو طعام ستين مسكينًا . ابن حزم له رأى خالف به الفقهاء ، أو الخلاف سببه حرف جر ، يقول الله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾[4] إلى أن يقول . .

---

(١) الإسراء : ١٠٥ . (٢) الأحزاب : ٣٦ . (٣) المائدة : ٦ . (٤) المجادلة : ٣ .

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾[1] . . إذن فما معنى :

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا . . ﴾ كل الأئمة قالوا : «يعودون فيما قالوا» لكن ابن حزم رجع فى كلامه وقال : لماذا اللام هنا بمعنى فى لأن الآية التى بعدها فى نفس السياق : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ فاللام بمعنى هنا . وبنى على هذا أن الظهار الأول لا كفارة فيه ، والظهار الثانى هو الذى تلحقه الكفارة . . هو رأيه !!

إنما أردت أن أذكر سبب الخلاف من الناحية اللغوية ، قد يكون هناك خلاف بسبب المزاج الفكرى أو المزاج النفسى . وما معنى المزاج الفكرى هذا ؟ الحقيقة أن هناك بعض الناس طبيعتهم العقلية «نص» وبتعبيرنا العادى والشائع الآن «حاصى» ، هناك بعض الناس طبيعتهم العقلية تتبع الفحوى أو المقصد أو يعرف الأسرار من التشريع أو الأمر والنهى ، وهذا ظهر فى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما أصدر الأمر إلى جيشه ، قال : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة**» . . انتهى . . الجيش سمع الكلام . . لكن فى الطريق اختلفوا . . النصيون أو الحرفيون قالوا لا صلاة إلا فى بنى قريظة ولو نصلى العصر بعد المغرب . أما أصحاب الفحوى فقالوا إن هذا غرضه الاستعجال وليس غرضه أن نضيع الوقت ، واختلفوا . . فصلى بعضهم فى الطريق ، وصلى بعضهم فى بنى قريظة . . وابن تيمية يرى أن الذين صلوا فى الطريق كانوا أولى بالحق من غيرهم . على كل حال الأمر واحد ؛ خلاف عادى لا قيمة له ، فهذا مزاج فكرى أو طبيعة فكرية .

هناك طبيعة نفسية ، مثلاً من خطب امرأة فى العدة ، عمر يقول يفرق بينهما ثم تحرم عليه إلى الأبد . لماذا؟ طبيعة عمر فى الصرامة . . أما غيره فيقول لا ، يفرق بينهما ، ويعود خاطبًا من الخطاب بعد انتهاء العدة كغيره من الناس ، يعامل كغيره من الناس . إذًا فهذا اختلاف سببه المزاج ، وترى هذا المزاج ليس الهوى ولكن الطبيعة النفسية- تمث ذلك فى أسرى بدر ، حيث قال أصحاب الشدة والصرامة ؛ «يقتل الأسرى» أما أصحاب الحلم والأناة فقالوا نعتقهم ونأخذ بديلاً ننتفع به فى رفع حالة المسلمين الاقتصادية ، إلى آخره .

(١) المجادلة : ٤ .

فالخلاف موجود فى الفكر الإسلامى منذ بدأ . . الخلاف فيه موجود ، وأنا لا أتشاءم من الخلاف ولا أقلق منه ، ورب العالمين اعتبر الخلاف من طبيعة الخلق ، ولكن يكره أن يكون الخلاف سبب فوضى خاصة بين الدهماء والعوام ، فهناك شئون عسكرية وشئون مدنية يقع فيها خلاف فلا يجوز أن تتبعثر بين الجماهير فتسود الفوضى . وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾[1] . أهل الاستنباط ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[2] بتعبير العصر الحاضر «الأخصائيون» هذا هو التعبير الدقيق لها ، والذى لا يتعرف عليه أن يرجع إلى القاموس فى هذا .

الأخصائيون ، هم الذين يُسألون ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ فالذكر هو الفكر ، ومن فضل الله على هذه الأمة أنه وسع دائرة الفكر ، وقبل النتائج ، وفيه ما ليس فى غيره فى دنيا الناس .

هنا رأيان لعلماء الأصول ، رأى يقول ، «كل مجتهد مأجور ، أخطأ أم أصاب» كلاهما سواء ، لكن جمهور العلماء ، على أن للمخطئ أجر واحد وللمصيب أجران . وهذا هو الرأى الشائع عند المسلمين ، أى إن المخطئ لا كفر ولا فسق عن أمر الله ، ولكنه أخطأ . لكن الخطأ يكون بعد حيثياته العلمية ، مثل خطأ الطبيب الذى يبذل جهده العلمى ثم تجىء النتائج على غير ما توقع ، أما إذا كان الخطأ عن إهمال أو عن تكاسل أو عن قلة اكتراث فهذا شىء آخر يعتبر تقصيرًا ، ويعاقب عليه .

فأنا أبذل جهدى العقلى ، إما أخطأت أو أصبت ، فهذه مسألة الله أعلم بها . ولكن أنا مأجور على الحالين ، وعلى هذا سار التاريخ الإسلامى حقيقة . وقد لاحظت أن المجتهد أبعد الناس عن الغرور بما وصل إليه .

أبو حنيفة قيل له : رأيك هذا الذى تقول هو الحق الذى لا شك فيه ، قال لعله الباطل الذى لا شك فيه ، ومع أن أبا حنيفة إمام أهل الرأى ورئيس مدرسة الفكر أو فقه الرأى من الناحية الإسلامية ، نجد على المقابل له : الإمام الشافعى ، واضع علم الأصول وأول من تحدث فى حديث الآحاد ورجحه وقواه وسانده ، ومع ذلك الخلاف

---

(1) النساء : ٨٣ .　　(2) النحل : ٤٣ .



الذى بينه وبين أبى حنيفة ، عندما سئل عنه قال : «الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة» . هذا بالرغم أن بينهما خلاف شديد ، هذه هى عظمة النفس البشرية عندما تتمخض ، ويصقلها الحق وتطلب مصلحة الأمة ، وتبذل الجهد لكى يتضح لكتاب الله وسنة رسوله ، وعامة المسلمين وخاصتهم . ونرجو من الخلف أن يأخذوا هذا وأن يتعرفوا عليه .

لقد دخلت الأزهر ، وأنا لا أعرف شيئًا ، حفظت القرآن ، ودخلت الأزهر لا أدرى شيئًا عن الفقهاء ولا مذاهبهم ، لكن أبى قال لى : التحق بالأزهر على مذهب أبى حنيفة ، وهناك أناس من قريتى دخلوا على مذهب الإمام الشافعى وبعضهم على مذهب الإمام مالك ، كان حظى أن أتعرف على الفقه الحنفى ، فلما كبرت ودرست الفقه الحنفى من عدة كتب بدأت أنظر إلى فقه المذاهب الثلاثة الأخرى وأطلع عليها . . لا أقول أطلع عليها اطلاع دارس ، لكن اطلاع متجلٍ ، يعرف ما يعنيه من القضايا التى قد يكلف بدراستها أو يرى لأمته حاجة إليها ، ثمَّ وجدت بعد ذلك أنه لا بد من الاطلاع على الفقه الزيدى والفقه الإمامى والفقه الظاهرى والفقه الفلسفى كما قدمه ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزيه ، وفقه الحديث .

(السنة) كما قدمه الشوكانى والصنعانى ، وفى هذه الأيام ، الألبانى وسيد سابق . . أنا لا أتشاءم من الخلاف وأعرف وجهات النظر ، لكنى ـ وهذا شىء أحب أن أذكره عن نفسى من باب الأمانة ـ لست من هواة الدراسات الفقهية ، ولا أميل إليها ولا أميل إلى دراسة القانون ولا أحب الاطلاع عليه . الشىء الذى استهوانى منذ بدأت أفكر هو دراسة العقائد والعلوم الإنسانية والملل والنحل والفلسفات وما إلى ذلك ، وعلى ضوئها تخصصت فى الدعوة الإسلامية ومضيت فى الطريق .

فلما مضيت فى الطريق بضع سنين قليلة ، وجدتنى مكرهًا على أن أرجع إلى الفقه لكى أدرسه مرة أخرى ، وأنا كما قلت لكم لست من هواة هذه الدراسة ، ضائق بها ، هذه طبيعتى . . ولكن لما اضطررت أن أرجع إلى الفقه مرة أخرى . . كان السبب أننى وجدت عوائق تعترض الدعوة الإسلامية سببها آراء فقهية ، بل كادت هذه العوائق فيها أن تطيح بالدعوة فى ميادين تصطدم فيها الدعوة بزحف صليبى أو بزحف شيوعى ، قلت سبحان الله ، الإسلام يضيع بسبب هذه الخلافات ، أى بلاء هذا!!؟ أنا لا بد أن أعود مرة أخرى للدراسات الفقهية لكى أتسلح وأطلع وأقاوم ، وفعلاً عدت . . أنا وجدت فيمن اشتغلوا بالفقه فى عصرنا ، وجدت شيئًا ، عبته ، مثلاً وجدت ناسًا يعيشون فى ماضيهم لا يعرفون كيف أن الحياة سارت؟ سمعت فى إذاعة إسلامية

بأذنى والله ، رجل يشرح الفقه ويقول «فى القصاص حياة» نعم «النفس بالنفس» نعم «العين بالعين» نعم «الجروح قصاص» ، فجاء فى «الشجاج» وأنا قرأتها فى مذهبنا الحنفى قراءة عابرة ، ثم قال : إذا أصيب أحد بعاهة لا يمكن القصاص فيها فماذا نفعل له . فكانت الفتوى هكذا : نقومه عبدًا ، ونرى كم ثمنه وهو سليم؟ وكم ثمنه بعد العاهة؟ والفرق بينهما يدفعه الذى ضربه . الرجل يعيش فى أسواق النخاسة!! افترض أن هذا الرجل- لا يوجد عبيد الآن- كأنه حمار جرح فإذا كان يساوى ١٠٠ جنيه وهو سليم ، وبعدما جرح أصبح يساوى ٧٠ جنيها ، إذن فعلى الضارب أن يدفع ثلاثين جنيهًا !!

هل هذا فقه؟ يعرض فى هذا العصر!! أى فقه هذا؟ شىء آخر ، لقد شكا لى شخص من تونس ، وقال لى ، يا أخى ، هناك شخص من الخليج دخل مكتبة الكونجرس ، والسواك فى يده يحركه يمينًا ويسارًا فى فمه . يمنيًا ويسارًا والناس تنظر له باشمئزاز!! فقال لى : صحيح أن السواك عندكم سنّة أيها المسلمون ؟

فقلت له : يا أخى إن السواك سنة مشروعة للصلاة والوضوء . . لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك فى كل صلاة ، إنما لا يدخل مكتب عام أو برلمان أو كونجرس أو مكتبة ، ويدخل بالسواك وهو فى حنكه ، فهذا غير صحيح . ومع ذلك فالمقصود من السواك ليس «عود الأراك» ولكن المقصود «نظافة الفم» فى أى مكان : كل ونظف بالفرشاة ، انتهى . فرشاة الأسنان مع المعجون تكفى وتنظف أسنانه!! فيقول لى : كلا ، ويمسك السواك ويريد أن يدخل به المدرج عندى بالجامعة!! هل أطرده؟ نعم طردته! قلت له : كلا ، لا أقبل هذا الإسلام ، الدين النظافة ، ولا أحب أن يبصق هنا فى هذا المكان .

الأسوأ من هذا ، أنهم كانوا بادية ، فقال لهم الرسول هى بالماء والحجر أى ثلاثة حجارة تنظف بها نفسك . والآن تريد فى القاهرة أن تحضر حجارة لكى تنظف بها نفسك ، وتضيع الصرف الصحى ، وتسد المجارى وتخرب لنا الدنيا بالحجارة . ما هو هذا الحجر؟ الأفضل أن تستخدم الورق ، فقال لى : مثل النصارى . قلت له ، أى مضارة؟!! ماذا يحدث لو نظفت نفسك بالورق ؟

فوجدت أن هناك عقولاً ضائعة ، دخلت ميدان الفقه ، وهى متقوقعة فعلاً فى مكان لا تخرج منه وهذا ليس بفقه إطلاقًا! هذا نوع من البلادة الذهنية تسترت بالإسلام ، والإسلام بعيد عن هذا ولا أصل لهذا .

فى الوقت نفسه وجدت أناسًا انفلتوا فعلاً ، فقال لى شخص ، إنا نراك مسرورًا من لجنة العفو الدولية . فقلت نعم . . سيدنا رسول الله قال : لقد شهدت فى دار ابن جدعان حلفًا لو دعيت به فى الإسلام لأجبت ، قلنا أناس ينصرون المظلوم ، ويكشفون عن آلام بعض المتعبين .

فقال : حرموا عقوبة الإعدام ، وأنا أرى أن نتبعهم فى هذا ، فأنت أزكيت عليه ويجب أن نتبعهم فى هذا!! فقلت له : لا نتبعهم فى هذا ، لأن عندنا نص **(فى القصاص حياة)** .

– تاتشر عندما كانت فى حزب المحافظين أقروا إلغاء عقوبة الإعدام ، فلما تولت السلطة وشعرت بضراوة المجرمين ، غيرت رأيها وقالت لابد من تنفيذ العقوبة . ومع هذا فأنا مع النص لأن الله أعرف بمصلحتى منى وبمصلحة الجماهير من الجماهير . عندما يكون النص حاسمًا ، أعلم أن مصلحة البشر فيه : **(فى القصاص حياة)** .

وربما أن سبب الاشتباك بينى وبين عبد الناصر فى مؤتمر الاتحاد القومى هذه القضية ، حتى وأنت تقوم بعمل روايات تمثيلية فى ضرر الأخذ بالثأر ، فقلت لعبد الناصر ، عندما يقتل شخص والدى ويدخل السجن ثمانى سنوات ثم يخرج ، فلا بد أن أقتله . أما أن تقول لى رواية تمثيلية من أجل الأخذ بالثأر لا يجوز من الناحية الاجتماعية!! كلا! خطأ! كان لا بد أن يقتل! من أين أتيتم بمعنى :

«سبق الإصرار والتربص» هذا كلام من عند الفرنسيين وليس من عندنا !

من قتل عمدًا يقتل ، وانتهى إلا إذا عفا ولى الدم انتهى الأمر . يعاقب بطريقة أخرى أو يترك عقابه . هذا كان سبب الخلاف بينى وبين عبد الناصر ، هناك أمور أخرى .

على كل حال النص يحترم . هناك واحد من الحكام قال إن الصيام يعطل الإنتاج ونلغى الصيام!! قلت له : ما هو الإنتاج الذى لديكم؟ بضعة معاصر زيت زيتون ، وبضعة قفف من العجوى . هذه هى التى سيعطل إنتاجها!! العجوى وزيت الزيتون!! من قال إن الصيام يعطل الإنتاج! هذا غير صحيح . هذا كذب لا أصل له .

إذن هناك انفلات فى بعض الاجتهادات ، وهناك وقوف غريب فى اجتهادات أخرى والأمر يحتاج إلى أن نرد الفقه إلى أهله ، والفكر إلى أصحابه ، وأردد كلمة الأحنف بن قيس :

«من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره» .

بلاء الشعوب الآن خاصة فى العالم الإسلامى ، أن من يبصر الرأى لا سلطان له ، وأن أكثر من لهم سلطان عميان لا يرون إلا ما فى أنفسهم من أهواء! هذا هو بلاء الأمة الإسلامية . فيجب أن يعود الفقه له رجاله الذين يجتهدون فيه وله أهله الذين يعملون فى ميدانه ، ومعهم الزاد الثقافى الواسع الذى يحتاجون إليه ولا بد منه كى يصدِّروا للأمم أحكامًا سليمة تتبعها الشعوب وهى مطمئنة . وهنا ألفت النظر إلى شىء كتبته فى بعض كتبى وهو أن الإسلام فيه نصوص لها قداستها لا تخترق أبدًا ، وهناك أخلاق أو مبادئ ترك لنا الحرية فى وسائل اختيارها ووسائل تطبيقها ، سوف أختار منها ثلاثة الآن .

العلم والشورى والجهاد

هذه قيم مؤكدة فى الأمة الإسلامية . .

العلم لا بد منه ، وكون الأمة فى عصرنا هذا تجعل التعليم مراحل ، ابتدائى فإعدادى فثانوى فجامعى ، لا بأس . تعليم مدنى وتعليم عسكرى ، لا بأس ، تعليم زراعى صناعى تجارى ، لا بأس . ليس لدينا وسائل محددة . والإسلام عندما طلب الصلاة حدد لها وسيلة واحدة هى الوضوء . فإذا فقدت ، فهناك وسيلة أخرى هى التيمم . فهنا الوسائل حددت . وهناك أشياء سكت الإسلام عن وسائلها! وتركها لنا ، فنحن يجب أن نتعلم والعلم يجب أن يشمل الأمة كلها . من الأكاذيب التى شاعت فى التاريخ الإسلامى للأسف ، وكانت من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية الأخيرة أن الأنثى حرمت التعليم ، وكان سبب الحرمان حديثًامكذوبًا رواه : المُسْتدرك الحاكم فى مستدركه «لا تعلموا النساء الكتابة» وكتاب الحاكم كله كتاب مُسوَّدَة ، مات غفر الله له قبل أن يصححه ، والأمة منعت من فتح مدرسة بنات بسبب هذا الحديث المكذوب . واتصل بى رجل من سويسرا وقال لى : يا فضيلة الشيخ ، لدى كتاب الآن ولا أذكر اسم المؤلف ، المجلد ٢٦ صفحة كذا يقول : والأمة أمية وقد نهى عمر عن تعليم النساء الخط ، فقلت له هذا كذب . النهى عن تعليم النساء الخط هذا كذب . أما أن الأمة أمية ، فالحديث ورد ، ولكن المعنى الموجود خطأ وغير صحيح ، فهو يصف واقعًا : «نحن أمة أمية لا تكتب ولا تحسب» العرب كانوا هكذا فعلاً ، أما هو (ﷺ) فما هى رسالته سوى محو هذه الأمية ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** ﴾[1] ، ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾[2] ، فلقد قلت لبعض

---

(١) البقرة : ١٢٠ .

(٢) العنكبوت : ٤٩ .

طلابى فى الجامعة : الذى يضع رسالته فى فقه عائشة أمنحه رسالة دكتوراه . لأن عائشة لها اعتراضات على أحاديث كثيرة ، وهناك ردود عليها ، والذى يستوعب علم أم المؤمنين ، ويرى كلام الفقهاء ، وكلامها مع الصحابة ، وكلام الصحابة معها يأخذ رسالة دكتوراه .

من قال إن المرأة فى الإسلام تمثال للجهل . فالعلم لا بد منه كالطعام والشراب بل أكثر . إننى الآن أشعر بالأسى ، لقد كنت فى الجزائر . فى الجامعة ـ الجامعة التى أنشأناها ، لأن التعليم الدينى ألغاه حاكم شيوعى هناك . فجاء بعده رجل له دين وشرف وخلق وإسلام فاتفق معنا وأنشأنا الجامعة ، وأعاننا الله ـ وفيها طالبات ، البنت تقول لى : إن والدنا يقول لنا ، ليس لنا تعليم ، يمنعنا من المجىء . والدولة تمنح للطالبات والطلاب مواصلات وأكل ، وهذا باسم الإسلام يريد أن يمنع بناته من العلم والتعليم! هذا بلاء! هذا عقل دينى غريب! أما مراكز الثقافة الفرنسية فإنها تعمل ويمدها كثيرون . وهناك نحل سارت مع القومية العربية ومع البعث العربى ، وكذا عربى . .! فوجدت أن هناك نزعات وجودية وإلحادية ومادية! والله ما تعترف أبدًا بالله ولا برسوله ، سوف تضيع الأمة الإسلامية ، وتريد أن تغرى البنات . لن أتركهم! أتركهم يضيعون! من أجل رجل أعمى الفقه لا يدرى!!كلا!!

الشورى : لا بد منها فى الإسلام ، ولكن ماذا تكون الشورى؟ الشورى لها صور كثيرة . وطبعًا صورتها المثلى أيام دولة الخلافة الراشدة . ولكنى عندما أنظر للشورى أجد أن الحكم رئاسى فى الولايات المتحدة ، وفيها شورى . والحكم ملكى فى إنجلترا وفى هولندا وفى الدانمارك وفى السويد وفيها شورى عظيمة جداً . ألَكُمْ فى فرنسا شورى؟؟ رئيس الجمهورية يختاره الشعب . رئيس الجمهورية فى إيطاليا يختاره مجلس النواب . صور الشورى مختلفة . الجماهير تختار الصورة ، لكن المهم عندى ألا يكون هناك استبداد أعمى . الآن الاستبداد الأعمى أكل الشعوب واغتالها . بينما أجد بعض الذين يدرسون الفقه يؤخر الشورى ، وليس على باله إطلاقًا . هذا ليس من الإسلام! وهو لا فقه له ، أما بالنسبة للجهاد :

الجهاد : وسائله تغيرت فى عصرنا هذا ، فالجهاد له أوضاعه وله تعاليمه ، ولكن الآن تغيرت الدنيا ، الجهاد الآن في البر والبحر والجو ، وليس بالسيف والرمح ، بالقوس والنبل ، كلا ، لقد أصبح جهادًا علميًا . الآن لكى تقيم أجهزة جهاد ، لابد أن يكون لدينا كليات فى الفيزياء والكيمياء والأحياء ، والجيولوجيا والفلك ، وفى شتى علوم البر والبحر .

والأمة الإسلامية عندما خرجت من الجزيرة ، الإسلام رفع خسيستها ، فقد كانت أمة لا تعرف إلا الجمل! يقول ابن خلدون : لما وجد العرب أنفسهم قد ملكوا جنوبى البحر (أى البحر المتوسط) أى مصر وليبيا والمغرب ، وشرق البحر فهو معهم فقالوا لا بد من أساطيل وسفن ، إذن باسم الإسلام العقل الإسلامى تفتح «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» . ولكن هؤلاء أناس فى البر . كلا . يجب أن يتعلموا فصنعوا الأسطول الرومانى ، فى إيطاليا واليونان وصقلية وسردينيا وكورسيكا كان يفر منهم ، لماذا؟ لأنه ضرى عليهم كما يضرى الأسد على فريسته !! .

إذن لقد علمهم الإسلام ركوب البحر ، وعندما أرى حديثًا فى البخارى ، الرسول نائم عند أم حرام بنت ملحان ، فرأته فاق ثم ابتسم واستيقظ . فقالت له م تضحك يا رسول الله؟ فقال : «**أناس من أمتى ملوك على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ، يركبون هذا البحر غزاة فى سبيل الله**» فقالت له : ادع الله أن يجعلنى منهم ، ثم نام مرة أخرى واستيقظ يردد نفس الكلمات : أناس من أمتى يركبون سبح هذا البحر كأنهم ملوك على الأسرة غزاة فى سبيل الله ، أنت من الأولين . فماتت وهى فى الأسطول الذى أعده معاوية لكى يحاصر به القسطنطينية من الجنوب كى يمتلكها جنده من الشمال . ولم تفلح الخطة ، وماتت المرأة فى قبرص ويعرف قبرها «بقبر المرأة الصالحة» وأنا متأكد أنه لو أن هذه المرأة فى عصرنا هذا قالت للقائد ادع الله أن يجعلنى منهم ، فكان سيقول لها : أنت امرأة ماذا يخصك من هذا (أو باللهجة المصرية : أنت يا امرأة دخلك إيه!!) كيف تذهبين إلى الغزو فى البحر!! أنت اجلسى فى بيتك وليس لك إلا البيت !!

الفكر الإسلامى تغير كثيرًا ، وكان فكرًا مفتوحًا أيام الرسالة الأولى وكان منفتحًا على ثقافات العالم كلها ، وكان أصحابه يمسكون بالقلم الأحمر بعدما نقلتهم الدعوة الإسلامية نقلة حضارية رحبة .

وبعد ذلك أجد الدكتور محمد يوسف موسى ، أخذ رسالة الدكتوراه من جامعة السربون فى موضوع عن ابن رشد ، يقول لى يا غزالى ، يرى الأوروبيون أن عدد قواعد الفلسفة الإغريقية ثمانية عشر ، فهذا أبو حامد الغزالى تلميذ من تلامذة محمد عليه الصلاة والسلام ، وكل ما عنده فقه عميق فى الإسلام ، بل بلغ من سطوته العقلية أن يقول : يقول أرسطو كذا وله أن يقول كذا! أى يأتى بأدلة لأرسطو ثم يقر بالحجة المضادة على ما قال أرسطو وعلى ما افترضه هو ، ويهدم هذا كله!! فالعقل الإسلامى! كان عقلاً مفتوحًا . الفقه كان فقهًا مفتوحًا ، وهذا الفقه المفتوح ، رواه الأوائل فى ميدان

الفقه العبادى والمعاملات ، ومعنى المعاملات أى الدماء والأموال والأعراض أى الفقه الضرائبى والفقه الدستورى ، هذا ما اشتغل به أئمتنا .

أبو حنيفة كان له تلميذان أو ثلاثة ، أبو يوسف له مؤلف فى الخراج أى الضرائب ، ومحمد بن الحسن الشيبانى له كتاب : «فى السر الكبير» وهو فى العلاقات الدولية ، وله مدرسة أوروبية تسمى مدرسة الشيبانى فى الفقه الدولى .

فعندما أنظر إلى الفقه الإسلامى قديمًا وكيف أن تلامذة الفقهاء تجاوبوا مع الدولة ومهدوا لها كيف تتعامل مع الآخرين وكيف تفرض الضرائب فى الداخل فإنهم بالإسلام اشتغلوا أما الآن فليس لدينا شىء . الفقه دخل دورة المياه ولم يخرج . فقه المتأخرين ، ثم شغل نفسه بتوافه عجيبة ، ودون وعى مع ما يقع فى الخارج . ولذلك فهناك ضمور غريب فى الفقه الدستورى والفقه الدولى وفقه العمل ، والعمل ينقل من نقابات وقوانين العمل والعمال فى الخارج . لماذا لأن هناك مؤلف فى الأصول اسمه «الحاصل» وجاء بعده مؤلف آخر «المحصل» وثالث اسمه«التحصيل» وكل هذا يمضغ نفس العلكة ولا يوجد جديد! وهكذا! فالأمر يحتاج إلى أن الفكر الإسلامى لا بد أن يتفتح ويعود إلى أصالته الأولى .

مالك جرح وكسرت ذراعه ؛ من الضرب الذى حدث له .

ولكن السؤال : من الذى ضرب مالكًا؟ إنه كلب ذهب وانتهى فى التاريخ وتبقى مالك ، ملء الأرض . أيضًا فإن حسن البنا قتله شخص نكرة ، لا أحد يعرفه ، ولكن بقى حسن البنا خالدًا فى الآخرين وإن شاء الله يخلد مع الصحابة والتابعين .

إذن قصة تاريخ الفكر الإسلامى وتاريخ الفقه ، والتاريخ للرجال التى تقود العقول وتقود النهضات وتقود الأمم . أنا أريد من أمتنا أن تعرف نفسها لكى تعرف فكرها .

هناك شىء كتبته فى هذا الموضوع سوف ألخصه لكم : أولاً قلت لكم فى يوم من الأيام : إن الله ربى محمدًا ليربى به العرب ، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس أجمعين . الناس أجمعين ، هل هم الروم والفرس فقط ، كلا الناس أجمعين تعنى منذ بعث إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فى القارات كلها .

إذن فالأسلاف عرفوا ما عندهم ، فكل شبر معمور من أرض الله مشوا ووصلوا إليه وبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ، الآن أين العرب؟ الحقيقة أن العرب كان ينبغى أن يكونوا



فى الأولين دماغ الإسلام وقلبه (أى عقله وعاطفته) فالقرآن عربى ، والكعبة عربية ، والرسول عربى ، والثقافة عربية !!

أنظر فأجد الأمة الإسلامية العربية الآن تتسكع فى مؤخرة القافلة البشرية لا تعرف لها رسالة !!

هناك طالب من طلابى قال لى : هل رأيت جريدة الأهرام؟ قلت له : ماذا فيها؟ قال : هذا الولد الشيوعى كتب مقالاً فيها يقول فيه ما يدافع به عن الشيوعية أو يعتذر عن شىء . قلت : ألا تعرف : أن هناك أناسًا من العرب كانت تعبد الجن وبقى هؤلاء يعبدون الجن التى أسلمت!! أى إن الشيوعية انهزمت وتركها أصحابها ولا زال العرب الشيوعيون يعبدون الشيوعية ، إنهم بهائم !!

قلت له يا بنى ، إن العيب ليس منهم ، هؤلاء العميان! ولكن العيب ممن يحمل أمانات الفكر الإسلامى!! قلت له : نحن الذين نسمى علماء الدين لم نحسن عرض الإسلام! فربنا يقول لنا آية فى آخر سورة الحج :

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . ﴾[(١)] فالرسول **﴿ شَهِيدًا ﴾** علينا ، ها هو لن نستطيع أن ننكر ، شهيدًا علينا !

وأما بالنسبة لـ **﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾** وقد تكررت فى سورة البقرة **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . ﴾**[(٢)] .

فعندما يعذب الله شخصًا إنجليزيًا أو طليانيًا أو أستراليًا ويقول له : سوف ندخلك جهنم ، لقد بعثت لك الأنبياء ، فيقول لله : كلا ، لم أر نبيًا ولا أتباع النبى بلغونى أى شىء ـ لقد وصلت لهم القول ، لكن هؤلاء حبسوا القول عنهم ـ ولا نعرف شيئًا .

فقلت له يا بنى إننى متأكد أن هناك أناسًا من أمريكا ، وأستراليا سوف يخرجون من النار ويدخل بدلاً منهم عرب! لأنهم فرطوا فى الإسلام ، نحن الإسلام ربانا لنربى به الناس ، ولكن التربية أيضًا لها مؤهلات ، أتريد يا عربى أن تكون أستاذًا

(١) الحج : ٧٧ ـ ٧٨ .   (٢) البقرة : ١٤٣ .

للعالم وأنت ليس لديك أى شىء!! أنت نفسك يا عربى لا تفهم الإسلام . أنت لا تفهم دينك .

أقول لأحد الناس : عندما ذهبت لمسجد باريس سألنى شخص عن امرأة مسلمة تريد أن تتزوج قلت له «تعقد» هى على نفسها . قال لى : كيف ونحن مالكية؟ قلت له : يا أخى هل النبى مالكى!! المذاهب كثيرة . أبو حنيفة يقول المرأة تعقد على نفسها فمثلاً هل إذا أرادت تاتشر أن تتزوج أقول لها : اذهبى فأحضرى والدك؟! يا أخى سبحان الله . الناس هناك ، مستواهم العلمى جعل المرأة سيدة نفسها فى كل الأمور . فلماذا لا تأخذ مذهب أبى حنيفة الذى انتهى إلى الآية القرآنية التى تقول : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1] .

وقال : ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾[2] .

وعندما جاءت له ﷺ بنت تشكوه وتقول له : أبى زوجنى من ابن عمى ليرفع به خسيسته وأنا له كارهة ، فقال لها : الأمر إليك إن شئت أمضيت أمر أبيك وإن شئت فسختيه . فقالت أمضيت أمر أبى . ولكن فعلت هذا حتى يعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء .

أبو حنيفة أخذ بهذا المذهب من المذاهب . فعندما أنشره فهو ملائم للفرنسيين ، تقول لى : كلا . توقف حال الإسلام ، لكى تفتى بمذهب مالك أو الشافعى ، لماذا؟ لتكن قريبًا من الوضع الذى أنت فيه .

ما معنى أن تقول لا بد أن تضرب بالنقاب على وجهها! من أين أتيت بهذا؟ الأئمة الأربعة ليس لديهم نقاب ، والمفسرون الكبار ليس لديهم نقاب ، الألبانى الذى من أشد الناس تعصبًا للسنة ذكر عشرة أحاديث لا تحتوى على نقاب ، من البخارى ومسلم وغيره ، وأنا ذكرت عشرة أدلة فى كتابى بأنه لا يوجد نقاب . أما إذا أردت نقاب يخصك فأنت حر ، لكن تذهب إلى أوروبا وتقول لهم «لا إله إلا الله ، النقاب شرع الله» عندئذ سيقول لك : لا نريد دينك هذا !

إذن لماذا نضيع الإسلام بفقه مذهبى ضيق ، فالأفضل أن نوسع الفقه ، وأن نترك النص حيث اجتهد العلماء ، اختر من الاجتهاد ما يصلح لك وأنت تبلغ الدعوة ، وإلا فنحن ما زلنا لا نعرف الإسلام .

---

(١) البقرة : ٢٣٤ .

(٢) البقرة : ٢٣٠ .

لقد قال لى أحد إخواننا فى دعوة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إننى أخالف المذاهب الأربعة فى الفتوى . فقلت له : هل هذا حرام؟ قال : نعم حرام ، قلت له ما رأيك فى ابن تيمية؟ قال : ابن تيمية الإمام الأعظم . فقلت له : وهو أيضًا من الأئمة الكبار لكنه خالف الأئمة الأربعة . رفض طلاق البدعة وقبله الأربعة . فسكت . فقلت له : يا أخى ابن حزم يقول : المرأة يؤخذ رأيها فى الشهادة ، فى الدماء والأموال والأعراض على سواء . فإذا رأت امرأة لصًا يسرق من بيتها ، وامرأة رأت أباها أو أخاها يقتل ، نقول لها : كلا ، أنت حمارة وليس لك رأى ولا شهادة؟! وقد ناقش هذا الموضوع ، ابن حزم ، وقال لا . قبلت شهادتها فى الدماء وفى الأعراض وأتى بخمسين رواية فى هذا الموضوع . ما هو المانع أن آخذ برأيه ، أثناء نشر الإسلام فى أوروبا وأمريكا ، لماذا ستوقفون حال الإسلام؟ هل الاجتهاد خطأ؟ كلا إنه مأجور ، خطأ مأجور ، فالخطأ له أجره . كيف نخدم الإسلام بضيق العقل؟ كيف نخدم الإسلام بضيق العقل فى عرض الدعوة الإسلامية؟ لقد اضطررت كما قلت لكم أن أعود إلى دراسة الفقه مرة أخرى وأنا كاره . لماذا؟ لأن هوايتى الأدبية وهوايتى النفسية ، أن أدرس العلوم الإنسانية وعلم النفس والاجتماع والتربية والفلسفة وعلم الجمال والآداب وعلوم كثيرة . أقرأ كثيرًا جيدًا . ولقد كنت أدخل كلية الشريعة ومعى «العهد القديم حتى جاءنى رجل دماغه مغلقة ، صاحب منصب كبير ، فقال لى : ما هذا؟ فقلت له أعلم الأولاد الملل والنحل ، حتى يعرفوا الديانة التى تحاربهم الآن وكيف أنهم وضعوا أيديهم على بيت المقدس وفلسطين . فقال لى : لا تجوز هذه الطريقة ، ولا يصح لهم أن يطلعوا على مثل هذه الأشياء ، فقلت له : من سيطلع إذن ؟ . . . وقد أُلْغِيَتْ المادة ، بهذا البلاء! فالقصة إذن هى : لا بد أن نفهم الحقائق .

هناك مسائل قانونية أُسْأَل فيها ، فرفضت أن أتقيد بمذهب ، لأننى أنشر الإسلام ولست سمسارًا للمذاهب الأربعة ، ولكنى سمسار للكتاب والسنة إذا صح التعبير ، فأنا أختار من الفقه ما يساعد على دخول الإسلام فى القلوب .

فى المذهب الكاثوليكى لا يتزوج أحد من بروتستانتية ، ولكن الإسلام يقول إن المسلم يتزوج يهودية أو نصرانية ، فلا بأس من هذا . . لا إكراه فى الدين . وعندئذ أجد شخصًا يأخذنى على انفراد – وهو من الخليج ، ويقول لى : يا أخى هذه الآية منسوخة ، قلت له : ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ منسوخة؟! قطع الله دابرك ودابر من نسخها .

الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1] وفي عهد نوح ، نوح يقول لهم : أنا لا أكرهكم على دينى ، ثم بعد هذا نقول إن الإسلام يكره على الدين!! ومتى أكرهنا على الدين ؟

الأمة فى حاجة إلى أهل فقه ، الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾[2] ، وليس اسألوا أهل البلاهة والبلادة . ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[3] ، فالفقه له رجال ، ولا يمنع أن بعض الناس عظيم جداً ، فسيدنا داود عظيم ، ولكنه عندما أراد أن يفتى فى القضية أو يحكم فيها ، حكم حكمًا . وقد بعث الله سليمان ، وقال فيه : الحكم هذا ليس جيدًا . ونزلت الآية : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[4] إذن فالناس لهم قدرة عقلية على الفهم والاجتهاد . وهذه هى الواجبات التى تحكم فى قضايا الخلق ، وتقود الأم ، فالأمة الإسلامية ليست أمة لنفسها ولكنها أمة للعالم كله ، ولقد أحصيت اثنتى عشرة آية فى القرآن الكريم نزلت تؤكد عمومية الدعوة الإسلامية . وعندما أحصيت الآيات ذكرت متى نزلت فوجدتها كلها نزلت فى مكة ، أى فى الأيام التى كان فيها الإسلام سجينًا ، يحاول أن ينطلق من الوثنية التى ضيقت عليه آفاق الأرض وحبسته ، فى هذا الوقت نزلت آيات كلها تفيد عالمية الدعوة .

وإننى أقول فى القرآن المكى ، ردًا على بعض المستشرقين الذين قالوا كاذبين : إن محمدًا مرسل للعرب وحدهم . وهناك كاتب شيوعى قال هذا الكلام فى مصر ولا أدرى إذا كان قد قاله ها هنا أم لا . قال : هذا الدين للعرب وللعروبة فقط!! هذا الكلام فارغ وساقط . الإسلام هو أساسنا وشرفنا . فالمستشرقون يقولون إن هذا الدين للعرب والنبى أغراه النجاح وأغراه الانتصار على العرب بأن يفتح ما وراء البلاد العربية!! كلا هذا لم يحدث ، فمات النبى (ﷺ) والإسلام ما زال فى مكة وفى الجزيرة ، وأهله الذين تربوا على يديه وتلامذته هم الذين قادوا الإسلام للعالم كله تنفيذاً لوصايا القرآن الكريم .

يوم أن تكون داعية للإسلام ويسمعك من يراك دونه عقلاً ، دونه علمًا ، دونه خلقًا ، دونه مستوى حضاريًا ، فإنه لن يستمع إليك ولن يحترمك ، فالأستاذية لها مؤهلات ولها خصائص .

---

(1) يونس : ٩٩ .
(2) الأنبياء : ٧ .
(3) النساء : ٨٣ .
(4) الأنبياء : ٧٩ .

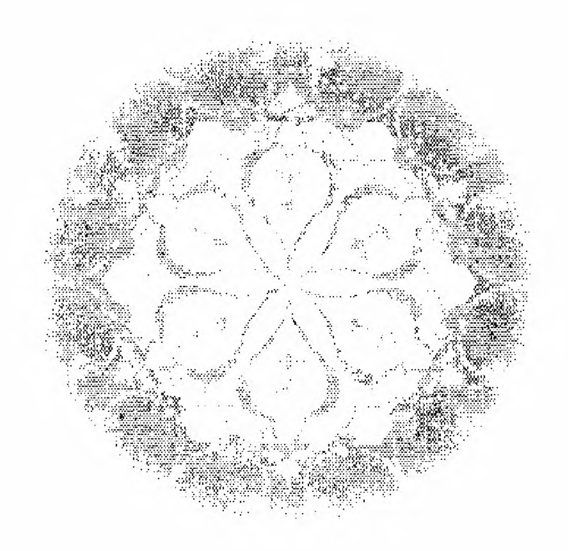
وهل هذا وقع عندما كان الفرس والروم والمصريون هم قادة العالم يومئذٍ والعرب ما زالوا متخلفين!! قال : لا ، إن الإسلام نقلهم نقلة هائلة . فمثلاً فلسفةً الحكم فى الروم أو الفرس ، هل كانت تعرف كلمة عمر بن الخطاب لوليه على مصر : **(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا)** لم تعرف هذه الفلسفة . هل كانت تعرف كلمة عمر :

(لو عثرت بغلة فى العراق لحسبت عمر وهو فى المدينة مسئولاً عنها لِمَ لمْ يسوِّ لها الطريق).

فلسفة الحكم بهذا المعنى لم تعرف إلا فى عصر الخلافة الراشدة . هل كانت تعرف كلمة عمر : **(لو عزت لهم ليصلن الراعى فى صنعاء حقه أو حظه من هذا المال)** ، هذه فلسفة لا يعرفها الروم ولا الفرس .

إن البدوى كان أعلى مستوى من رستم ومن الفرس عندما قال : جئنا نخرج الناس من ضيق الأديان إلى سعة الإسلام ، جئنا نخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد . فقد جاء بحقوق الإنسان وكرامات الشعوب . هذا هو الفقه الإسلامى فى أوله . وضربت مثلاً ولكن بعض الناس قد استغربوا . ولم أكن أنا صاحبه ، ولكنه «ابن عابدين» الفقيه الحنفى المتأخر يقول : إذا وجد لقيط وقال ذمى هو ابنى ، وكان الذمى حرّاً ، وقال المسلم هو عبدى ، ألحقنا نسبه بالذمى ليكتسب الحرية ، قلت إن هذا هو فقهنا الإسلامى الحقيقى ؛ لأنه يعتنق الحرية . ولكن أين الفقهاء الآن؟ وإننى أكاد أجن لأن هناك أزمة طاحنة فى الدعاة ، وأزمة طاحنة فى الفقهاء ، وأزمة المثقفين المسلمين أزمة كبيرة جداً .

وأسأل الله لى ولكم التوفيق وأن يعيننا على خدمة ديننا وأن يجعلنا أهلاً لهذه الدعوة ولهذه الرسالة . . وصلى الله على محمد وآله . .



الفهرس